

# الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتاح

تأليف الإمام الناصر لدين الله  
إبراهيم بن محمد بن أحمد المؤيدي  
عليه السلام (ت: ١٠٨٣هـ)

تحقيق السيد العلامة  
عبد الرحمن بن حسين شايم



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية



مرکز تحقیق تکلیف پویر علوم اسلامی

**الإصباح على المصباح**



جمعہ داری شد  
ش. اموال: ۶۲۴۱۹

# الإصباح على المصباح

## في معرفة الملك الفتنام

کتابخانہ  
مرکز تحقیقات کتب و ترویج علوم اسلام  
شماره ثبت: ۰۱۷۶۰۳  
تاریخ ثبت:

تألیف الإمام الناصر لدين الله  
إبراهيم بن محمد بن أحمد المؤيد

عليه السلام

(ت: ۱۰۸۳ هـ)



مرکز تحقیقات کتب و ترویج علوم اسلام  
تحقیق

السيد العلامة عبد الرحمن بن حسين شايخ



مؤسسة الإمام زين بن علي الثقافية

# حَقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

تم الصف والإخراج بمركز النهاري للطباعة، صنعاء، الدانوي الغربي  
إخراج عبدالحفيظ النهاري

مكتبة الإمام زيد بن علي (ع)

ص.ب. ١٥١٣٤

تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١) فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١)

صنعاء - الجمهورية اليمنية



مؤسسة الإمام زيد بن علي الشافعية

ص.ب. ١٤٣٦٨٤، عمان ١١٨٤٤، المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف/فاكس: ٩٦٢٦ ٥٣٤٨١٢٨

P.O.Box ١٠٧٥٤, McLean, VA ٢٢١٠٢, United States of America

Website: <http://www.izbacf.org>, email: [info@izbacf.org](mailto:info@izbacf.org)



## مقدمة الحق

إن علم العقائد الذي هو علم التوحيد علم من أفضل العلوم، نطقت الآيات القرآنية بفضله، وصرحت الأحاديث النبوية بنجاة أهله، فالتوحيد ثمن الجنة كما ورد، فالظفر به من أجل الفوائد، ورد شبه المضلين من أعذب الموارد، وقد كثرت فيه الآراء، وأتبع فيه الأهواء، من فرق ضلت سواء السبيل، واتبعت ثنيات الطريق، من ملاحظة ينكرون الصانع المختار، وسوفسطائي ينكر المشاهدات والضروريات، وفلسفي يثبت التأثير للعلل بالإيجاب ولا ييالي، وباطني يقول بالسابق والتالي، وثنوي يقول بالنور والظلمة ويدين بالقديم الثاني، وبرهمي ينفي النبوة، وأشعري يقول بقدم المعاني، ومحسم يشبه الله بالمحدثات، ويقول إن له تعالى أعضاء وجوارح وآلات، ومجيري يدين بأن الله يخلق أفعال العباد، وأنه تعالى يريد المعاصي ويرضى بالفساد وأنه لا يقبح من الله قبيح؛ لأنه رب أو غير منهي أو مالك، وأنه يفعل الفعل لا لغرض، وأنه يفضل عن الدين ويأمر بالإيمان ويمنع منه، ويكلف مالا يطاق، وينهى عن الكفر ويخلق ويزيه، ومرجئ يُغري المكلفين بالمعاصي ويمنيهم بفقرانها، أو بخروجهم من النار إلى غير ذلك من المذاهب الردية التي انتحلتها فرق الضلال وبالغوا في نصرتها بالأعمال والأقوال، لذلك قام أئمة الآل الذين اصطفاهم الله وطهرهم وعصم جماعتهم، وأمر بالتمسك بهم اقتفاءً منهم للكتاب العزيز، فبنوا أصول عقيدتهم على الأدلة العقلية، ودعموا ذلك بالأدلة النقلية من محكمات آيات القرآن، وردوا التشابه إلى المحكم، ونظروا إلى ما صح عن الرسول الأعظم ﷺ موافقاً لأدلة العقول ومحكمات الآيات، فعززوا به تلك

الأدلة النيرات، وتصفحوا كلام باب مدينة العلم أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين (صلوات الله عليهما وعلى آلهما) فهو أول المتكلمين ورأس الموحدين، ففسحوا على منواله، واحتذوا على مثاله، فزكت عقائدهم، وصفت مشاربهم، وكثرت مولفاتهم، وردوا على خصومهم، فأناروا السبيل لطالب الحق، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً، وإن من أحسن ما أُلّف في هذا الفن هذا الكتاب الذي نُقِّد له وهو الكتاب المسمى بـ(الإصباح)، فهو كتاب نفيس على صغر حجمه، قد جمع مؤلفه أمهات المسائل ولخص واضحات الدلائل، فهو تذكرة للمنتهي وتبصرة للمبتدئ، فهو اللباب، والعذب الخالص المستطاب، ولرجاء النفع به فقد قمت بتصحيح أصله وتكميل الناقص منه، وبتعليقات وجيزة إكمالاً للفائدة، وبتزقيم الآيات التي احتج بها المؤلف وبإشارات خاطفة حول تراجم رجاله، وليس عملي هذا كما يقوم به المحققون من أهل العصر، وإنما هو عبارة عن إخراج الكتاب إلى حيز الوجود.

### ترجمة المؤلف

هذه نبذة يسيرة من ترجمة مؤلف كتابنا هذا (الإصباح على المصباح)، مأخوذة من الكتب التاريخية من كتاب (الأنوار البالغة شرح الدامغة) للعلامة: الحسن بن صلاح الداعي - رحمه الله - ومن (التحف شرح الزلف) للمولى العلامة: محمد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي اليحيوي متع الله بحياته، ومن (طباق الحلوى وصحاف المن والسلوى) المطبوع باسم تاريخ اليمن لعبدالله بن علي الوزير - رحمه الله - قال في الدامغة:

والبلد ناصر دين الله سيدنا	الناصر القوم إبراهيم خير ولي
سبط الأئمة من أبناء فاطمة	من الوجود وهين الآل عن كمل
داع أقام لأهل العلم دولته	وفيه ألف علماً غير ذي خلل

وسلم الأمر مختاراً وقوله نجم الأئمة إسماعيل ثم علي

وقال مولانا العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي حفظه الله:

وعارض إسماعيل ناصر ديننا إمام لأطراف الشرائع جامع

ثم قال في شرح هذا البيت في صفحة (١٥٨) الطبعة الأولى، و صفحة (٣٣٥) الطبعة الثالثة: هو الإمام الناصر لدين الله: إبراهيم بن محمد الملقب (ابن حورية) بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن -عليهم السلام- قام على نهج آبائه، مقتفياً أثر أسلافه، وكان ممن آتاه الله بسطة في العلم، ورداه بجلاباب الحلم، ثم نظر في إصلاح أمة جده فسلم الأمر للمتوكل على الله إسماعيل.

#### دعوته عليه السلام

سنة أربع وخمسين وألف، قبضه الله سنة ثلاث وثمانين وألف، وقد طلع بعد دعوته إلى جبل برط، وأقام فيه مدة، وله قصيدة في مدح أهله، لقيامهم بنصرة الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام).

مركز تحقيق تراث علي بن أبي طالب

#### مؤلفاته

ومن مؤلفات الإمام الناصر: (الروض الحافل شرح من الكافل) لابن بهران في أصول الفقه، و(شرح الثلاثين المسألة) في أصول الدين، و(قصص الحق المبين في حكم البغي على أمير المؤمنين)، و(شرح على هداية ابن الوزير) في الفقه، و(المسائل المهمة في المعمول عليه من أقوال الأئمة)، و(اللمعة الذهبية في بعض القوانين الخطية).

#### أولاده

عبدالله، ومحمد، ويحيى، وأحمد.



وقال العلامة الحسن بن صلاح الداعي -رحمه الله- في شرح أبياته: هو الإمام الكبير الخطير الشهير الناصر لدين الله: إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن -عليهم السلام- الحيوي صاحب العلم الغزير الشهير، والقدر الخطير، فنذكر أولاً علمه:

فله في إحياء العلم على فنونه ما لم يكن لغيره من المتأخرين، حتى كان يقرأ في اليوم واللييلة أربعة أدوال في العلم على فنونه، وله من المؤلفات كتاب تنقيح الأنظار في شرح هداية الأفكار أربعة مجلدات، وله شرح على الثلاثين المسألة واسمه (الإصباح على المصباح) وهو هذا الذي بين يديك.. وغير ذلك من المؤلفات، وله رسائل عمجية، وجوابات على المسائل غريبة، وكان حسن السيرة صالح السريرة من المحل الأعلى في قدر العلماء الكبار، وفي التواضع والعبادة للحي القيوم مع الإحسان إلى المسلمين، وإكرام الوافدين، والغلظة على الظالمين، والهيبة على الفاسقين.



### دعوته عليه السلام

ودعى عقيب موت المؤيد بالله: محمد بن القاسم -عليه السلام- مع دعاة عدة، وكان الغلبة فيها وثبتت الإمامة للإمام المتوكل على الله: إسماعيل -عليه السلام-.

ثم دعى الناصر لدين الله الدعوة الثانية لأسباب ثانية بينه وبين أجناد المتوكل على الله، وساق كلاماً وأورد التنحية الفصيحة وذكرها صاحب طبقات الحلوى، ووجدتها بقلم الإمام -عليه السلام- ونقلتها في غير هذا الموضع.

ثم قال الحسن بن صلاح -رحمه الله-: وله أشعار فائقة وأقوال رائقة، منها القصيدة التي فعلها لما غدر به أبو طالب أحمد بن المنصور بالله بعد الأمان ودخوله إلى صعدة تحت المظلة وفوق الحصان بأمان مؤكد، وعقد مشدد في الدعوة الأولى فقال:

توكل على الرحمن في السر والجهر      فأفراجه تأتيك من حيث لا تدري

ثم وصف الغدرة بقوله:

هم غدرونا تحت ظل بيوتهم      وفوق قراهم لا رعى الله من يقري

ثم ساق كلاماً طويته طي البساط، ثم قال: فأحيا الله بعد تسليمه مدارس العلم، ونعش الشريعة بالحكم، ونفع الله المسلمين بذلك نفعاً ظاهراً، وتوفي إلى رحمة الله في شهر ربيع الآخر يوم عشرين من سنة ثلاث وثمانين وألف، وقبر في هجرة قلله في القبة الداخلية شامي الجامع إلى جهة الغرب، وفوق القبة الدار المطلة عليها، وهو مشهور مزور - سلام الله عليه - وتوفي في عشة آل أبي الحصين فحمل ليلاً إلى هجرة قلله.

وقال في طبق الحلوى صفحة (١١٣) من المطبوعة: ودخلت سنة ست وخمسين وألف، فيها أعلن السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد بدعوته ودعى الناس إلى بيعته وهو من العلم بمكان، ومن المنصب بحيث لا يختلف اثنان.

من آل يحيى مساميح قساور في الـ — هيجاء صنع الأسامي مسبلي الأزر

وله هناك أتباع وأعوان، قد حل منهم محل الروح من الأبدان، فهو أنفس عندهم من الزمرد الأخضر، وأعز على خواطرهم من الكبريت الأحمر، يودعون دراري فتاواه أصداف قلوبهم، ويحملون أثقال جدابه على عيونهم فضلاً عن جنوبهم، كلامه أندى على قلوبهم من القطر، ومفاكهته ألطف على خواطرهم من مقاربة النهر بعيون الزهر، فبمجرد أن يشير يأمرون، وعلى تقلب أنفاسه يميلون... إلخ.

وقد ذكره في حوادث سنة سبع وستين، وذكره في حوادث سنة ثلاث وثمانين.

قلت: ومن شعر المترجم له القصيدة الفريدة التي أرسلها للإمام إسماعيل - عليه السلام - يحثه على تفقد طلبة العلم بالمشهد الحيوي الهادوي بصعدة:

أمير المؤمنين فدتك نفسي      أثك عروس فكر أي عرس

تذكرك المدارس كيف صارت      لتذكرك شمسه من قبل طمس

فإني قد رأيت العلم أشفى	أما تشفيه قبيل حلول رمس
وتترك من مدينتها حياة	فليس الطب بعد خروج نفس
وتعمر من معالمها خراباً	بأمر منك في منشور طرس
فأمرك والمهند في سوء	وعذلك في الثوري يضحى ويمسي
أما كانت ليحيى من قديم	مهاجر كل شيعي ورسي
وللمنصور يوم معين فيها	مقام عند ربك غير منسي
به قامت جهالة كبار	بدعوتيه وفيها كل نطسي
وما زالت لعلم الآل فيها	جبال شامخات ليس ترسي
ووقت أبي الحسين بها مئات	أبوك لهم وسيطة عقد درس
فلو عينيك تنظر كيف صارت	مدارسها دولرس مثل أمس
ومن فيها من الطلاب يمسي	يفكر كيف في تحصيل فلس
لأن حقوقهم صارت نهاباً	وحظهم من الصدقات منسي
فهل يرضى بذلك مثل هذا؟	وقد ولأك ربي كل نفس
وحاشا أن تغاضى مثل هذا	وإن كُرضى بتطفيـفٍ وبخس

وترجمه العلامة عبدالرحمن بن حسين سهيل في كتابه بغية الأمانى ترجمة ممتعة، قال في آخرها: ومن أخذ عنه ولده السيد الإمام الهادي: أحمد بن إبراهيم، وسيدنا أحمد بن علي شاور، والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وعدة من العلماء، وهو أخذ عن السيد صلاح بن أحمد بن المهدي - رحمه الله -، وعن غيره وأجازه الإمام المؤيد بالله إجازة عامة، وله كرامات منها: ما رواها عنه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال - رضي الله عنه - قال: حكى لي شيخني شيخ آل الرسول إبراهيم بن محمد المؤيدي (أسعده الله) قال: لما حججت إلى بيت الله لم أشعر إلا برجل جليل المقدار من العجم

له بشارة حسنة، فسألني ما مذهبي؟ فأخبرته، فقال: يا مولاي رأينا علي بن الحسين  
وجماعة من آل محمد أظن أن منهم السبطين هذا ظنّ مني أنا، قال: رأيت هؤلاء  
يصلون خلفك فعلمت أن الحق مع طائفتك، وطلب من السيد أن يضع له موضوعاً  
في الأصول والفروع ففعل.

وعلى الجملة فإنه كان من آيات الله الباهرة. الله أعلم حيث يجعل رسالاته. وتوفي  
في شهر ربيع آخر يوم عشرين منه سنة ثلاث وثمانين وألف، وكانت وفاته بالعشة من  
مخاليف صعدة، فحُمِلَ بليته تلك إلى هجرة فلله وقبر بها، وقيلت فيه المراثي منها ما  
رثاه بها الفقيه صلاح الدين صلاح بن حفظ الله - رحمه الله - وهي طويلة مطلعها:

هي المصيبة منها القلب في حرق      والجسم من فيض دمع العين في غرق  
هذا ولكن بدمع أو تقيض دماً      لا أرتضى الجفن ما لم يجر بالخلق

إلى أن قال:

كلّ حزين على مقدار همته      وقدر ما قد دهانا حل لم يطق  
لموت من كان نوراً تستضاء به الـ      آفاق وهو قد استنعل على الأفق  
عجبت من جسم إبراهيم مهبطه      في الأرض والروح في أعلى السماء رقى

إلى أن قال:

والله إن مات إبراهيم إن به      موت الخابر والأقلام والورق  
انظر تصانيفه في العلم كيف أتت      للآي والسنة البيضاء على نسق  
خليفة الأنبياء والمرسلين فمن      في المشكلات يرى الفتاح للغلق  
كم في هدى وضلال ألست أعم      فكنت فارقتها يا مفسّي التفسر  
من للمساجد؟ بل من للمدارس؟ بل      من للشرعة عن كيد الغواة يقسي؟

من للمناير يعلوها لموعظسة  
... إلخ تركتها خوف الإطالة.  
إن يرقها غير إبراهيم لم ترق؟

ورثاه القاضي العلامة الصدر المقول، صفي الإسلام والمسلمين: أحمد بن صالح أبي  
الرجال - رحمه الله - بهذه الفريدة الغراء فقال:

أجلك أن الدهر نابت نوابه	وشابت صفاء الصالحين شوابه
وعُظِّلَ عن دست العلوم مليكه	وسارت إلى جنات عدن ركائبه
وفاض خضم العلم وهو غمطمط	وقد ملئت بالطيات مراكبه
وغابت شمس الفضل في وسط الضحى	فعمت من الجهل القبيح غياهبه
أجل هذه أشراط يوم معادنا	فمن ذا الذي يهوى وتصفسو مشاربه
فما بال رضوى لا يُلك فهذه	غريفة دهر ما تزال غرائبه
ألم يدر رضوى أنه مال شامخ	رفيع يمس الزاهرات مناكبه
إمام علوم كان فرد زمانه	إذا ذكرت في العالمين مناقبه
أناف على الماضين في العلم والنهي	كما سبقت في العالمين مناسبه
سليل رسول الله وابن وصيه	ومن كرميت في الناسين ذوابه
عليم إذا تملأ العلوم تضايقت	من الأفق الرحب الواسع جوابه
ففي النحو ما عمرو بن عثمان مثله	وإن كرهت ذا المدح فيه نواصبه
وعلم المعاني والبيان فسأعنه	استقام على ساق وجاعت عجائبه
وعلم أصول الفقه فهو إمامه	يرى منتهى التحقيق إن جاء طالبه
وعلم أصول الدين أبدى خفيه	معراج تحقيق ولاحت كواعبه
وحقق في تفسير كل غريفة	شكى من خفاهما ثابت العقل ثقبه
خرائد من علم الكتاب تحجبت	فلما أتى لم يُغلق الباب حاجبه



ويعلمني حديث الأَل حتى كأنما رأى ما حكى طه وما قال حاجبه  
وأما فروع الفقه فاقتاد ركنها فجاءت بأنفس الـفروع بنجائبه  
ونظم من هدي العلوم جواهرأ ترى العقد منها كأن نجوم ثوابه  
ولله ما أسنى الظلام إذا أنسى محرابه والنور فيه بصاحبه

إلى أن قال:

يقطع ساعات من الليل تلياً وملمع عينيه تفيض سحائبه  
وإن لنا من بعد غيته ملاً مناصبهم في الصالحات مناصبه  
بنوه أجل الناس قدراً ورتبة إذا اجتمعت عجم الوري وأعاربه  
أضاعت لنا أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه  
يقول فتاهم حين يذكر مجملهم إذا دب من حب إليهم عقاربهم  
وإني من القوم الذين هم هم إذا غاب منهم سيد قام صاحبه  
نجوم سماء كلما انتقض كوكباً بلأكواكب تأوي إليه كواكبه

انتهى المختار من هذه الفريدة، والله در منشيها فهي تدل على خيم طاهر ومعتقد صالح، وولاء ظاهر.

ولالإمام الناصر إبراهيم بن محمد -عليه السلام- أولاد كرام، منهم ولده الإمام الهادي لدين الله: أحمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله إبراهيم بن محمد رضوان الله عليهم.

قال الحسن بن صلاح الداعي -رحمه الله- في الدامغة:

وسيف صارم دين الله أحمدنا الـ مرجو للخير والملاحوظ بالمقل

... إلخ الأبيات.

قال في شرحها: هو السيد الإمام، والعلم الهمام، شمس الملة والإسلام، الهادي إلى الحق: أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وقد مر ذكر أبيه -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وكان هذا السيد آية زمانه خَلْقاً وَخُلُقاً وَعِلْماً وَعَمَلاً، كثير التواضع لحسن خلقه وخلقه وكرمه، تام الخلقة، من سمع بصفات النبي ﷺ توسمها فيه، لا يدانيه في كرمه في زمانه أحد، ولا ينازعه في جوده في حياته وبعد وفاته من أتهم ولا من أبجد، كان يستدين الديون الكثيرة مع ندوره الواسعة الغزيرة حتى مات، إلى أن قال: ورقى في مراقبي العلم ما لم يرق في غيرها، وشرح على متن الأزهار أوراقاً قليلة عاقه عن إتمامها اشتغاله بتزادف المحن ومشقة الزمن، وتوفي -رحمه الله- في شهر ربيع الأول سنة ١٠٩٩ هـ. تسعة وتسعين وألف هجرية، وهو في قدر ثمان وأربعين سنة أو تسع وأربعين، وقبره في عشة أبي الحصين بقبلة المسجد المسمى (مسجد غافل)، وهو من الدعاة الذين دعوا بعد موت المتوكل على الله إسماعيل، ومن المعاصرين له، وتكنى بالهادي إلى الحق وبقي أياماً على دعوته وتنحى للإمام القاسم بن محمد.. إلخ كلامه.

ثم ذكر وفاته وراثته التي مِطْلَعُهَا:

دعواك أنك محرق لا تسمع أبداً وأنت على الأرائك تهجع

وذكر ولده محمد بن أحمد بن إبراهيم، ووفاته بعد وفاة والده في شهر صفر سنة اثنتين ومائة وألف، وذكر بقية أولاد الإمام الناصر إبراهيم بن محمد -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وهم: محمد بن إبراهيم، ويحيى بن إبراهيم، وإسماعيل، وحسن، وعبد الله -رحمهم الله- وإيانا وأحفنا بهم صالحين.

وبهذا ينتهي ما أردناه والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

بقلم المفتقر إلى الله: عبد الرحمن بن حسين شايخ. وفقه الله. (البرهان)

## مدخل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين.

وبعد: فيقول المفتقر إلى رحمة الله وعفوه عبدالرحمن بن حسين شايم المؤيدي أبده الله وثبته في الدارين: إن الله وله الحمد يسر لنا الاطلاع على علق<sup>(١)</sup> نفيس يتنافس فيه المتنافسون، ويرعب في اقصائه وتحصيله المحصلون، ألا وهو (شرح مصباح العلوم) المعروف بالثلاثين المسألة للرصاص<sup>(٢)</sup>، ذلك الشرح الذي تشرح به الصدور، لمؤلفه الإمام علم الأعلام حجة الله على الأنام الناصر لدين الله: إبراهيم بن محمد المؤيدي اليحيوي، بل الله بوابل الرحمة ثراه، وجعل الجنة مقره ومشواه، فوحدته شرحاً قد حوى من مسائل علم الكلام وأدلتها ما يشفي الآوام، ومن حل شيه الحُصوم ورد أقاويلهم الباطلة فوق ما يرام، مع إيفاء المطالب في إنجاز، وبلاغة تكاد أن تقارب حد الإعجاز.

(١) العلق بالكسر النفيس من كل شيء، وجمعه أعلق، تمت. مختار صحاح.

(٢) هو القاضي العلامة: أحمد بن الحسن بن محمد الرصاص أحد أعلام الريدة، ومن كبار علمائها، أصولي متكلم فقيه، درس على والده الشيخ: الحسن بن محمد الرصاص تلميذ القاضي جعفر بن أحمد عبد السلام، واشتهر بمصنفاته المطبوعة في الفقه، وتخصصه في علم الكلام، قال في المستطاب في علماء الريدة الأقطاب: درس على والده الشيخ الحسن، وله تحقيق لا سيما في علم الأصول، وفي الخواصر المفضلة: أحد الكلام عن أبي القاسم صاحب الإكليل وغيره، وعمه حميد الشهيد، ومن مؤلفاته: مصاح العلوم هذا الذي تشرحه الإمام بهذا الشرح، والشهاب انتاف في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والخلاصة، والواسطة، وحفاني الأعراض وغير ذلك من المؤلفات.

ولما كانت النسخة التي عثرت عليها هي مسودة التأليف - أعني نسخة الإمام بخط يده - رأيت أن من الصواب إخراجها ونسخها، ثم رسمها ونشرها لتخرج إلى رواد علم الكلام؛ لأن ذلك من المعاونة على البر.

ولكون النسخة المشار إليها قد اختزم من أولها خطبة الكتاب وسقط من أصل المسائل بعض صفحات، من المسألة الأولى بعض الرد على أهل النجوم، والمسألة الثانية (مسألة قادر بكمالها) وبعض (مسألة عالم) فقت بإكمال ذلك النقص لتمام الفائدة، فإن سهل الله تعالى بنسخة كاملة، وصلنا كلام المؤلف بعضه ببعض، وإلا فليس لي من قصد إلا إفادة الطالب والأجر من الله تعالى.

### وأول كلام الإمام عليه السلام دعاءه للشارح المحقق بقوله عليه السلام:

عمر<sup>(١)</sup> الله به ربوع<sup>(٢)</sup> المدارس وقوم به أركان<sup>(٣)</sup> العلم الدارس<sup>(٤)</sup>، فشفي بشرحه عليل مهج<sup>(٥)</sup> الصدور، وأزرى عمقاله حسن كل مصدور، وجمع من علوم الآل شتاتاً،

---

(١) ابتدأ كلام الإمام - عليه السلام -، قوله: عمر الله به... إلخ. ولعل المراد الفاضل العلامة أحمد بن يحيى حاسب - رحمه الله -.

وهو الفاضل شمس الدين أحمد بن يحيى حاسب الصعدي، قرأ فراغة يافعة علي شيوخ زمه، منهم الفاضل سعيد بن صلاح المجل، ورحل إلى الإمام الأعظم القاسم بن محمد - عليه السلام - وانتفع بعلومه، وأخذ على العلامة داود بن الهادي وغيرهم، وله من الإمام القاسم إحارة عامة، وله مؤلفات: شرح الكافل وشرح الثلاثين المسألة، والمفصل المحسن، وشرح تكملة الأحكام، والنكسل كتاب جامع حائل كمل به شرح أسرار مفتاح على الأرهار، وكتاب سلوة الخاطر، وله تلامذة أجلاء، وتولى القضاء بصعدة، والخطبة بجامع الإمام الأعظم الهادي - عليه السلام - وإمامة الصلاة، وكان بسمية العلامة المفتي - رحمه الله - المحقق، توفي رابع ربيع الأول سنة ١٠٦١ هـ. إحدى وستين و ألف، وقرئ في مقابر سلعة - رحمه الله -.

(٢) جمع ربيع، والربيع الدار بمعنى حيث كانت، وجمعها ربيع وأربع وأربع، وربع أيضاً الخلف، تحت. مختار صحاح.

(٣) ركن الشيء جانبه الأقوى، تحت. مختار.

(٤) درس الرسم علما وبابه دحل، ودرس الثوب خلقه وبابه نصر، تحت. مختار.

(٥) المهجة الدم، وقيل: دم القلب خاصة، وحررت مهجته أي روحه، تحت. مختار.

وزجر<sup>(١)</sup> بحره أبلج<sup>(٢)</sup> عذبا فرائاً، لكن لما تقاصرت المهم كادت أن تغرق الأفهام في تلك الأمواج، ولتشعب الأقوال عليهم لم يؤمن عدم اهتدائهم إلى المنهاج، فدعتني المهمة القاصرة إلى تعليق مختصر يكون وافياً، وندبني الخواطر الفاترة إلى تبين مقاصد المختصر تبييناً شافياً من غير تطويل ممل، ولا اختصار مخل، ولا انتحال شيء من الأنظار، بل أخذته من أقوال النظار، فإن جاء حسناً فلفضل المتقدمين، وإن غير ذلك فللقصوري الواضح المبين، ومن الله أستمد الهداية وأستعينه في البداية والنهاية، إنه ولي ذلك والقادر على ما هنالك:

قال المصنف مبتدئاً: (بسم الله الرحمن الرحيم) أي بسم الله أبتدئ تأليف هذا الكتاب، ومعناه أستعين على ذلك بالتسمية؛ ليمناها وبركتها، فالباء للإستعانة، ويقدر الفعل متأخراً عنها لإفادة الاختصاص، والبداية بالبسملة لدليلين: عقلي، وسمعي:

أما العقلي: فلما تقرر في العقول من وجوب شكر المنعم والاهتمام به ضرورة، والثناء باللسان هو أحد شعب الشكر، فلا يظهر الاهتمام إلا بالتقديم.

وأما السمع: فلما ورد في الكتاب العزيز نحو: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ [مرد: ٤١] ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الزل: ٣٠] وقال ﷺ: «كل أمر ذي بال لم يذكر اسم الله عليه فهو أجذم»<sup>(٣)</sup> وقيل: أبر، وقيل: حداج، روته عائشة، وقد حسنه بعض الحفاظ، والمعنى بذلك منزوع البركة.

(١) زجر الوادي امتد جداً وارتفع، ونجر زاجر، وبانه خضع، تمت. مختار.

(٢) أبلج البلوح: الإشراف، يقال: أبلج الصبح أضواء، تمت. مختار.

(٣) أخرجه ابن ماجة والطبراني في الكبير والرهاني عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم»، وأخرج أبو داود والسكري عن أبي هريرة: «كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم»، وأخرج الراهاني عن أبي هريرة قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أفطه» تمت.



وفائدة إقحام<sup>(١)</sup> لفظ اسم ما في ذلك من التعظيم لله عز وجل حيث كان ممن التيمن باسم الذات، فكيف بالذات؟ و(الله) اسم للواجب الوجود جل وعلا الحقيقي بجميع المحامد، و(الرحمن) اسم لذلك الجلال شرعاً، و(الرحيم) كذلك، فهما حقيقتان دينيتان عرفيتان منقولتان من وصف للمبالغة.

اعلم: أن من ألف مؤلفاً ينبغي له أن يقدم مقدمة تُعين الطالب، ويكون بها على بصيرة، وبعضهم يذكر فيها تعريف العلم وموضوعه وغايته<sup>(٢)</sup> واستمداده وحكمه، وبعضهم يقتصر على الحد، ونحن نذكر تعريفه واستمداده والغرض منه وفائدته. أما تعريفه: فهو علمٌ يعرف به كيفية الاستدلال على واجب الذات وما له من الصفات.

واستمداده من العقل بواسطة النظر في الآثار من أدلة الأفس والآفاق، كما قال تعالى: ﴿سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَلِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [سج: ٥٣] وكذلك النظر في كتاب الله عز وجل، وما صبح عن رسوله كما جاء في الحديث المرفوع: «مَنْ أَخَذَ دِينَهُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي آلَاءِ اللَّهِ وَالتَّدَبُّرِ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالتَّفْهَمِ لِسُنَنِ زَالَتِ الرُّوَاسِي وَلَمْ يَزَلْ، وَمَنْ أَخَذَ دِينَهُ عَنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ مَالٍ بِهِ الرِّجَالُ مِنْ يَمِينٍ إِلَى شِمَالٍ وَكَانَ مِنْ دِينِ اللَّهِ عَلَى أَعْظَمِ زَوَالٍ»<sup>(٣)</sup> والغرض منه الفوز بالسعادات الباقيات الدائمات.

وفائدته: التمسك بأصل عرى الإيمان لمعرفة الملك الديان، وهو العلم به، وما يجب له ويجوز عليه، وما يتوسط في أثناء ذلك من الزيادات لمراقبة ما.

ثم اعلم: أن كل علم يشرف بشرف معلومه، ويعظم نفعه بنسب الحاجة إلى مفهومه، فمن هنا كان علم التوحيد رأس العلوم؛ لأن معلومه الله الحي القيوم، ولأن به

(١) أي إدخال يقال: أقحم فرسه النهر أي أدخله، تمت.

(٢) الغاية: مدى الشيء، تمت.

(٣) أخرجه الإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الماروني في الأمالي ص ١٤٨.

يتميز الكفر من الإيمان، وعليه يدور رحي الحق في كل زمان، وقد حكم بوجوبه وجلالته العقل، وجاء بتأكيد ذلك القول الفصل، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة: ١٩] وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [ال عمران: ٨١] وإنما تكون الشهادة عن يقين، وأهل الأصول هم المعنيون بهذه الآية المخصوصون بشرفها، ورد عنه عليه السلام: «ما جزاء من أنعم الله عليه بالتوحيد إلا الجنة» رواه الإمام عز الدين عليه السلام.

ومن هنا (اعلم أن أول ما يجب<sup>(١)</sup> على المكلف<sup>(٢)</sup>) قبل المكلف: هو من أعلم بوجوب بعض المقدورات عليه، وقبح بعضها منه مع مشقة تلحقه في الفعل أو الترك، أو أحدهما، أو في سبب ذلك، أو ما يتصل بذلك ما لم يبلغ الحال حد الإلحاء.

فقوله: (أَعْلَمْ): ليدخل الكفار، فإنهم أعلموا، وإن لم يعلموا أنهم مكلفون، وقوله: (مع مشقة في الفعل) للاحتراز عن أهل الجنة، ومن علم ذلك ممن لا تكليف عليه كالصبيان، وقوله: (أو في سبب ذلك) كالعلم بالله فالمشقة في سببه، وهو النظر، وقوله: (وما يتصل بذلك) نحو حراسة الفعل من نحو الرياء، وإن كان الفعل لا مشقة فيه، وقوله: (ما لم يبلغ حد الإلحاء) احتراز عن المحتظر وأهل الآخرة، وهذا على القول بأن الإلحاء يُجَامِعُ الوجوب، وإلا فلا حاجة إلى القيد عند من قال<sup>(٣)</sup>: بأنه لا يُجَامِعُ

(١) الواجب في اللغة: هو الساقط يقال وجبت الشمس أي سقطت، ومنه: ﴿وجبت جنوبها﴾ وفي الاصطلاح: ما يستحق الثواب بعمله والعقاب بتركه، أو ما يستحق المدح على فعله والدم على تركه بوجه ما.

(٢) قال بعض المعتزلة: إذا أكمل الله عقل الإنسان بأن خلق فيه العلوم الصورية التي تكتسب بها المعارف الإلهية وجب عليه أن يقيه وقتاً يتمكن فيه من معرفته، وأن لا يعزومه قبل ذلك، وإلا كان محزلة من وضع لعمره طعاماً ثم أثلثه قبل أن يتمكن منه، ثم احتلموا، فقال أبو علي: يجب أن يقيه وقتاً حتى يعرف الله تعالى أو يتمكن من معرفته، ثم يجوز احتلامه بعد ذلك. وقال أبو هاشم: بل يجب أن يقيه الله وقتاً يعرف الله فيه واحداً حكيماً؛ لأن معرفته تعالى لطف، وقال القاضي مثل قول أبي هاشم، وقال: لا بد مع ذلك أن يقيه الله وقتاً يتمكن من فعل واجب أو ترك قبيح.

(٣) الصحيح أن الإلحاء لا يجامع التكليف؛ لأن التكليف تعرض للثواب، والمُلحَا غير مُعْرِضٍ للثواب؛ لأنه لا

إذ قد خرج من قوله: (مع مشقة تلحقه في الفعل) فمن جمع هذه الشروط فسالوا يجب عليه (هو النظر) وهو النظر الفكري. وحقيقته: المعنى الذي يولد العلم عند تكامل شروطه، إذ لفظ النظر مشترك بين معانٍ هذا أحدها.

والثاني: نظر العين نحو: نظرت إلى الهلال فلم أره، وقد قيل في تحقيقه: فتح الجفن الصحيح الخدقة إلى حيث تقع الرؤية للمرئي، أو القصد لرؤيته إذا لم ير.

وثالثها: نظر الرحمة، وحقيقته: إرادة حصول منفعة للغير أو دفع مضرة عنه نحو: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧].

ورابعها: نظر المقابلة وهو تحاذي المتحيزين نحو: داري تنظر إلى دار فلان.

وخامسها: نظر الانتظار، وحقيقته: التوقع لحصول أمر في المستقبل خيراً كان أو شراً نحو قوله تعالى: ﴿فَنَظَرُوا بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٢٥] والنظر الفكري المراد هنا نحو: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا لِي السَّمَاءَاتِ﴾.. الآية [يونس: ١٠١] وعمله القلب.

قال المهدي: بلا خلاف بين من أثبت معنى، والقول بوجوب النظر وأنه فرض عين على كل مكلف هو قول القاسم<sup>(١)</sup> والهادي<sup>(٢)</sup> وغيرهما من عامة الآل.

---

يستحق الثواب إلا بأن يعمل الواجب لوجوبه والخس لحسه، وبترك القبض لقبحه، والملعب إما يكون منه ذلك للإجاء فقط. انظر بابح الصبحة ٢١١، طبع دار الحكمة.

(١) هو ترجمان الدين الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام- الرسي، إمام الزيدية وعالمها ومتكلمها، ولد سنة ١٧٠هـ، بعد قتل الإمام الحسين بن علي المحمي بأشهر، روى عن أبيه وأبي بكر بن أبي أوفى وأبي سهل المقرئ وأخيه بن، وعنه أولاده العنماء السجاء: محمد والحسن وسليمان ودواد والحسين وغيرهم، وروى عنه محمد بن مصبور المرادي وأبو جعفر البروسي وغيرهما، وكان مبرزاً في جميع العلوم، روى الإمام أبو طالب -عليه السلام- في الإفادة: أن جعفر بن حرب لما حج ودخل على القاسم -عليه السلام- فحاراه في دقيق الكلام ولطيفه، فلما خرج من عنده قال لأصحابه: أين يتاه بأصحابنا عن هذا الرجل، والله ما رأيت مثله، وقال أبو طالب -عليه السلام-: كساد في مصر داعياً لأخيه محمد، فلما ماتت بنت دعائه في الآفاق، فأجابه عوالم في بلدان مختلفة رثت عصر عشر سنين، ثم اشتد عليه الطيب من عبدالله بن طاهر فعاد إلى الكوفة، وكانت البيعة الكامية في بيت محمد بن منصور سنة ٢٢٠هـ. بآبائه أحمد بن موسى وعبدالله بن موسى والحسن بن يحيى فقيه الكوفة وعمره سن

وقال (م بالله) <sup>(١)</sup> والإمام <sup>(٢)</sup> عز الدين <sup>(٣)</sup> وغيرهما من الآل: يجوز حصول العلم ضرورة لبعض الأنبياء ونحوهم، ولعل من ذلك ما وقع لعيسى -عليه السلام- حيث قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابُ﴾ [أربع: ٢٠] وهو في تلك الحال ليس من أهل النظر

مصور، ثم حال في البلدان وآل أمره إلى الرس إلى أن توفي سنة ٢٤٢ هـ وفي السّالّي سنة ٢٤٦ هـ، وهو الصحيح؛ لأن الهادي ولد قبل موته بسنة، وولادة الهادي -عليه السلام- سنة ٢٤٥ هـ، مؤلفاته -عليه السلام-: كثيرة شهيرة، ومعظمها في أصول الدين، عسى الله أن يسهل نشرها، وقد نشر محمد عمارة بعض رسائله في رسائل العدل والتوحيد.

(٢) الهادي: هو الإمام المحدث للدين أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام-، ولد سنة ٢٤٥ هـ. انشر فضله وظهر علمه وطار صيته، خرج إلى اليمن مرتين، وكان في جهاد واجتهاد طويل حياته، له المؤلفات العديدة التي عم بفعلها، وهو مؤسس المذهب الهادي الزيدي، وجعلت كتبه وأقواله أصولاً يشرحها العلماء ويخرجون عليها الأحكام، توفي -عليه السلام- لعشر بقين من ذي الحجة سنة ٢٩٨ هـ.

(١) هو أبو الحسين: الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون بن محمد الحسيني الأملي، كان بحراً لا يزف، قال في الطبقات: برز في علم النحو واللغة وأحاط بعلوم القرآن والشعر، وأنواع الفصاحة مع المعرفة التامة بعلم الحديث وعلمه، والشرح والتعديل، وهو إمام علم الكلام وإمام أئمة الفقه، وبالجملة فلم يبق علم من علوم الدنيا والدين إلا ضرب فيه بصيب، روى عن أبي العباس وقاضي الفضاة وغيرهما، وعنه السيد مانكديهم، والموفق بالله، والقاضي يوسف وغيرهم، ومن مصنفاته: شرح التحرير والبلغة والموسميات والإفادة والزبادات والتفريعات في الفقه، والنصرة كتاب لطيف وكتاب إثبات النبوة، وتعليق على شرح السيد مانكديهم، وإعجاز القرآن في الكلام، والأمان في الصغرى، وسياسة المريدين، ولد بأمل طبرستان سنة ٣٣٣ هـ وبويع له بالخلافة سنة ٣٨٠ هـ وتوفي يوم عرفة سنة ٤١١ هـ وصلى عليه السيد مانكديهم، ودفن بلجاء، وهي قرية متفرعة من عيسى آباد.

(٢) هو الإمام عز الدين بن الحسن، ولد في ٩/١٠/٨٤٥ هـ تقريباً، ودعى في ٨٨٠ هـ، ونفذت أحكامه في مكة وما والاها، ومن مؤلفاته: المعراج على المهاج، وشرح على البحر بلغ فيه إلى الحبح، ومختصر في النحو وغيرها.

(٣) لفظ المعراج للإمام عز الدين -عليه السلام- بعد أن ساق أدلة الجمهور، وأدلة الجمهور كما ترى من عدم القوة، فالأولى أن يحكم بأنه لا مانع من حصول العلم الضروري للأنبياء والأولياء، ولا دليل على ثبوته لهم، وهذا هو تحصيل مذهب السيد بالله، لأن الذي يحكي عنه أصحابنا حوار ذلك، وهو الصحيح، فأما الإمام (ي) فظاهر كلامه القطع بحصول ذلك لهم، ولا دليل عليه، وقد ذكر ابن متوّه أن القول بأن المعرفة ضرورية في حق بعض المكلفين دون بعض عرق للإجماع، فإنه منعقد على استواء حالهم في ذلك، فمن قائل بأنها ضرورية في حق الجميع، ومن قائل بأنها استدلالية مطلقاً، وإحداث قول ثالث عرق للإجماع، وفيه نظر، والصحيح: أن القول الثالث في مثل هذه الصورة لا يعد مصادماً للإجماع لو سلمنا تقدم الإطباق على الإطلاقين قبله. تمت.

قطعاً، وبهذا حزم الإمام (ي) عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١)</sup> فلا يجب النظر على هؤلاء، وكذا لا يجب النظر عند من قال بجواز التقليد<sup>(٢)</sup> في الأصول كما ي<sup>(٣)</sup> القاسم<sup>(٤)</sup> وأبي إسحاق بن عماش<sup>(٥)</sup> وغيرهما، ولا يجوز عند من قال إن النظر يؤدي إلى الشك والحيرة، وكذا لا يجب عند أهل التكافؤ القائلين بأن الأدلة متكافئة، وعند أهل السمع القائلين بأنه لا طريق إلى العلوم الدينية إلا السمع، وأهل الظن وأهل البدعة القائلين بأن الإسلام لم يرد إلا بالسيف وأن النظر بدعة.

(١) هو الإمام المجاهد: يحيى بن حمزة بن علي الهاشمي الحسيني الموسوي، جمل العلم، وطرز الفضل وواحد علماء اليمن، قال الحنداري في عده لكتب الإمام يحيى: كم نصر بانتصاره العلماء، واعتمد على عمدته الفقهاء، وشمل بشمله فنون الكلام، وصان بتحقيقه علماء الإسلام، روى بحاويه دقائق الأصول، وعبر بمعياره حقائق المقول، وأرهر بأزهاره حقائق الكافية، وحمل بمهاجه الجمل الوافية، وحصر بالخاص ما جمعه في مقدمته طاهر، ووضح بالمحصل ما أجهمه صاحب المفصل، وطرز بالطرز علم الإعجاز، وسهل بالإيجاز إلى علم البيان الجاز، وأيد بالعلم الدنية مذهب الفقه العلية، وأوضح بالنهاية طرق الهداية، ووزن بالقسطاس أقدار العلماء من الناس، وأغنى بالافتصار طالب النحو عن الاكتثار، وصفى بالصفية من المواع المردية فلوياً كانت قاسية، ونور بأنواره المضيئة طرق الأربعين السليقة، وكشف بسفروه الوضي دقائق كلام الوصي، وأراح بعقد اللالي ما زحرفه في حل السماع الغزالي، وقطع بالقاطع للتشويه ما يرد على الحكمة والتنزيه.

مولده -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: بموت في صفر سنة ٦٦٧هـ وقام ودعا سنة ٧٢٩، وتوفي بمحضر هراة سنة ٧٤٩هـ، من مشائحه محمد بن عبدالله بن خليفة مصنف الجوهرة وغيره، وأخذ عنه أحمد بن سليمان الأوروري محدث اليمن، والفقهاء حسن الحوي سمع عنه الانتصار كاملاً، وهو في ثمانية عشر مجلداً، وقد اختصره الإمام المهدي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في البحر الزخار، وهو الآن قيد التحقيق والطبع، قوله في دمار مشهور مزور، انتهى.

(٢) قال الإمام عز الدين -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في المعراج: قال الحاكم في شرح العيون. قال أبو هاشم: المقيد يستحق عقوبتين: أحدهما: لكونه أقدم على مالا بأس كونه جهلاً، والثانية: على ترك النظر، وكل واحدة من المعصيتين كبيرة.

(٣) قال في المعراج: تنبيه: قال في المحيط: إن أبا القاسم أراد بما يذهب إليه في التقليد أن أعارف العملية كافية، وإن لم يتمكن من تحرير الأدلة والمحتاج، بل إذا حصل له العلم على الجملة كفى، وهو أن يعلم أن للعالم محدثاً، وأن من صح منه الفعل فهو قادر ونحو ذلك. إلخ كلام الإمام -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، تمت.

(٤) هو: أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي الكوفي، من معتزلة بغداد ومن الطبقة الثامنة، وكان فاضلاً قائماً بجميع العلوم، ولد ببلخ، وتوفي سنة ٣١٩، وقيل: سنة ٣٢٢.

(٥) إبراهيم بن عماش النصيب البصري المعتزلي، قال في المنية والأمل: كان من الورع والزهد والعلم عيسى حد عظيم، وهو من الطبقة العاشرة من المعتزلة، وله كتاب في إمامة الحسين، وكتب أخرى حسان، وهو أحد الذين تتلمذ عليهم القاضي عبد الجبار.



وإنما قال: من سبق بوجوبه عقلاً لأمرين: أحدهما: أنه (المؤدي) أي الموصل (إلى معرفة الله وهي) أي معرفة الله الإجمالية (واجبة) عقلاً على كل مكلف من غير شرط، وذلك لأجل القيام بواجب شكره تعالى على ما أنعم، وشكره واجب عقلاً، إذ شكر النعم مركز في العقول حسن القيام به ووجوبه، وجهل النعم بكل وجه يستلزم الإخلال بشكره على المنافع الواصلة إلينا (ولا طريق للمكلفين إليها سواها) أي النظر، لا متناع أن يعرف الله بالبدية، وإلا لما اختلف العقلاء فيه (ولا [ظ]) بالمشاهدة، وإلا لشاهدناه الآن، ومعلوم أننا لا نشاهده و (لا [ظ]) بالأخبار المتواترة، إذ من شروطها الاستناد إلى محسوس، وقد استحال، فلم يبق سبيل إلى معرفته تعالى إلا النظر، (وما لا يتم الواجب) الذي هو مشروط بالمعرفة (إلا به يكون واجباً كوجوبه) وإلا وقع الإخلال بالواجب، وقد قضى العقل بقبحه، وذهب كثير من المعتزلة<sup>(١)</sup> وجماعة من الأئمة إلى أن الوحه لوجوب المعرفة كونها لطفاً في واجبات عقلية، قيل: عملية من ردّ ودیعة وشكر منعم ونحو ذلك.

فإن من عرف أن له صانعاً إن عصاه عذبه، وإن أطاعه أثابه كان أقرب إلى فعل الطاعة، وترك المعصية فتجب؛ لأنها جرت بحري دفع الضرر عن النفس، ودفعه واجب، وإنما جرت محراً؛ لأنها تدعو إلى فعل الواجب وترك القبيح، وبهما يتدفع الضرر فقد قربت إلى ذلك.

قالوا: لأن شكر النعم لا يجب إلا بعد معرفته، ومعرفة إحسانه وتحصيل شرط

(١) هم أتباع وأصل بن عطاء الغرال كان نادرة الرماد في فصاحته، وكان يفتي بحسن الحسن ثم ناظره في الملة بين المنزلة والحسن ينكرها، واعتزل وأصل وتبعه عمرو بن عبيد الراشد، فقال الحسن: ما فعلت المعتزلة؟ فسموا بذلك، وأرسل وأصل عثمان الطويل تبعه سواد الكوفة، واعتزله الصادق -عليه السلام- في مسائل ونسبه إلى الابتداع، ثم انقسموا إلى بصرية: شيخهم محمد بن الهذيل العلاف البصري صاحب العدل والمناظرات، وبعثاديه: شيخهم أبو الحسين الخياط، ويجمع مذهبهم القول بالعدل والتوحيد وتقديم أبي بكر في الإمامة، واحتلفوا في الفصيلة، منهم من فضل علياً وهم غالب البعثادية وبعض البصرية، ومنهم من فضل أبا بكر وهم غالب البصرية، وقد أطلق هذا الاسم أولاً على من اعتزل الحرب مع الإمام علي -عليه السلام- ثم غلب فيما بعد على من ذكرنا أولاً.

الواجب ليجب لا يجب؟

والجواب: أنا لا نسلم عدم وجوب تحصيل شرط الواجب، بل يجب إن لم يرد الأمر مشروطاً به، والأمر الآخر الدال على وجوب النظر عقلاً إفحام الرسل لو لم يجب إلا سماعاً كما ذلك مذهب البعض، بيانه أن الرسول إذا قال لمن يخاطبه: انظر في معجزتي كي تعلم صدقي، فله أن يقول: لا أنظر حتى يجب النظر، ويكون هذا القول حقاً لا سبيل للرسول إلى دفعه، وهذا حجة عليه وهو معنى الإفحام، وللمخالف معارضة وتحقيق، وقد كفى في الرد عليهم علماء العدل، والغرض الإشارة لا التطويل.

قائدة: معنى قولهم: النظر أول واجب أنه لا يعرَى المكلف عن وجوبه عند ابتداء تكليفه بخلاف سائر الواجبات، فإنه قد يعرَى عنها نحو قضاء الدين ورد الوديعة وشكر المنعم؛ لأنه قد يخلو عن الدين، وعن الوديعة، وعن نعمة غير الله، وأما نعمة الله فهو وإن لم يعرَ عنها في حال لكنه لا يجب عليه شكرها حتى يعرفه، وهو في أول تكليفه غير عارف فلا يلزمه الشكر، فظهر لك أنه قد يعرَى في أول تكليفه عن جميع الواجبات ما خلى النظر فإنه لا يعرَى عنه، ولما كان كذلك وُصِفَ بأنه أول الواجبات وليس بأولها في كل حال بل عند عرَو المكلف عما عداه من الواجبات، والذي حملهم على الإطلاق المبالغة في الاحتِث عليه والاهتمام به.

## (باب إثبات الصانع)

أي اعتقاد ثبوته، وقوله: (وذكر توحيدَه) من باب عطف العام على الخاص<sup>(١)</sup>، وهو وارد مثل قوله تعالى: ﴿لَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [التحریم: ١] ووجه ذلك هو التنبيه على أن إثبات الصانع هو أصل باب التوحيد.

وجعل ذكر التوحيد (وذكر عدله ووعدَه ووعيدَه) باباً واحداً تقريباً وتسهيلاً للمبتدئ، وإلا فالتوحيد باب، والعدل وما يلحق به كذلك، والوعد والوعيد باب.

(واعلم أن) ما يجب على المكلف من (المهمات) في صفة اعتقاده (من) فن (أصول الدين ثلاثون مسألة) في التوحيد عشر، وفي العدل وما يتبعه عشر، وفي الوعد والوعيد وما يتصل بذلك عشر، وإنما قدم التوحيد على العدل؛ لأن بعض مسائله دالة على بعض مسائل العدل، وباقي مسائله تابعة ودليل الشيء مقدم عليه.

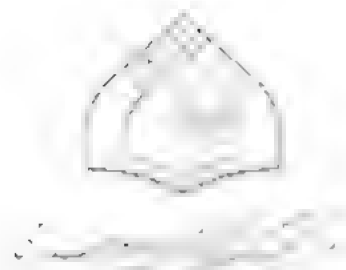
وأيضاً: فإن التوحيد كلام في ذاته تعالى وصفاته، والعدل كلام في أفعاله، ومهما لم تُعلم ذاته وصفاته لم تُعلم أفعاله.

وقدّم العدل على الوعد والوعيد؛ لأن في بعض مسائله دلالة على مسائل الوعد

---

(١) لما كان العطف يقتضي التعامُّل فقد ذلك أن مسألة إثبات الصانع غير داخلة في التوحيد مع أنها أصل باب التوحيد، رفع الشارح - رحمه الله - هذا بأن قرّر أن هذا من باب عطف العام على الخاص فأحسن حمل الكلام ورفع الوهم والإبهام.

والوعد، ولأن من جملة مسائل العدل إثبات كون القرآن كلام الله، والوعد والوعد  
كلام في أنه قد وعدنا فيه وتوعدنا، وأنه لا يُخلف الوعد والوعد، ولا يمكن أن نتكلم  
في أنه وعد ووعد، وأنه لا يخلفه حتى نعلم كون القرآن كلامه، وألحقت سائر مسائل  
العدل بمسألة القرآن اتباعاً لأنهما من باب واحد.



## باب التوحيد

قال القرشي<sup>(١)</sup>: هو في اللغة: عبارة عن فعل ما يصير به الشيء واحداً انتهى.

يقال: وَحَدَ الشجرة إذا فعل فعلاً تبقى به واحدة كقطع أغصانها، وإبقاء أصلها، وفي عرفها: هو الخبر عن كون الشيء واحداً.

وفي اصطلاح المتكلمين: هو العلم بالله تعالى، وما يجب له من الصفات، وما يستحيل عليه منها، وأنه لا ثاني له يشاركه في ذلك الحد الذي يستحقه.

وقال علي عليه السلام<sup>(٢)</sup>: لما سُئِلَ عن حد التوحيد: (هو أن لا تتوهمه) ومعناه: أن كل ما خطر ببال ذوي الأفكار فبمعزل عن حقيقة ملكوته، وجميع ما تنعقد عليه ضمائر أولي الأبصار فعلى خلاف ما ذاته المقدسة عليه من نعوت جبروته، لا تدرك كنه عظمتة الأفهام، ولا يبلغ شأو كبريائه الأوهام، جلّ عما يجول به الوسواس، وعظم عما تُكَيِّفه الحواس، وكَبُرَ عما يحكم به القياس، إن قيل: أين؟ فهو سابق للمكان، أو

---

(١) يحيى بن حمزة القرشي: أحد أعلام الريذة الكبار، له العديد من المؤلفات، أهمها منهاج التحقيق ومحاسن التلميق معطوط بمكتبة الجامع الكبير وغيره، وقد شرحه الإمام عز الدين -عنه السلام- بسالمعراج، وشرحه العلامة علي بن محمد البكري بالكوكب الوهاج، توفي بالعراق ٧٨٠هـ.

(٢) هو أمير المؤمنين سيد الوصيين، مستودع الأسرار، ومطلع الأنوار، وقسيم الحبة والبار، وارث علم أسباء الله ورسله الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام: علي بن أبي طالب، يروي له -صلوات الله عليه- يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة الحرام سنة ٣٥هـ وفي مثل هذا اليوم كان غدیر خم، ولهذا الانعقاد شأن عظيم، توفي لاحدى وعشرين ليلة من شهر رمضان بعد أن ضربه أسقى الآخرين ابن ملجم -لعه الله- يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان لأربعين من المحبرة، قبره في المشهد المقدس بالكوفة.



قيل: متى؟ فهو سابق للزمان، أو قيل: كيف؟ فقد جاوز الأشباه والأمثال، وإن طُلب الدليل عليه فقد غلب الحبر العيان، وإن طلب البيان فالكائنات بيان وبرهان؛ فهو تعالى بخلافها في الذات والصفات، وهو الوصف الذي به التمايز بينه وبين العوالم، وإن اختلفت العوالم في صفة فإنها توافق في أخرى؛ فهو تعالى بخلاف الأشياء كما أشار إليه القاسم -عليه السلام- ذكر ذلك بعض العارفين. ويشتمل هذا الباب على عشر مسائل:

### (المسألة الأولى: في أن لهذا العالم<sup>(١)</sup> صانعاً صنعه ومدبراً دبره)

ولا كلام في وجوب تقديم هذه المسألة على سائر مسائل الإثبات؛ إذ الكلام على كل واحدة منها لا يتأتى إلا بعد تحقيق هذه المسألة، فإنه قد تقرر وثبت أنه لا يمكن العلم بالحال إلا مع العلم بالذات.

والمراد بالعالم: المخلوقات من السموات والأرض والحيوانات وغيرها، قال الجوهري<sup>(٢)</sup>: العالم الخلق، والجمع العوالم، والعالمون أصناف الخلق.

وقد اختلف أصحابنا هل من العقلاء من ينكر أن للعالم مؤثراً، ويزعم أنه حاصل لا عن تأثير مؤثر، ولا يوجد في ذلك مخالف على الجملة، وإنما الخلاف في التفصيل، والذي عليه الجمهور: أن الخلاف واقع في المؤثر جملة، كما أنه واقع فيه تفصيلاً، وأن من الناس من لم يثبت مؤثراً قط فقد روي نفي المؤثر عن الملحدة، والدهرية،

---

(١) المراد بالعالم: السموات والأرض وما بينهما، والعالم في الأصل اسم لجميع المخلوقات، وقيل: اسم لمن يعلم الله وهو الملائكة والنفوس، إذ هو مشتق من العلم، وقيل: اسم لما يعلم به الله تعالى، وقيل: كل عصر يسمى عالم، ثم.

(٢) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري أول من حاول الطيران، ومات في سبيله، لنحو من الأتمسة، وعطسه بذكر مع خط ابن مقلة، أشهر كتبه الصحاح، وله كتاب في العروض ومقدمة في النحو، توفي عام ٣٩٣هـ.

والفلاسفة المتقدمين، والطبائعية<sup>(١)</sup>، والذي عليه أهل الإسلام والكتابيون والبراهمة<sup>(٢)</sup> وبعض عبّاد الأصنام، وهم فرقة أقرت بالله وبالبعث وبالرسول، وعبدوا الأصنام معتقدين أن عبادتهم تقربهم إلى الله تعالى أن لهذا العالم صانعاً مختاراً.

(والدليل على ذلك) المذهب الصحيح الذي هو مذهب أهل الإسلام ومن تابعهم من وجوه كثيرة، اعتمد منها على دلالة الأكوان وطريقة الدعّاء<sup>(٣)</sup>، وأول من حررها ولخصها قيل: أبو الهذيل<sup>(٤)</sup> وتابعه عليها من بعده من المعتزلة.

وذكر الشيخ أحمد بن محمد الرصاص<sup>(٥)</sup>: أن أول من أشار إليها إبراهيم -صلى الله عليه- كما حكى الله عنه في آية الأفلو، وهو (أن هذه الأجسام) على نوعها من حيوان وجماد، ونام وغير نام (محدثة) والمحدث: هو الموجود الذي لوجوده أول (والمحدث لا بد له من محدث) وقالت الدهرية: بل هي قديمة لم يسبق وجودها عدم، ولا يخالفون في تراكيبها كالحوادث اليومية أنها محدثة (والذي يدل على) إبطال مذهبهم (أن هذه الأجسام محدثة أنها لم تخل من الأعراض المحدثه) ولم تتقدمها،

---

(١) الطبائعية: كل من أضاف التأثير إلى الطبع، منهم الفلاسفة، فإبهم جعلوا العالم صادر عن علة قديمة بالطبع.

(٢) البراهمة: رؤساء فرق الكفار بالهد.

(٣) هذه الأصول تسمى دهاري لوجود المارح في كل أصل منها، وحقيقة الدعوى. هي الخبر الذي لا يعلم صحته ولا فساد إلا بدليل مع خصم منازع، واعلم: أن دليل الدهاري هو المعتمد في إثبات المباح وإن كان هنالك أدلة كثيرة، لكن عليها من السؤالات والأنظار ما يصعب الجواب عنه إلا بالرجوع إلى هذا الدليل، هكنا ذكره بعضهم، تمت.

(٤) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العلاف، شيخ البصرة من كبار المعتزلة، سمي بالعلاف؛ لأن داره بالبصرة كانت عند سوق العلف، ولد سنة ١٣١هـ وأخذ الكلام عن عثمان الصوري، وعثمان عن واصل، وروى الحديث عن محمد بن طلحة، وأخذ عنه الكلام أبو يعقوب الشحام وليس بذلك في الرواية، قال ابن حلكان: له مجالس ومناظرات، وهو من موالى عبد القيس، حسن الجدل، قوي الحجّة، كثير الاستعمال للأدلة اللازمية، وقال الحاكم: أسلم على يده سبعة آلاف نفس، توفي بسامراء سنة ٢٣٥هـ على الأصح.

(٥) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد الرصاص، عالم متبحر من أكابر العلماء، له شيوخ من أكابر العلماء كالشيخ محي الدين القرشي، والشهيد حميد وغيرهما، وله مؤلفات الجوهرة والوسيط وغرة الحقائق وكتاب الشجرة وغيرها، بنى على المهدي أحمد بن الحسين وكان ما كان، وقد قيل: أنه قاب.

وما لم يحل من المحدث ولم يتقدمه فهو محدث مثله، وهذه الدلالة مبسطة على أربع دعاوي وهي: أن في الجسم أعراضاً غيره، وأنها محدثة، وأن الجسم لم يحل منها ولم يتقدمها، وأن ما لم يحل من المحدث ولم يتقدمه فهو محدث، فهذه أربع.

أما الأولى<sup>(١)</sup>: وهي أن في الجسم عرضاً غيره، والعرض في اللغة: هو ما يعرض في الوجود ويقل لبثه.

وفي الاصطلاح: الحادث الذي لا يشغل الحيز<sup>(٢)</sup>، وهذا العرض هو غير الجسم عند مثبت المعاني<sup>(٣)</sup>.

وأما من جعله صفات كآبي الحسين فلا يجعله غيره بل في حكم الغير، وهذا مذهب الجمهور.

وقال حفص الفرد<sup>(٤)</sup> وجماعة من الفلاسفة وغيرهم: لا عرض في الجسم، وهؤلاء هم المعروفون بنفاة الأعراض.

وذهب أبو الحسين<sup>(٥)</sup> وابن الملاحمي<sup>(٦)</sup> والإمام يحيى إلى نفي المعاني وجعلوها

---

(١) والترتيب بين هذه الدعاوي الأربع كما قال الإمام المهدي -عليه السلام-: الأولى واجبة التقدير؛ لأنها كلام في ذات العرض. والثانية والثالثة لا ترتب بينهما إلا من جهة الحس؛ لأنهما في صفتين، والأهم تبيين أنها محدثة، والرابعة واجبة التأخير؛ لأنها نتيجة الكل. تمت غايات.

(٢) حقيقة الحيز: هو الفراغ الذي يشغله المتحيز، وهو ما يعبر عنه بهنا وهناك. اهـ بكري.

(٣) قد يطلق على بعض الأعراض لفظ المعنى، قيل: والمعنى في أصل اللغة بمعنى القصد، يقال: معاني أي قصدي، ثم نقل إلى المقصود، يقال: معاني أي مقصودي، وفي الاصطلاح: استعمل أولاً في كل ذات ثم قصر على الأعراض، فلما كثر الاستعمال قصر على المعاني الموحدة، فالمعنى على هذا أحص من العرض في الاصطلاح. انتهى كوكب وهاج للبكري.

(٤) هو حفص الفرد المصري البصري، ويكنى بأبي عمرو، عاش في النصف الأول من المائة الثانية، وبعض كتب الأصول تذكره باسم حفص الفرد كما في المحيط بالتكليف للفاضل عبد الجبار، وقد نقل عنه مما يمكن أن يكون وجه تسميته بهذا النقب كان في بداية أمره معتزلاً إلا أنه ترك الاعتزال إلى الخير؛ لحفص الفرد مناظرات مع أبي الهذيل وكتب الرد على النصاري.

(٥) أبو الحسين: هو محمد بن علي بن الطيب البصري في الطبقة الحادية عشرة من طوائف المعتزلة، قال الإمام يحيى: هو الرجل فيهم، قال ابن خلكان: كان جيد الكلام مليح العبارة غزير المادة، إمام وقته، له النصائيف

الأعراض صفات للجسم بالفاعل.

وقد قيل<sup>(١)</sup>: أن نفات الأعراض لا ينفون الصفات إذ هي ضرورة فيكون مذهبهم ومذهب أبي الحسين ومن معه مذهباً واحداً.

قال ابن زيد<sup>(٢)</sup>: ومذهب أبي الحسين مذهب القاسم والهادي، لنا على ثبوت الأكوان (التي هي الحركة والسكون والاجتماع والافتراق) أن الأجسام اتفقت في الجوهرية والتحيز والوجود، ثم اختلفت في الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، فلا بد أن يكون ما اختلفت فيه، أمراً زائداً على ما اتفقت فيه، وإلا كانت متفقة مختلفة في أمر واحد وهو محال.

وأما الدليل على إثبات المعاني وأن هذه الصفات موجبة عنها: هو أن الجسم حصل في جهة مع جواز أن يحصل في غيرها، والحال واحدة والشرط واحد، فلا بد من أمر له حصل كذلك، وذلك الأمر ليس إلا وجود معنى، والمراد بالحال<sup>(٣)</sup> ههنا: ما يصحح

---

الفائقة منها: المعتمد في أصول الفقه، نشره المعهد الفرنسي بدمشق، ومعه أخذ الرازي كتاب المحصول، وله تصحيح الأدلة في مجلدين، وشرح الأدلة في مجلد كبير، وشرح الأصول، وكتاب في الإمامة، وانفع الساس بكتبه، سكن بغداد وتوفي بها يوم الثلاثاء خامس شهر ربيع الآخر سنة ٤٣٧هـ.

(٦) محمود بن الملاحمي الخوارزمي يقال له تارة: ابن الملاحمي، وطوراً: بالخوارزمي، وهو من تلاميذ القاضي عبد الجبار، توفي سنة ٥٣٢هـ.

(١) المغاليل شارح الأسس. العلامة الشري - رحمه الله -.

(٢) هو عبيد الله بن زيد بن أحمد بن الحسين العنسي، ولد عام ٥٩٣هـ. ناصر الإمام المهدي أحمد بن الحسين - عليه السلام -، من مشائخه الأمير بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى، وله المؤلفات العظيمة النافعة كالخاتمة البيضاء والإرشاد وغيرها.

(٣) قد حقق المؤلف - رحمه الله - الحال على اصطلاح المعتزلة، ونزهد كلامه - عليه السلام - أيضاً مذهباً على مذهب القوم، فقول: قال في الكوكب الوهاج شرح المنهاج للعلامة البكري - رحمه الله -: أن الحال في أصل اللغة يستعمل في التغير يقال: حال إذا تغير، قال الشاعر:

لأن كان أباه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير

ولهذا قيل في السعة حول لتغيرها، وقيل: لو لم يحل ما سميت حولاً، أي لو لم تتغير، ويستعمل في العرف فيما عليه الشيء من ثبوت أو نفي تحيزاً أو شراً، ولهذا استعملوا المحاولة، وأما في الاصطلاح فالحال بالمعنى الأهم: هو الصفة بالمعنى الأخص، وحقيقته مطلقاً: هو كل أمر زائد على الذات راجع إلى الإثبات مقصور في العلم =

الصفة المعنوية وضدها، أو ما يجري مجرى ضدها إن كان، وذلك كالتحيز مثلاً فإنه المصحح لكونه مجتمعاً ولكونه مفترقاً، ونريد بالشرط<sup>(١)</sup> ههنا: ما كان مصححاً لهذه الحال وتحرير هذا الدليل في المطولات والغرض الاختصار.

وأما من قال: إنا لا نعقل إلا الصفات كأبي الحسين وغيره<sup>(٢)</sup>: فنقول: الحاصل لا يخلو إما أن يكون جسماً أو معنى أو صفة، لا يجوز أن يكون جسماً لوجهين: أحدهما: أن الواحد منا ليس بقادر على الجسم ولا يقف على اختياره، وكون الجسم متحركاً يقف على اختيارنا.

الثاني: أن كون الجسم متحركاً يتحدد ثبوته في حال بقائه، ولا يجوز أن تكون معاني؛ لأن المعاني تعلم على أفرادها، وكون المتحرك متحركاً لا يعلم على انفرادها، وإنما يعلم تبعاً للعلم بذوي الإحراك، فلم يبق إلا أنه صفة.

وأما الدعوى الثانية: وهي أن الأعراض محدثة فقد خالف في ذلك فرقة من الفلاسفة زعموا أنها قديمة، ولكنها تكمن وتظهر، وهؤلاء هم أهل الكمون والظهور، قلنا: الدليل على حدوثها أنها تعدم والقديم لا يعدم، أما أنها تعدم، فلأنه متى سكن

---

به على الذات، والحال في الصفة المعنوية: هو كل أمر يصحح الصفة المعنوية ونقبضها إذا كان لها بعض كما نقوله في كون الواحد منا حياً، فإنه مصحح لكونه عالماً ونقبضه وهو كونه جاهلاً... إلخ.

(١) قوله: ونريد بالشرط ههنا أي في الصفة المعنوية، والشرط في أصل اللغة: العلامة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَسْرَاطُهُمْ أَيُّ عِلَامَاتِهَا﴾. وأما في الاصطلاح فالشرط مطلقاً: هو كل أمر وقف به عليه أمر آخر من دون واسطة ولا تأثير، اهـ. أفاده الكري في شرحه على المنهاج.

(٢) قد استدل العلامة الشري - رحمه الله - في شرح الأساس بأدلة واضحة جلية على نفي المعاني، قال رحمه الله: وأرادوا بالأكوان والعلم والقدرة المعاني التي زعموها في الأجسام الموجبة برعهم، نحو الحركة والسكون، والعلم الموجب للعالمية، والقدرة الموجبة للقادرية، وقد مر إبطالها في فصل المؤثرات، وأيضاً فإنها لا يجد طريقاً إلى العلم بالكون الذي زعموه مؤثراً في الحركة والسكون ونحوهما، وإنما نجد المؤثر لهما الفاعل لأن الطرق التي توصل إلى العلم بالأشياء إما العقل أو الحواس الطاهرة، أو درك العوس، أو دليل الشرع، فمن ادعى عدم شيء من هذه الطرق فقد أحال، وهذا الكون الذي زعموه لا يدرك بأبصارها، فبطل وجوده فضلاً عن تأثيره... إلخ.

الجسم المتحرك عدمت الحركة التي كانت فيه، والعكس، وإنما قلنا: أنه عدم؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون باقياً فيه مع وجود ضده، أو منتقلاً منه إلى غيره، أم معدوماً كما نقول لا يصح أن يكون باقياً، إذ لو كان باقياً مع وجود ضده لكان الجسم متحركاً ساكناً مثلاً في حالة واحدة، وهو محال إذ المعاني توجب الصفات لما هي عليه في ذاتها، فيلزم أن توجبها في كل أوقات وجودها إذ لا اختصاص لذلك بوقت دون وقت، ولا يصح أن يكون المعنى منتقلاً، وإلا لكان العرض منتقلاً، وانتقاله محال؛ لأنه إن أريد بالانتقال ما هو المعقول من أنه تفريغ جهة وشغل أخرى فهو إنما ثبت في المتحيزات وبه تتميز عن غيرها، والأعراض ليست بمتحيزة وإلا لم يصح اجتماع الأعراض الكثيرة في المحل الواحد.

وإن أريد بالانتقال أن تحل محلاً آخر غير محلها الأول فهو لا يصح؛ لأن حلول العرض في المحل المعين له كيفية في وجوده، وكيفية الوجود لا تفارقه، فلم يبق إلا أن يكون معدوماً، وأما أن القديم لا يعدم، فلأن جواز القدم ينسافي وجوب الوجود ويقضي أن الموجود والمعدوم على سواء في الجواز، وإذا كان كذلك لم يكن الوجود أولى من العدم إلا بمخصص والمخصص باطل.

وأما الدعوى الثالثة: وهو أن الأجسام لم تخل من الأعراض المحدثنة ولم تتقدمها في الوجود، والمراد بالأعراض التي لم يخل منها الجسم الأكوان الخمسة وهي: الحركة، والسكون، والاجتماع، والافتراق، والكون المطلق، وأما ما عداها من الأعراض<sup>(١)</sup> فهي

(١) اعلم أن للمتكلمين كلاماً في الأعراض وفي تقسيمها، وقد أردنا أن نبين شيئاً من ذلك لما فيه من الفائدة وقد اعتمدنا على المراجع للإمام عز الدين -عليه السلام- فنقول: إن الخلاف فيها من جهتين، الأولى: ذهب جمهور الرعية والمعتزلة والنجارية إلى أنها مستقلة بالمعلومية، وذهب الشيخ أبو إسحاق بن عمار وأبو الحسين وابن الملاحي والإمام يحيى بن حمزة إلى أنها صفات وأحوال بالفاعل.

الثانية: اختلف في أعدادها، فزاد أبو علي على الاثنين والعشرين ونقص بعضهم، وذهب الجمهور من مثبتها إلى أنها اثنان وعشرون جنساً، وهي: (اللون)، حقيقته: المعنى الذي يكون هيئة لحنه، وقيل: المعنى المسدرك بحاسة البصر، وأنواعه خمسة. (والطعم) حقيقته: المعنى المدرك باللهوات، وأنواعه خمسة: حلاوة وحموضة،

على ضربين: ضرب غير باق فيجوز خلو الجسم عنه قبل وجوده وبعد وجوده، وذلك كالصوت والاعتماد. وضرب باق، فيجوز خلو الجسم عنه قبل وجوده في الجسم، فإن وجد لم يجز خلوه عنه إلا لأمر يرجع إلى الجسم وذلك

كاللون فإنه يجوز أن لا يوجد الله في الجسم الذي خلقه لوناً، وإن أوجد سواداً مثلاً لم يجز أن يخلو ذلك الجسم عن جنس من أجناس اللون، وإن جاز خلوه من السواد،

وهما ظاهران، ومرارة كطعم المر، وملوحة كطعم الملح، وحرارة كطعم الفلفل والزنجبيل، (والمالحة) حقيقتها: المعنى المدرك بالحشوم، وتنقسم إلى رائحة طيبة ورائحة خبيثة، (والحرارة) حقيقتها: المعنى المدرك بمحل الحياة في غير محلها، (والبرودة) حقيقتها كذلك (أي كحقيقة الحرارة) وقد ذكر الإمام -عليه السلام- من أحكام اللون وما بعده أنها مدركة، وأنها من الأعراض الباقية، وأنها غير موجبة، وأنه يدخل فيها المماثل والتضاد دون الاختلاف، وأنها لا توجد إلا في محل.

(والرطوبة) حقيقتها: المعنى الموجب انغماز المحل، ومن أحكامها أنها باقية غير مدركة. (واليبوسة) حقيقتها: المعنى الموجب نيل المحل، (والشهوة) حقيقتها: المعنى الموجب كون الحي حياة مشتهياً، ومن أحكامها: أنها غير مدركة وغير باقية وغير ذلك، (والنفرة) حقيقتها: المعنى الموجب كون الحي بحياة نافراً وتشارك الشهوة في أحكامها، (والحياة) حقيقتها: المعنى الموجب كون الواحد من حياً، أو المعنى الموجب كون الأجزاء الكثيرة في حكم الشيء الواحد. (والقدرة) حقيقتها: المعنى الموجب كون الحي بحياة قادراً. (والفناء) حقيقتها: المعنى الموجب عند وجوده انتفاء الجواهر، (والكون) حقيقته: المعنى الموجب كون محله كائناً في جهة، (والاعتماد) حقيقته: المعنى الموجب تدافع المحل في بعض الجهات، وينقسم إلى لازم ومختلف، واللازم ينقسم إلى علوي كاعتماد النار، وسفلي كاعتماد الحجر، والمختلف يقع في الجهات الست، (والتأليف) حقيقته: المعنى الموجب لصعوبة التفكيك عند مقارنة الرطوبة واليبوسة، (والصوت) حقيقته: المعنى المدرك بحاسة السمع، (والألم) حقيقته: المعنى المدرك بمحل الحياة في محلها مع مقارنة الفرة، فإن قارنت حسه الشهوة فهو اللذة. (والاعتقاد) حقيقته: المعنى الموجب كون الواحد ما معتقداً، (والإرادة) حقيقتها: المعنى الموجب كون الحي مريداً. (والكراهة) حقيقتها: المعنى الموجب كون الحي كارهياً، (والظن) حقيقته: المعنى الموجب كون الواحد منا ظاناً. (والفكر) حقيقته: المعنى الموجب كون الواحد منا متفكراً.

هكذا أوردتها الإمام -عليه السلام-، وقد نقلنا أكثر كلامه مع الاختصار لبعض الأحكام. ثم قال تنبيه: قد عرف بما ذكر تسمية كل عرض معنى، ولهذا جعل لفظ المعنى حساً لحقائقها، والمعنى في اللغة: المراد من عبت كذا (أي أردته). وفي الاصطلاح: الذات المستعمل أولاً في كل ذات ثم قصره على الأعراض وعليه بنيت هذه الحقائق، وقد يقصر في اصطلاح محاصر على المعاني الموجبة، وتنقسم هذه الأعراض إلى مقدور لله تعالى فقط، وهو الاثنى عشر الأولى، وهو الصحيح، وإلى مقدور للعباد، والمعنى أنهم يقدرون عليها، وليس المراد أنه لا يقدر عليها إلا هم، فالباري تعالى يقدر من أجناسها في الوقت الواحد والمحل الواحد على مالا نهاية له اهـ.

فإذا تحققت هذا فالذي لا يخلو عنه الجسم هو الكون المطلق الحاصل حالة حدوثه، وما عداه فقد تقدم الجسم عليه وإن أمكن الاستدلال به على حدوث الجسم؛ لأن الجسم لم يسبقه إلا بوقت واحد، وقد خالف في ذلك فرقة من الفلاسفة فقالوا بالأكون وأنها محدثة، إلا أنهم قالوا: إن أصل العالم متغير عنها ثم حصلت بعد ذلك.

وقالوا: إن هيولى الجسم قديمة خالية عن العرض حتى حلتها الصورة، ويريدون بالهيولى أصل الشيء المنزّل منزلة الطين من اللبن، وبالصورة ما يحصل من التركيب المنزل منزلة التزبيج منه.

قلنا: إن الجسم لا يحصل إلا في جهة بالضرورة فيما نشاهده وبجماع التحيز فيما غاب عنا، ولسنا نعني بالكون أكثر من حصوله في الجهة، ولكن التسمية تغير عليه فيسمى سكوناً إن لبث به الجسم أكثر من وقت واحد، أو حركة إذا انتقل به، واجتماعاً إذا وجد مع الجوهر غيره وكان بالقرب منه، وافتراقاً إذا كان ذلك الغير بالبعد منه.

وأما قولهم: بالهيولى والصورة فإنه باطل؛ لأنهما غير معقولين ولا طريق إليهما، ولأنهما إذا كانا قديمين غير متحيزين لم يكن أحدهما بأن يكون هيولى والآخر صورة، ولا بأن يكون حالاً والآخر محلاً أولى من العكس لاشتراكهما في القدم.

وأما الدعوى الرابعة (و) هي: (أن ما لم يخل من المحدث ولم يتقدمه في الوجود فهو محدث) فقول العلم بها ضرورة، وقال بعض العلماء: بل هي استدلالية فتحتاج إلى النظر والاستدلال.

وزعم ابن الراوندي<sup>(١)</sup> والفلاسفة: أن الجسم قديم وهو لم يخل من الأعراض المحدثه بأن يحصل في الجسم حادث قبله حادث إلى ما لا أول له، والجسم وإن قسارن جملة

(١) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى الراوندي، روي عنه التزيدي بعد أن كان من المعتزلة من الطبقة الثامنة، نشأ في بغداد وأصله من راوند أصبهان، توفي سنة ٢٩٨ هـ.



الحوادث فلا أول لها، فكذلك لا أول له، وقولهم بحوادث لا أول لها ظاهر الفساد؛ لأنه إذا كان كل واحد من هذه الحوادث له فاعل كما سيأتي، وحق الفاعل أن يتقدم على فعله كان في ذلك تقدمه على جميعها، فلا يستقيم حصول شيء منها فيما لا أول له لتقدم غيرها عليها.

(فثبت) بما تقرر من الأصول الأربعة (أن هذه الأجسام محدثة) وظهر بطلان قول من قال بتقدمها.

قيل: (و) قد اتفق العقلاء على أنه لا بد من محدث لهذا المحدث، قيل: والعلم بذلك ضروري، المهدي أحمد بن يحيى: بل استدلالي في الأصح، وإليه ذهب الجمهور والمؤلف فقال: (والذي يدل على أن المحدث لا بد له من محدث أنه) قد وجد في بعض المحدثات ما فيه إحكام عظيم، وصنعة باهرة، وإتقان عجيب، فلو كان ذلك لا من مؤثر، أو من موجب لصح أن يجتمع ألواح في البحر، ويركب منها سفينة محكمة من دون صانع بطبع تلك الألواح، وأيضاً فإن الجسم (إذا كان في الأصل معدوماً، ثم خرج من العدم إلى الوجود لم يكن بد من مخرج أخرجه، وإلا لوجب بقاؤه على عدمه الأصلي) إذ قد أثبتنا وجوده بالأدلة بعد أن لم يكن (وذلك يعلم بأدنى نظر) ولذلك ادعى بعضهم أنه ضروري كما سبق.

وإنما قلنا: أنه استدلالي؛ لأنه لو كان ضرورياً لكان بديهياً؛ لأن الضروري الحاصل عن طريق ليس إلا عن المشاهدة، أو الأخبار المتواترة، أو عن الخبرة والتجربة على قول، ولا شيء من هذه الطرق حاصل ههنا، ولو كان بديهياً أيضاً لاشتراك العقلاء فيه، وفيه خلاف فإمامة فإنه يقول: لا محدث للمتولدات مع اعترافه بمحدثاتها، وعموم الملحدة يقرون بمحدث الدجاجة والبيضة ولا يقرون بمحدث، وكذلك سائر الحوادث اليومية.

(فثبت) بما تقرر من الأدلة (أن لهذا العالم صانعاً صنعه، ومدبراً دبره وهو الله)

وفيه مخالفة الفلاسفة<sup>(١)</sup> القائلين بالعقول والأنفس، والباطنية<sup>(٢)</sup> القائلين بالسابق والتالي، وأهل الطبع وأصحاب النجوم، لنا: أنها إما أن تكون أحدثت نفسها أو غيرها، والأول باطل؛ لأنها حالة العدم يستحيل أن تقدر فضلاً عن أن تؤثر في نفسها، وحالة الوجود تستغني عن المؤثر، وإن أحدثها غيرها فهو إما مختار كما نقول، أو موجب، الثاني باطل؛ لأن ذلك الموجب إن كان محدثاً عاد الكلام في محدثه حتى ينتهي إلى المختار، وإن كان قديماً لزم أن تحصل الأجسام دفعة واحدة في جهة واحدة، بل في كل الجهات؛ لأنه لا يخصها بوقت دون وقت، وجهة دون جهة إلا المختار، ويسنزم أن تكون لصفة واحدة؛ لأنه ليس بعضها بأن يوجب كون الماء ماءً والطين طيناً أولى من العكس، ولا بأن يوجب كون الماء رطباً والطين يابساً أولى من العكس.

فإن قال: إنما لم توجب في الأزل لحصول مانع أو فقد شرط.

قيل له: ذلك المانع إن كان محدثاً عاد الكلام في كون محدثه مختاراً أو موجباً، وإن كان قديماً استحال عليه الزوال، فلا يوجد العالم أبداً لاستمرار المانع.

ويقال للفلاسفة: أي شيء العقول والنفوس وما الدليل على ثبوتها؟ وإذا كانت قديمة فلم كان البعض بأن يؤثر في البعض أولى من العكس؟ ولم كان البعض بأن يكون عقلاً والآخر نفساً أولى من العكس؟ وما الدليل على أن الأفلاك حية وأن لها نفوساً؟

وبقريب من هذا الكلام يبطل قول الباطنية؛ لأن منزههم بضاهي مذهب الفلاسفة؛ لإثباتهم علة قديمة صدر عنها السابق وعن السابق تالي، وعن التالي نفس كلية، كما أن

---

(١) الفلسفة: اسم في اللغة اليونانية لمحبة الحكمة، فالفيلسوف هو محب الحكمة، وقيل: مركبة من (فيل) وهو اسم للمحب و(سوف) اسم للحكمة. اهـ. معراج.

(٢) الذي حصل المتكلمون من مقالاتهم القول بأصلين روحانيين أحدهما: السابق، والآخر: التالي، وأن السابق ظهر منه التالي، ثم اختلفوا فقالوا: بأنهما مديران للعام السفلي معاً، وقائل: بأن المدير هو التالي فقط، والسابق فاعل للأجسام النافعة، والتالي فاعل للأجسام الصارة، وهذا بعينه مذهب الجوس، واختلف في تفسير السابق والتالي فقبل: ملكان، وقبل: الروح والقلم، وقبل: العقل والنفس، قيل: ولا يكاد يعرف لهم مذهب لتسريحهم. اهـ. معراج.

الفلاسفة أثبتت علة قديمة وصدر عقل عنها، فالكلام متقارب وإن اختلفت العبارة.

وأما الطبائعية فيبطل قولهم: أن الطبع الذي نسبوا إليه التأثير غير معقول وأن من حق ما ينسب إليه التأثير أن يكون أمراً معقولاً مميزاً موجوداً.

وأما الطبع: الذي أثبتته أهل اللغة فهو وإن كان معقولاً فهو ليس بأمر وجودي بل أمر اعتباري، ومعناه العادة والسجية، وأيضاً فالطبع شيء واحد، فما الأَمْسَر الذي اقتضى وقوع الأشياء على هذا الترتيب البديع والحكمة الباهرة، ووقوعها بحسب المصالح في كل وقت؟ وأيضاً فالطبع إما موجود أو معدوم، والموجود إما قديم أو محدث، القسمة الأولى بعينها في أول المسألة.

وأما أصحاب النجوم: وهم فرقة من الفلاسفة وغيرهم، فالنجوم عند المسلمين جمادات سخرها الله تعالى بأمره ودبر حركاتها بمشيئته، خلقها تعالى حكمة لمنافع عبده لما فيها من الألفاف لهم، وزينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها كما حكى الله تعالى، فالذي يبطل قول من جعلها فاعلةً مختارةً أنها غير حية،<sup>(١)</sup> ولا قدرة والفعل لا يصح إلا من حي قادر ضرورة فبطل ما قاله المخالف، والنجوم التي زعموها مؤثرة سبعة هي: زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر، على اختلاف بينهم، فمنهم من يقول: تأثيرها على جهة الإيجاب ولا قدرة لها، ومنهم من يقول: بل على جهة الصحة والاختيار، وهي حية قادرة عالمة، وهذه دعوى لا دليل عليها، ولا يصح تأثير جسم في إيجاد جسم ولا إحداثه، فإذا بطل قولهم لم يبق إلا أن المؤثر هو الصانع المختار، والحمد لله.

(١) من هنا موضع النقص الذي أشرنا إليه، وإتمام ذلك وتكميله أول ذلك لعظة: (ولا قدرة) ومنبه على غمام ذلك .. عبدالرحمن حسين شايم وفقه الله.

## (المسألة الثانية: أن الله تعالى قادر)

وحقيقة القادر: هو من يصح منه الفعل مع سلامة الأحوال، هذا الحد ذكره ابن الملاحمي وبعض أصحابنا، وهو بناء على ما ذهب إليه ابن الملاحمي وأبو الحسين من أن صدور الفعل من الفاعل على سبيل الصحة والاختيار يُعلم ضرورة أنه يقتضي قدرته. وعند المتقدمين: القادر: هو المختص بصفة لكونه عليها يصح منه الفعل مع سلامة الأحوال.

فقوله المختص بصفة: جنس الحد، وقوله لكونه عليها: أي لأجل اختصاصه بها، وقوله يصح منه الفعل: فصل مخرج لما تناوله الجنس، والمراد بالصحة: ما كان على وجه الاختيار لا الصحة التي تقابل الاستحالة، فإنها لا تدل على القادرية كالمسببات، وقوله مع سلامة الأحوال: يعني ما لم يكن ثم مانع أو ما يجري مجرى المانع، والمراد بالمانع: هو الضد كأن يريد أحدا حمل شيء فيعتمد عليه من هو أكبر منه قدراً، فالمنع هو الضد لفعلك، وال ضد هو ما فعله الأقوى من السكون، والذي يجري مجراه هو القيد والحبس، فإنهما يمنعان من كثير من الأفعال، وهما جاريان مجرى الضد؛ لكونه يتعذر معهما الفعل كما يتعذر عند حصول الضد، أفاد هذا صاحب الفياضة.

وقيل: هو المختص بصفة؛ لكونه عليها يصح منه الفعل ما لم يكن ثم مانع أو ما يجري مجراه، ولم يكن الفعل مستحيلاً في نفسه كوجوده فيما لم يزل، وهذا الحد قريب من الأول، وقيل في حده: هو الذي إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل.

والقول بأن الله قادر هو قول من يُقرُّ بالصانع المختار (والدليل على ذلك) المذهب الصحيح (أن الفعل) وهو ما وجد من جهة من كان قادراً عليه، وهذا الحد

اعتمده الأمير الحسين -عليه السلام-<sup>(١)</sup> والقرشي، وقال قاضي القضاة<sup>(٢)</sup>: الفعل هو ما يحصل من قادر من الحوادث... واعتزضه السيد<sup>(٣)</sup> الإمام في الشرح، وقال الإمام المهدي<sup>(٤)</sup> -عليه السلام-: هو ما أثر في وجوده قادية.

**وحقيقة الفاعل:** هو الذي وحد من جهته بعض ما كان قادراً عليه... أفاده الأمير الحسين -عليه السلام- والقرشي، ثم قال: وقلنا بعض؛ لأن الفاعل يكون فاعلاً وإن لم توجد جميع مقدراته، انتهى.

(١) هو الأمير الحسين بن الأمير بدر الدين أحمد بن يحيى بن يحيى، توفي حوالي ٦٦٣ هـ، وله مؤلفات: منها الشفاء (في العسة)، والمدخل، والذريعة، والقرير (فقه)، وبابيع الصبحة، وثمر الأثمار وغيرها.

(٢) قاضي القضاة: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الإسفهايني المعنزي، أبو الحسن إذا أطلق القاضي في كتب العدلية فهو هذا، وفي كتب الأشاعرة الباقلاني، حدث عن أبي الحسن الفطال والزبير بن عبد الواحد وأخبر، وأحد علم الكلام عن أبي عبد الله المصري، وحدث عنه عبد السلام القزويني والموفق بالله الحرطاني، وأحد علم الكلام الإمام المزيدي بالله، وأبو عبد الله الحاكم والعماد وأخرون، وقال في تاريخ غزوين، وله أمالي كثيرة سمع منها بعضها بالري وبعضها بقروين وتوفي بالمري سنة ٤١٥ هـ.

(٣) هو الإمام مانكديم المستظهر بالله أحمد بن الحسين بن أبي هاشم محمد، دعي عام ٤١١ هـ توفي يوم وعشرون وأربعمئة بالري، ومعنى مانكديم وجه القمر، وله من المؤلفات شرح الأصول الخمسة.

(٤) المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الحسيني ينسب إلى الإمام الهادي -عليه السلام-، قال السيد الخافض: هو إمام الزيدية في كل من، وقال القاضي: ارتضع ندي العلم، وربي في حجر الخلم، وقدره لا يحتاج إلى وصف واصف، وحله يفتي عن تعريف عارف كما قال بعضهم: مهما باشرت عم الفقه وجدت الحم العنبر يعزفون من نحره، ويشجعون من عبه وربيته، فالدفاتر بعده وإن تعددت فشبهها أحمد، أو عدوت الطلاء فهو واسطة عقدها المضد، أو حضت علم الكلام إلى العايات وجدت من بعده يدانلود العارات، فكم من عانص في نحره قد سقط الدرر الفرائد، وعاطل نحره قد حلاه بالخواهر واليوافيت والقلائد، وسيرته مشهورة، قال المقلبي: الإمام المهدي هو الذي أخرج مذهب الزيدية إلى حيز الوجود، ولد بمدينة دمار سنة ٧٩٣ هـ، ودعا إلى الله بعد موت الناصر صلاح الدين محمد بن علي -عليه السلام- سنة ثلاث وتسعين وسعمائة، إلا أنها لم تدم سوى شهر، فقد حاربه الإمام علي بن صلاح ثم أسره وسجنه حوالي سبع سنين بدمشق، وقد تفرغ في سجنه للعلم فأفاد الأمة بمولماته وتحقيقاته، ولا تزال كتبه إلى الآن المصادر الأساسية للفقه الزيدي، وقد جمع الإمام علم المتقدمين والمتأخرين، ومولماته تقدر سبع وسعين مؤلفاً، توفي الإمام -عليه السلام- سنة ٨٤٠ هـ وقمره بظلمير حجة مشهور مزور، ويوجد مسجده مكتبة فيها كتب قيمة، نسأل الله أن يهيئ لنا من نرجوها إلى النور.

(قد صح منه) والمراد الصحة التي تقابل الاختيار لا الصحة التي تقابل الاستحالة كما تقدم (والفعل لا يصح إلا من قادر) ضرورة (دليل ذلك أننا وجدنا في الشاهد ذاتين: أحدهما: إذا حاول حملاً ثقیلاً حملاً، والآخر: يتعذر عليه، فالذي صح منه الفعل يجب أن يفارق من تعذر عليه ذلك).

اعلم أن هذا الدليل هو من قياس الغائب وهو الله جل جلاله على الشاهد، وهو الواحد منا بعله جامعة، قالوا: لأن طرق الأدلة لا تختلف شاهداً ولا غائباً.

قالوا: وثبتت المفارقة معلوم ضرورة، وكلام الإمام القاسم بن محمد<sup>(١)</sup> -عليه السلام- أن صحة الفعل لا تكون إلا من قادر ضرورة، انتهى.

فالعلم بذلك ضروري ولا نحتاج إلى الاستدلال بالقياس؛ لأن الفعل قد صح منه تعالى، وكل من صح منه الفعل فهو قادر.

قال مولانا العلامة الإمام علي بن محمد العجصري<sup>(٢)</sup> -رحمه الله- في (مفتاح السعادة): اعلم: أن هذا الدليل المركب من القياس وما ذكره الجري<sup>(٣)</sup> مبيان على ما ذهب إليه الأكثر أن هذه الصفة أمر وجودي زائد على الذات، وأما على ما ذهب إليه الأئمة عليهم السلام ومن وافقهم ممن بنى الأحوال، فالدليل على قادرينه عندهم ما

---

(١) الإمام القاسم بن محمد -عليه السلام-: هو الإمام الأجل المنصور بالله عز وجل، أبو محمد القاسم بن محمد بن علي بنتهى نسه إلى الإمام الهادي إلى الحق المبين يحيى بن الحسين -عليهم السلام-، قام بعد إمامه من خروج الإمام الناصر الحسن بن علي في المحرم سنة ست وألف، وطهر الأرض من الردى، ونشر فيها الإيمان والمهدي، توفي في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف عن اثنين وستين سنة.

(٢) هو السيد العلامة الولي بن الولي علي بن محمد بن يحيى بن أحمد بن الحسين بن محمد المنقب بالعجري، مولده في محرة فله عام ١٣٢٠هـ، وتوفي في ليلة الخميس ١٩ رجب ١٤٠٧هـ له مؤلفات منها: (مفتاح السعادة)، (والفتاوى) وغير ذلك من الفوائد.

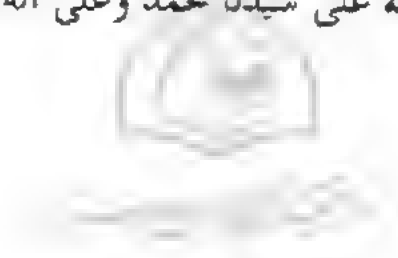
(٣) الجري: هو عبد الله بن محمد بن أبي القاسم الجري، توفي سنة ٨٧٧هـ أحد علماء الرابطة المتكلمين، اهتم كثيراً بشرح كتب الإمام المهدي -عليه السلام-، ومن كتبه: (شافي الغليل في شرح آيات الأحكام)، و (مرقاة الأنظار المنتزعة من غابات الأفكار شرح القلائد للإمام المهدي من مقدمة البحر الرحار).

مر من أن العلم بأن صحة الفعل لا تكون إلا من قادر ضرورة، انتهى.

(و) يجب (أن يختص القادر عليه بمزية، تلك المزية هي التي عبرنا عنها بكونه قادراً، فإذا كان الله سبحانه قد صح منه من الأفعال ما يتعذر على غيره ثبت أنه تعالى قادر) وقال ابن حابس<sup>(١)</sup> رحمه الله: إن هذا ليس بقياس، وإنما هو رجوع إلى كلية. انتهى.

ولا شك في إثبات صفة القادرة للقادر، ومرجعها عند أئمتنا عليهم السلام إلى ذات الباري جل وعلا، وفي الشاهد إلى البنية المخصوصة.

واعلم: أنه يلزم المكلف أن يعلم أن الله تعالى قادر فيما لم يزل وفيما لا يزال، ولا يجوز خروجه عن هذه الصفة في حال من الأحوال، ويعلم أنه تعالى قادر على جميع أجناس المقدورات، ومن كل جنس على ما لا يتناهى، فلا تنحصر مقدوراته جل وعلا جنساً ولا عدداً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.



---

(١) شمس الدين أحمد بن يحيى بن أحمد حابس، تولى - رحمه الله - قبل الفجر يوم الاثنين سنة ١٠٦١ هـ.

### (المسألة الثالثة: أن الله سبحانه عالم)

قال القرشي: حقيقة العالم: هو المختص بصفة؛ لكونه عليها لمكانها يصح منه الأحكام تحقيقاً أو تقديرًا، وزاد غيره إذا لم يكن ثم مانع، ولا ما يجري مجراه، فقوله: المختص بصفة جنس الحد، وقوله لمكانها: يعني لاختصاصه بها، وقوله: يصح منه الأحكام، أي يصح منه الفعل المحكم، وهو فصل يُخرج غير المحدود، ومعنى الأحكام: إيجاد فعل عقيب فعل، أو مع فعل على وجه لا يتأني من كل قادر ابتداءً، والمحكم (بكسر الكاف): هو المرتب لذلك، والمحكم (بفتح الكاف): هو الفعل المرتب، وقوله: في الحد أو تقديرًا، أراد به مالا يكون مقدوراً كفعل الغير، أو يكون مقدوراً لكن لا يصح إحكامه كالفعل الواحد، فإن ما هذا حاله يصح إحكامه تقديرًا بمعنى أنه لو كان مقدوراً، ومما يصح ترتيبه لأحكامه، والمراد بالمانع: الضد، كأن يريد أحداً كتابة فيمسك الغير يده، فيفعل من الأكوان ضد ما يريد الكاتب فعله، والذي يجري مجراه عدم الآلات كعدم القلم، وقد أورد على هذا الحد أسئلة وأجيب عنها.

وقال أبو الحسين وابن الملاحمي: العالم: هو المتبين لأمر من الأمور تبييناً يمتنع معه في نفسه تجويز خلافه. انتهى.

واعترضه القرشي، وقال ابن حابس<sup>(١)</sup> رحمه الله: هو من يمكنه إحكام الأشياء المتباينة وتمييز كل منها بما يميزه، أو من أدرك الأشياء إدراك تمييز وإن لم يقدر على فعل محكم.

والقول بأنه تعالى عالم هو قول من يقر بالصانع المختار (والدليل على ذلك أن الأفعال المحكمة قد صحت منه ابتداءً) والمراد وجودها منه تعالى على سبيل الصحة

(١) هذا الذي ذكره ابن حابس هو لفظ الأسس للإمام القاسم بن محمد - عليه السلام -.



والاختيار كما مر في مسألة قادر (والأفعال المحكمة لا تصح إلا من عالم، والدليل على أن الأفعال المحكمة قد صحت منه ابتداءً أنه أوجد العالم على سبيل الترتيب والنظام؛ لأن فيه من بدائع الحكمة وعجائب الصنعة ما يزيد على كل صناعة محكمة في الشاهد من بناء وكتابة وغيرهما) وإذا نظر المتأمل إلى خلق السماء المرفوعة وكونها كالسقف، وإلى الأرض المبسوطة، وإلى ما أعد الله فيها من النبات، ومن المياه الجارية والمستخرجة، والجبال الراسية، والأنهار، والآكام، والشَّم الشوامخ، وإلى زينة السماء بالشمس والقمر، وحكمة مطالعتهما ومغار بهما وكونهما ضياءً، وإلى الشَّهَب التي هي كالمصابيح المضيئة، فالسما والارض كالبيت المسقوف، والقمران والنجوم كالمصابيح المعدة للاهتداء بها إلى رؤية ما في البيت، والواحد منها كالمالك المتصرف في بيته مع الشموع المشتعلة والمصابيح المضيئة.

ثم انظر إلى خلق الإنسان وتركيبه، فقد كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحماً ودماً ثم عظاماً صلبة متفرقة في ذلك اللحم، والدم يقربهما، وعصباً رابطة بين تلك العظام صالحة لذلك الربط بما فيها من القوة والمتانة، ثم تتركب من ذلك آلات وحواس حية موافقة للمصالح مع ضيق ذلك المكان وشدة ظلمته، وإلى ذلك أشار تعالى بقول: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّاهُ رَبُّكُمْ﴾ [الر: ١٦] والظلمات الثلاث: هي ظلمة البطن، وظلمة المشيمة<sup>(١)</sup>، وظلمة الرحم، ثم انظر موضع العينين<sup>(٢)</sup> ما أنسبهما بموضعهما مرتفعتان عما يؤذيها، محفوفتان بالأحفا عن القذا، في موضع لا يحتاجان إلى التغطية باللباس فلم يكونا في ظهر ولا بطن مع الجمال البديع.

وانظر إلى ستر القدر في البطن بالسواتر العظيمة، بحيث لا يُحس له حس، ولا يظهر

(١) المشيمة: هو الغشاء الذي على الولد.

(٢) إلى ها انتهى ما كملنا به موضع الفص، والله ولي الهداية. عبدالرحمن حسن شايم عفر الله له.

له ربح، ولا يخرج إلا باختيارنا، وأن من عجيب الصنع استمساك البول في حالة الغفلة والنوم، حتى يرضى خروجه ويختاره من غير رباط ولا سدادة في مجرى، ولا مانع محسوس.

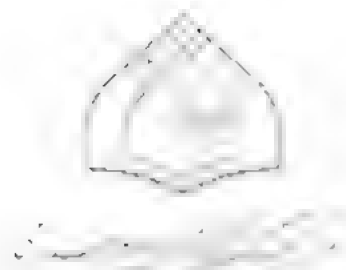
ثم حياتنا في بطون الأمهات، ولو غم الإنسان ساعة لمات كما في كثير ممن يدفن في الحبوس مع سعتها، ثم خروجنا من ذلك المكان الضيق بغير اختيار من الوالدة والمولود، وهو فعل محكم صعب لا بد له من فاعل مختار، ثم إحداث اللبن في ثدي الأم من بين فرث ودم.

وتربية المولود وفهمه للغة أهله كيف كانت، فصيحة عربية، أو غيرها، مع أن العاقل مع كثرة مجالسته لغير أهل لغته لا يعرف من ذلك ما عرف الصغير الذي لا عقل له ولا تمييز. إلى غير ذلك من عجائب الملكوت التي لا تحصى.

فلو جاز أن يكون هذا بغير صانع لجاز أن يصح لنا دور معمورة ومصاحف مكتوبة وغير ذلك بغير بان ولا كاتب، ولو كان هذا أثر طبع لكانت أثراً واحداً، كما لو جمدت النطف بفعل البرد (والدليل على أن الأفعال المرتبة المنظومة لا تصح إلا من عالم، أنا وجدنا في الشاهد قادرين) وهذه عبارة جيدة، وهي أولى من أن يقال ذاتين أو جملتين أو حيين؛ لأنه قد استغنى بإيراد هذه العبارة عن إبطال أن يكون المؤثر في صحة الإحكام كون المؤثر ذاتاً أو جملة أو حياً من حيث أن (أحدهما) وهو من (من تصح منه الكتابة المحكمة المرتبة) كالكاتب، (و) نحوه قد شاركه (الآخر) وهو من (يتعذر عليه ذلك كالأمي) في جميع تلك الأمور) ولم تصح منه الكتابة المحكمة، (فالذي يصح منه ذلك يجب أن يفارق من تعذر عليه، ويختص عليه بمزية، تلك المزية هي التي عبرنا عنها بكونه عالماً) بفعل المحكم (فتثبت) بالدليل القطعي (أن الله عالم).

وقولنا: في حد العالم مع القدرة على فعلها غير محكمة لدفع ما يقال لا نسلم أن

الإحكام دليل العالمية، فإن النحلة وهي من العالم البهيمي لها عمل متقن في بيوتها كما نشاهد ذلك، وغميزها العسل من الشمع وذلك بين، وكذلك شيء من الطير؛ لأن هذه الحيوانات لا تقدر على فعلها كذلك إلا بإلهام الله لها.



### (المسألة الرابعة: أنه يجب على كل مكلف أن يعلم (أن الله تعالى حي)

وحقيقة الحي: من يمكنه إدراك الأشياء عند اجتماع شرائط الإدراك والقدرة عليها مع سلامة الأحوال، وقيل: هو المختص بصفة لمكانها يصح أن يقدر ويعلم.

ذهب المسلمون وكثير من الناس إلى أن الله تعالى حي، والخلاف في ذلك على نحو ما مر في مسألة قادر (والدليل على ذلك) المذهب الصحيح ما تقرر من الأدلة القاطعة من (أنه تعالى قادر عالم) وإنما خص الاستدلال بهاتين الصفتين على كونه حياً دون سائر الصفات التي تصحبها الحية؛ لأن سائرهما منها ما لا تصحبه الحية له تعالى، وهي كونه مشتتياً ونافراً وظاناً وناظراً، إذ لا تصحبها إلا بشروط لا تحصل في حقه، ومنها ما لا يصح العلم بصحتها إلا بعد العلم بكونه حياً ككونه مدركاً ومريداً وكارهاً، فلم يبق مما يصحبه ما يعلم أنه يصح عليه تعالى قبل العلم بكونه حياً إلا القادرة والعالمية، وقد جرت عادة المتكلمين على الجمع بينهما في الاستدلال على الحية وإلا فأحدهما كاف.

(و) إذا قد ثبت أنه قادر عالم عليم أن (القادر العالم لا يكون إلا حياً) فهذان أصلان لا بد لكل واحد منهما من دليل، (أما الدليل على أنه تعالى قادر عالم فقد تقدم) في مسألة قادر ومسألة عالم، وأما الدليل على أن القادر العالم لا يكون إلا حياً فهو في الجملة معلوم ضرورة، ولهذا يصفه العقلاء بأنه حي.

وأيضاً فلأن الميت والجماد لا يعلمان شيئاً، ولا يقدران عليه، فلا بد من مفارقة لولاها لما صح من أحدهما ما استحال على الآخر، وليس ذلك إلا كونه حياً، (فثبت) بما تقرر من الدليل القاطع (أن الله تعالى حي).

### (المسألة الخامسة: أن الله تعالى سميع بصير)

والمرجع بهما عند الجمهور إلى أنه تعالى لا آفة به، وحكي عن أبي هاشم إثبات حالة زائدة، وهو لا يصح؛ لأن العلم بكونه سمياً بصيراً يدور على كونه حياً لا آفة به ثبوتاً وانتفاءً، ولو كانت غيرين لصح انفصال أحدهما عن الأخرى.

وحكى الإمام القاسم بن محمد - عادت بركاته - عن جمهور أئمتنا والبغدادية<sup>(١)</sup>:  
أنهما بمعنى عالم؛ لأن السميع حقيقة لغوية مستعملة لمن يصح أن يدرك المسموع بمعنى محله الصماخ، والبصير حقيقة كذلك لمن يصح أن يدرك المبصر بمعنى محله الحدق، والله تعالى ليس كذلك، فلم يبق إلا أنهما بمعنى عالم. انتهى.

فمتى دللنا على ذاته بكونه عالماً لذاته بجميع المعلومات ثبت أنه تعالى عالم بالمسموعات والمبصرات التي يعلمها غيره من جهة السمع والبصر، فكان سمياً بصيراً بهذا المعنى.

قال الإمام يحيى - عليه السلام -: إن الخلاف ههنا فرع على الخلاف في كونه مدركاً، فمن ذهب إلى أن كونه مدركاً أمر زائد على كونه حياً وعالماً. قال: السميع البصير هو الذي يصح أن يختص بهذه الصفة عند وجود المدرك.

ومن ذهب إلى أن كونه مدركاً ليس أمراً زائداً على كونه عالماً قال: إن كونه سمياً بصيراً مدركاً ليس إلا أوصافاً للمبالغة في كونه تعالى عالماً من غير أمر زائد كقولنا عالم وعليم، انتهى كلامه.

والذي عليه جمهور أئمتنا والبغدادية أن المرجع بمدرك في حقه تعالى إلى أنه عالم.

---

(١) هم أحد فرعي المعتزلة، وقد كانوا حتى عام ٢٥٥ هـ مجموعة واحدة، إلا أنه بعد وفاة الجاحظ في التاريخ الأنف انقسموا إلى فرعين: بغدادية وبصرية، ومن أهم أعلام البغدادية: بشر بن المعتز وثمانية بن الأشعرس وأبي الحسين الخياط، وما يتميز به البغدادية عن البصرية هو ميلهم إلى التثني.

بعض أئمتنا وبعض شيعتهم والبصرية: بل هما صفتان له حين يدرك.

لنا عليهم ما مر في احتجاج القاسم، ولا خلاف بين أهل القبلة في أنه يوصف بأنه تعالى سميع بصير إلا عن الباطنية، وقد نطق القرآن الكريم بما قلنا، وإنما الخلاف في معناه (والدليل على ذلك) الذي ذهبنا إليه ونفي مقالتهم (أنه تعالى حي لا آفة به) ولا مانع له، (وكل من كان حياً لا آفة به) ولا مانع له (فهو سميع بصير) فهذان أصلاً لا بد من إقامة البرهان على كل واحد منهما (أما أنه تعالى حي فقد تقدم) في مسألة حي، وأما الدليل على أنه لا آفة به ولا مانع له؛ فلأن الآفات والموانع إنما تجوز على الأجسام (لأن معنى الآفات فساد الآلات)، ومعنى المانع وجود غفلة أو ذهول، أو بأن يُغلب على سمعه وبصره، وهذه الأشياء (وفساد الآلات لا تجوز إلا على الأجسام والله تعالى ليس بجسم) وإذا كان كذلك استحال أن يكون له آفة تنطرق إليها الآفة أو المانع، وإنما لم يكن تعالى جسماً (لأن الأجسام محدثة والله تعالى قديم على ما يأتي بيانه) إن شاء الله.

وقد يقال قولكم: إنه حي لا آفة به غير مسلم، بل به آفة؛ لأنكم إما أن تعملوا زوال الحاسة آفة أو غير آفة، إن كان فالباري تعالى عادم لها فهو إذن ذو آفة، وإن لم يكن عدم الحاسة آفة فهو خلاف ما يقضي به العقل والسمع، إذ عدمها أبلغ من حصول الآفة، ولهذا قال الدواري<sup>(١)</sup>: الأولى في الاستدلال أن يقال: إنه تعالى حي والآفة مستحيلة عليه، فيجب أن يكون سميعاً بصيراً، دليله الشاهد، فإن الواحد منا إذا كان حياً لا آفة به كان سميعاً بصيراً، وإن كانت جائزة عليه ففي حق الباري أولى؛ لأن الآفة مستحيلة عليه واستحالتها أقوى في زوالها من عدمها مع جوازها، (فثبت بذلك) الدليل (أن الله تعالى سميع بصير).

(١) هو عبدالله بن الحسن الدواري اليماني الصعدي، فقيه زيدي له جوهرة العواصم وشريدة القصاص شرح خلاصة الرصاص والديباح المضمر شرح لمع الأمير، ولد وعاش ومات في صعدة. ١هـ.

## (المسألة السادسة: أن الله تعالى قديم)

ومعنى القديم في اللغة: هو ما تقادم وجوده، ومنه ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [س: ٣٩] (ومعنى القديم) في الاصطلاح: (هو الأول الذي لا أول لوجوده).

وقد اشتملت هذه المسألة على طرفين: أحدهما: أنه تعالى موجود، والثاني: أنه تعالى لا أول لوجوده، ولا خلاف بين أهل الإسلام وكثير من الفرق الكفرية، وهم المقرون بالصانع كاليهود والنصارى والبراهمة وبعض عبدة الأصنام في أنه موجود، وأما الباطنية فلعلهم يقولون في هذه المسألة كقولهم في سائر الصفات، ولا يحتاج إلى الاستدلال على وجوده عند من جعل الوجود هو ذات الموجود<sup>(١)</sup>.

وأما جمهور المعتزلة فيجعلونه زائداً على الذات شاهداً وغائباً فاحتاجوا إلى الاستدلال وصحة ما يقولونه مبنية على أن المعدوم ذات، والدليل على أنه موجود أنه

---

(١) الذين يقولون أن الوجود هو ذات الموجود، ويقولون الأحوال التي قال بها بعض المعتزلة هم الشبهان: أبو الحسين والحوارزمي من المعتزلة: والمحققون من الأشعرية كالغزالي والجبيني والرازي، فقالوا: إن الكون هو نفس الكائنية، وإن العلم هو نفس العالمية، والأسودية هي نفس السواد، وطردوا القول هكذا في جميع الأعراض، ولا حقيقة للعلة ولا للمعلول، وقرر هذا القول العلامة الشرقي - رحمه الله - في شرح الأساس، أما القائلون بالأحوال فعندهم أن الكائنية معللة بالكون، والقادرية معللة بالقدرة، والأسودية معللة بالسواد، وطردوا ذلك في جميع الأعراض، هذا عند بعض الأشاعرة، وأما أبو هاشم ومتابعوه فقالوا: هي على أربعة أنواع: الأول منها: حال يوجب للحملة، وهذا هو الأعراض المشروطة بالحياة فالقدرة عندهم يوجب حالة للحملة هي القادرية، والعلم يوجب حالة هي العالمية، وهكذا القول في الشهوة والنفار.

الثاني: يوجب حالة للحمله، وهذا هو الكون، فإنه يوجب حالة للحمله هي الكائنية.  
الثالث: لا يوجب حالة للحمله، وإنما يوجب حكماً، وهذا نحو الاعتماد، فإنه يوجب حكماً وهو المدافعة للحمل.

الرابع: لا يوجب لحمله لا حالة ولا حكماً عندهم، وهذا نحو المتراكبات من الأعراض، فإنها لا توجب عندهم لا حالة ولا حكماً. لخصنا هذا من شرح الأساس، وهو نقله من الشامل للإمام يحيى بن حمزة - عليهم السلام -.

قادر عالم، والقادر العالم لا يكون إلا موجوداً؛ لأن المعدوم يستحيل أن يكون قادراً على شيء أو عالماً به، ألا ترى أن كثيراً من الموجودات كالجمادات والأعراض يستحيل أن تكون قادرة على شيء وعالمة به مع وجودها، وإذا كانت كذلك فالمعدوم أول، (و) أما (الذي يدل على أن الله تعالى قديم أنه لو لم يكن قديماً) لا أول لوجوده بأن يكون لوجوده أولاً (لكان محدثاً)؛ لأن ذلك حقيقة المحدث (ولو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث) أحدثه قطعاً لما تقدم من أن كل محدث يحتاج إلى محدث، والمحدث يحتاج إلى أن نتكلم فيه فنقول: هو إما قديم أو محدث، فإن كان محدثاً نكلمنا في محدثه وقلنا: (وكل محدث يحتاج إلى محدث أحدثه، ومحدثه إلى محدث) فيتسلسل (إلى ما لا نهاية) من المحدثين ومحدثيهم (وذلك محال) أو ينتهي إلى محدث قديم وهو المطلوب، فوجب الاختصار على أنه قديم لا يحتاج إلى محدث، وهو الله تعالى فثبت أن الله تعالى قديم.

قال الإمام عز الدين عادت بركاته: وفيه سؤال وهو أن يقال: ما أنكرتم أكثر ما في الباب أنه لا بد من الانتهاء إلى قديم واجب الوجود وإلا أدى إلى ما لا يتناهى من المحدثين أو محدثي المحدثين، ولكن ما أنكرتم أن صانع العالم الذي أثبتتم له تلك الصفات بعض هؤلاء المحدثين المتوسطين، أو أول ما ذكرتم من المحدثين كما هو مقتضى سياق الكلام، فلا يثبت أن الإله المستحق للعبادة واجب الوجود.

والجواب: أن هذا المحدث الذي قدرتموه صانعاً للعالم لا يخلو إما أن يكون من قبيل الأجسام أو الأعراض؛ إذ المحدثات لا تفك عن هذين القسمين، وسيأتي التوجيه أن الجسم والعرض لا يصح منهما فعل الأجسام ونحوها، وإذا تقرر ذلك فلا بد أن يكون صانع العالم قادراً لذاته، عالماً لذاته، وفي ذلك نفي أن يكون محدثاً، ووجوب أن يكون قديماً، وكلامنا في المحدثين وتسلسلهم إنما هو على جهة الفرض والتقدير وبيان أنه لا بد من قديم، وهذا الجواب وإن كان فيه استعانة بما يصلح أن يكون دليلاً مستقلاً حسن صحيح.



إذا عرفت ذلك فاعلم أن عامة الآل يقولون إن صفاته تعالى من نحو قادر وعالم وموجود وقديم وحي تعبير ليس إلا، وإلا لزم التكثر في الذات، والتعدد في القدماء والواجبات، أو التلاشي إن قالوا: لا شيء ولا لا شيء، وهذه عبارة زين العابدين<sup>(١)</sup> في توحيده لرب العالمين حيث قال: فاسماؤه تعبير وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفرق بينه وبين خلقه.

وقال الهادي -عليه السلام- في كتاب الديانات: لم يزل قادراً عالماً ليس لقدرته غاية، ولا لعلمه نهاية، وليس علمه وقدرته سواء، ومن قال علم الله هو الله، وقدره الله هي الله، وسمع الله هو الله، وبصر الله هو الله فقد قال في ذلك بالصواب.

قال الإمام المهدي -عليه السلام-: وهذا قول أبي الهذيل، ولو أمعن النظر الهادي لما كان لإضافتها إليه معنى؛ إذ لا يضاف الشيء إلى نفسه.

قال والدنا العلامة محمد بن عز الدين المفتي<sup>(٢)</sup> كثر الله فوائده: وما أحق المهدي بإمعان النظر في قوله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [التسم: ٨٨] وهذا من ذلك عند أولئك كما صرح به القاسم، وليست صفاته ثابتة لمعان كما يقوله مشبوا المعاني من المتكلمين، فإنهم قالوا: حي له حياة أزلية ليست بعرض ولا مستحيل البقاء وعالم له علم أزلي شامل، ليس بعرض ولا مستحيل البقاء ولا ضروري ولا مكتسب، وليست ثابتة لمزايا زائدة كما يقوله الكثير من المعتزلة واختاره جماعة من متأخري الآل، فكونه قادراً وعالماً وحيّاً وموجوداً صفات زائدة على ذاته، مقتضاة عن صفة أحص<sup>(٣)</sup> بها فارق مفارقة تعالى بعد المشاركة في الذات

(١) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، نوي سنة أربع وتسعين وعمره ثلاث وستون سنة.

(٢) هو محمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين الملقب بالمفتي الصغير، زندي نوي عام ١٠٥٠ هـ من مشايخه أحمد

الصمدي وعبدالله المهلا، وهو شيخ مشايخ الفروع، ومن طلبته العلامة الحسن بن أحمد الجلال ومولف هذا

الشرح. ا.هـ.

(٣) هذا قول أبي هاشم ومتابعيه، وحقيقة الصفة الأحص عندهم: هي الصفة الواجبة لله تعالى التي لا يستحقها =

## لسائر الذوات، وهي صفته<sup>(١)</sup> الذاتية.

هنا ولا جنساً ولا نوعاً إلا هو، وإن شئت قلت: هي الصفة الواجبة للمقتضية لصفات أربع، وإن شئت قلت: هي الصفة الواجبة التي لا يستحق حسنها إلا ذات واحدة، وهي ذات الله تعالى، وربما لقب هؤلاء بالمقتضية لقولهم بالمقتضى، وهي الصفة الأخص، والفرق بينها وبين العلة، أن العلة ذات مرجبة لصفة أو حكم، والمقتضى ليس بذات، ومن شرطهما أن لا يتقدما على ما أثرا فيه وجوداً بل رتبة، ومن شرط الذي أثرا فيه أن لا يتخلف عهما، وأنت تعلم أن تأثير الإيجاب باطل غير صحيح، تأمل.

(١) مسائل الصفات مما كثر فيها الجور، وزلت أقدام بعضهم فيها إلى الخضب، وتكلف بعضهم حتى عسرح عن نطاق العقل وعن مقتضى الكتاب والسنة، ونحن ملخصون حملة الأقوال فيها تبييناً لما أجمعه الشارح وأشار إليه، وقد خصها مولانا وشيخنا أبو الحسين محمد بن محمد - حفظه الله - في لوامع الأنوار المجلد الثاني صفحات (١٥٨ وما بعدها) ولم يستوف كلامه - حفظه الله - لطوله، بل لخصنا ذلك تلخيصاً.

فالقول الأول هو قول الأئمة الهداة: أن صفاته جل جلاله ذاته، وهذا القول هو الحق الذي قامت عليه البراهين وأبانه إمام الموحدين وسيد المتكلمين أمير المؤمنين وسيد الرعبيين - صلوات الله عليه - وحظته كثرة طافحة بالتصريح بذلك، وأما القول بأنها عارة عما لا يعلم كنهه، وقد نسب إلى زين العابدين - عليه السلام - واختاره الحسن الجلال، فلا منافاة بينه وبين الأول، فالذات المقدس لا تعلم كنهه، فهي عبارة عنه وهو قول الآل - عليهم السلام -.

الثاني: أنها لعدم صفة النقص، فعالم لعدم كونه غير جاهل، وقادر لكونه غير عاجز إلخ..

الثالث: أنها مزاجاً اعتبارية فقط في غير صفة الوجود، وهو قول أبي الحسين البصري وأتباعه.

الرابع: أنها أمور زائدة على الذات، لا هي الموصوف ولا غيره، ولا شيء ولا لا شيء، وهي مقتضاة حسن الذات عند أبي علي وأتباعه، وعن الصفة الأخص عند أبي هاشم وأتباعه.

الخامس: أنه يستحقها لمعان رائدة أزلية، وهو قول الكرامية، قال الإمام عز الدين - عليه السلام -: الأزلي هو القديم، إلا أن ابن كلاب لم يتحاصر على إطلاق القول بقدمها للإجماع على أنه لا قدم مع الله تعالى، وتحاصر الأشعري على ذلك لوقاحته.

السادس: أنه يستحقها لمعان قديمة قائمة بذات الباقي سبحانه، وهو قول الأشعرية، وقد اتفق أهل النقل عنهم على إثباتهم للمعاني القديمة، ثم اختلف بعد ذلك أنها نفس الصفات، وأن الصفات مستحقة للمعاني القديمة عندهم، والتحقيق ما أفاده الإمام عز الدين - عليه السلام - في المراح قال فيه: قال الإمام يحيى - عليه السلام -: وأما الأشعرية فاتفقوا على إثبات المعاني القديمة ثم اختلفوا لفظة الأحوال منهم يقولون العلم هو نفس العالمية، والقدرة هي نفس القادرية، ثم هذه الصفة عندهم معلومة بنفسها موحودة في ذاتها، وهو مذهب الأشعري وابن كلاب، ولقول المتأخرين من محققهم، وأما مثبوت الأحوال منهم فعددهم أن القادرية والعالمية والحيية صفات مضافة إلى المعاني، والله تعالى كما هو موصوف بهذه الصفات هو موصوف بالمعاني إلخ.. وقالوا: لا هي الله ولا هي غيره.

السابع: أنه يستحقها لمعاني قديمة أعياناً لله تعالى أعراض حائلة في ذاته سبحانه وتعالى، وهو قول الكرامية.

الثامن: أنه يستحقها لمعان لا توصف بغيره ولا غيره، وهو قول الصفاتية وأعاد الإمام عز الدين - عليه السلام -

قالوا: ومدرِكُ صفة مقتضاة عن الحية بشرط وجود المُدرِك، وليست تلك مزايًا زائدة هي صفات له تعالى كما يقوله منهم من نفى الصفة الأخص، وكذا من يقول منهم بالتعلق، بمعنى أن ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالمة، وبالمقدورات قادرة، وليست تلك الصفات عدم صفة نقص كما يقوله البعض منهم، وقد حُكيَ عن بعضهم أنه مذهب الآل.

فإن قلت: فما هذه النعوت للجلال المقدس، فإنه لا بد من اعتبار أمر فيها يصح إطلاقه على الله تعالى سوى ما أفاده الآخر، وما الدليل على بطلان ما ذهب إليه من تقدم من المخالفين؟

قلنا: الأمر كذلك فإنه من حيث صح الفعل منه بغير واسطة سُميَ قادراً ومن حيث صح منه الإحكام سميَ عالماً، فاعتبار الأمر هو هذا كما يدل عليه قول علي -عليه

---

أنهم سليمان بن جرير الإمامي وبعض أصحابه، وليس هذا القول قول الكرامية كما سبه إليهم بعضهم. التاسع: أنها غير الله وأنها محدثة بعلم محدث، وهو قول هشام بن الحكم ومن معه من الرافضة وجههم من صفوان ومن معه من الحيرة.

العاشر: قول الباطنية أقسامهم الله، وهو في التحقيق خارج عن أقوال استمين إلى الإسلام، وهو أنهم لا يصفونه جل وعلا بنفي ولا إثبات فلا يوصف عندهم بوجود ولا عدم.

واعلم: أن قول الآل -عليهم السلام- أن صفاته ذاته عز وجل، ليس المراد أن هناك ذاتاً وصفة كما يفهمه من لم يرسخ علمه في هذه الطريقة، بل الذات المقدس وصفاته عز وجل عبارة عن شيء واحد بالحقيقة، والتعابير إنما هو باعتبار المهور، فعالم باعتبار تعلق الذات بالمعلومات من حيث كونها معلومات، وقادر كذلك من حيث كونها مقدورات، وهكذا سائرهما، فالتعدد حقيقة في متعلق الصفات لا في الصفات، فليست إلا عبارة عن الذات، ومرجع الكلام عند التحقيق إلى إثبات مدلولات الصفات وثمراتها وآثارها بالذات المقدس العلي، لا بمعنى ولا لأمر ولا مزية، وليس هذا كقول أبي الحسين فإنه يقول: الصفات أمور اعتبارية، وهي التعلق، وقدماء الآل -عليهم السلام- يقولون: هي الذات من حيث التعلق لا التعلق نفسه، وبههما فرق واضح، وعلى هذا فالمضاف هو المضاف إليه في قدرة الله وعلمه وجميع صفاته، كما في وجهه

ونفسه وداته ونحو ذلك، فلا معنى لاعتراض بعض الأئمة المتأخرين على إمام الأئمة الهادي إلى الحق المبين عليه السلام، وقد رد السيد الإمام المحقق المكي صاحب البدر الناري -رضي الله عنه- وغيره، ولو حقق النظر لما سطر ما سطر، لكل جواد كنوة، ولكل صارم هفوة، انتهى منحصراً مع تقديم وتأخير وحذف، وقد أطننا الكلام لشمام الفائدة.

السَّلامُ-: (الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين، والباطن بجلال عزه عن فكر المتوهمين).

ولصعوبة هذا المقام قال مثبتوا المعاني ليست بعرض، ولا هي هو ولا هي غيره، وقال أهل المزايا: لا توصف بوجود ولا عدم، ولا حدوث ولا قدم، ولا هي شيء ولا لا شيء، وأهل التعلق قالوا: المرجع بها إلى تعلق مخصوص من القادر والمقدور، والعالم والمعلوم، وصحة أن يقدر ويعلم في حي، وهو قريب من كلام الآل، فعرفت تلاشي الأقوال السالفة وأنها لا تكاد تعقل فضلاً عن أن يحكم بها العقل.

قال بعض المحققين: وعندني في ذلك الوقف وهو ترك الخوض في تلك الصفات، والكلام في حقائق تلك السمات، لما ورد من النهي عن التفكير في الذات بالنص، قال رسول الله ﷺ كما رواه المتكلمون: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لن تقدروا قدره»<sup>(١)</sup>، وهذا يعم التفكير في ذاته وصفاته سواء جعلت تعبيراً أو غير ذلك على وجه التعمق وإدراك الكنه.

و قال علي -عليه السَّلامُ-: (من تفكر في غير الذات وحد، ومن تفكر في الذات أَلحد).

وقال -عليه السَّلامُ-: (العقل آلة أعطيتها العبد؛ لاستعمال العبودية لا لإدراك الربوبية).

وكما قال بعض المحققين: إن العجز عن معرفة الله تعالى ذاتاً وصفة ضروري؛ لأن كلما لم نشاهد ولا مثل له في الشاهد استحال تصوره، وما استحال تصوره أي العلم به تصوراً استحال أن يعرف إلا على جهة الإجمال، وإن تصوره متصور من غير معرفة وقع في الخطأ.

واعلم أن أحداً لم يُنب عن الله تعالى كما أنبأ ﷺ فارضاً به رائداً وإلى النجاة

(١) هو في مجمع الزوائد، وفي تفسير ابن كثير، وابن عدي في الصغفاء، والطبراني في الأوسط وغيرهم.

قائداً، وقد قال أمير المؤمنين علي -عليه السلام- في صفة ملك الموت والعجز عن صفته: (فكيف يصح وصف الإله لمن عجز عن وصف مخلوق مثله، إلى أن قال: هيات من يعجز عن صفات ذي الهيبة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز).

ومن كلام الحسن<sup>(١)</sup> -عليه السلام-: أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرفه بما عرّف به نفسه، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس... وفي هذا الكلام إشارة إلى أنها توقيفية كما أشار إليه والده -عليه السلام- من قبل.

واعلم أن الكلام في ذات الله تعالى على جهة المعرفة التفصيلية، أو على وجه الإحاطة على حد علمه مما لا تدركه عقولنا، قال القاسم -عليه السلام-: وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهذا مذهب علي -عليه السلام- حيث قال في امتناع معرفته على العقول: (لم تحيط به الأوهام — أي العقول — بل تجلّى لها بها وإليها حاكمها) ومعناه امتنع من العقول بمعرفة العقول بعجزها عن إدراكه والإحاطة به، وإليها حاكمها: أي جعلها محكّمة في ذلك؛ لأنه نزّلها منزلة الخصم المدعي، والخصم لا يحكم إلا حيث يصح.

---

(١) هو البسط الأكبر، الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب -عليهما السلام- توفي وعمره ستة وأربعون سنة ٥٠ من الهجرة.

## (المسألة السابعة)

وهي الأولى من مسائل النفي، ومسائل النفي ثمان، لكن أربع منها داخل فيما سبق، وهي: أنه تعالى ليس بعاجز ولا جاهل ولا ميت ولا معدوم ولا محتاج ولا مشبه للمحدثات ولا مرئي ولا ثاني له، فالأربع الأول قد تقررت بإثبات القادرية والعالمية والوجودية له تعالى وأنها واجبة في حقه تعالى فإنه يستحيل ثبوت أضدادها مع ثبوتها ووجوبها.

وأما الأربع الآخر فهذا موضع<sup>(١)</sup> الكلام عليها، ولا خلاف بين المتكلمين في تأخير مسألة نفي الثاني؛ إذ هي كلام في أنه لا ثاني له يشاركه في صفاته الإثباتية والنفيية، وما لم تعين من المسائل لا يحسن الكلام على نفي المشاركة فيها؛ إذ لا يعلم نفي المشاركة في أمر إلا بعد العلم به.

وأما مسألة نفي الرؤية فيحسن تأخيرها عن الأولتين؛ لأنها كلام في نفي صفة له مع غيره، إذ مضمونها أنه تعالى لا يرى، وأن غيره لا يراه بخلافهما فإنهما كلام في نفي صفة يختص نفيها بذاته تعالى.

أما مسألة نفي الحاجة والتشبيه فقد وقع الخلاف فيهما، والذي ذهب إليه العترة وصفوة الشيعة<sup>(٢)</sup> والمعتزلة وغيرهم (أن الله تعالى لا يشبه الأشياء) فليس بجسم ولا عرض، ولا يجوز عليه ما يجوز عليهما من التحيز والحلول، والتقل في الأمكنة والجهات، ونحو ذلك من توابعها.

وقال هشام بن الحكم<sup>(٣)</sup> وغيره: بل جسم له أعضاء وجوارح، وهو خمسة أشبار

(١) في الأصل فهذه مواضع، والصواب فهذا موضع الكلام.

(٢) صفوة الشيعة: أي الزيدية.

(٣) قال محقق الأساس: هشام بن الحكم الرافضي من الشيعة الخمسة، أدرك زمن المأمون الخليفة العباسي المعروف ٢١٨ هـ وله أتباع يعرفون بالهشامية.

بشعر نفسه.

وقال بعض الحشوية<sup>(١)</sup>: أنه سبيكة ملقاة فوق العرش، وقال مقاتل بن سليمان<sup>(٢)</sup> وداود الجوزجاني<sup>(٣)</sup>: أنه على العرش كبعض ملوك البشر لحم ودم، وقال بعضهم: أنه قضاء منبت والأجسام كلها فيه، قالوا: وهو لا يحتاج إلى مكان؛ لأنه مكان في نفسه. وحكي عن بعض الحنابلة<sup>(٤)</sup> القول: بأنه جسم طويل عريض عميق وعليه حل أهل الحشوة.

وقالت الشوية<sup>(٥)</sup>: أنه نور لا يتناهى... إلى غير ذلك من خرافات أهل الزيغ - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - (والدليل على ذلك) المذهب الصحيح، وهو القول: أن الله تعالى لا يشبه الأشياء (أنه لو أشبهها لكان محدثاً مثلها أو كانت قديمة مثله، ولا يجوز أن يكون تعالى محدثاً ولا أن الأشياء سواء قديمة) لما مر من الدليل على أنه تعالى ليس بمحدث، والدليل على حدوث العالم (وهذه الدلالة مبنية على أصليين: أحدهما: أنه لو أشبهها لكان محدثاً مثلها، أو كانت قديمة مثله، والثاني: أن ذلك لا يجوز، أما الأصل (الأول) فالذي يدل عليه أن من حق المثليين أن يشركوا في وجوب ما يجب، وجواز ما يجوز، واستحالة ما يستحيل

---

(١) الحشوية: قال الشرقي في شرح الأساس الكبير: وأما الحشوية فلا مذهب هم مبعود، وأجمعوا على الخمر والتشبيه، وحسموا وقالوا بالأعضاء، ويسمون أنفسهم بأهل الحديث.

(٢) قارئ ومحدث، توفي سنة ١٥٠ هـ وقبل بعد ذلك، راجع الميزان.

(٣) (داود الجوزجاني). هكذا في الأصل، والذي في كتب الرجال: داود الجوزجاني، وقد ترجم له في لسان الميراث بأن قال: رأس في الرفض والتحسيم من مرافقي جهنم، وذكره محقق كتاب الانتصار للحياض ذكره في (ص ١٢٥) قال: قال السمعاني في كتاب الأنساب نعت نسه: اخشامي، بعد ذكر هشام بن سالم الجواليقي ومذهبه، وعنه أحد داود الجوزجاني قوله: أن مبعوده له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية، ١ هـ. فأما أنه يكون الجوزجاني غلطاً، أو هو غير الجوزجاني فينظر.

(٤) الحنابلة: أتباع أحمد بن حنبل أحد الأئمة الأربعة إمام أهل الأثر، ولد سنة ١٦٤ هـ روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد، توفي سنة ٢٤١ هـ وله سبع وصيغون سنة.

(٥) هم كل من أتى مع الله إلهاً غيره، وتطلق على من قال بالهين: إله غير وإله شر، وهم فرق كثيرة.

فيما يكون وجوبه وجوازه، واستحالته راجعة إلى ذاته) كالقدم والحدوث مثلاً بخلاف ما كان راجعاً إلى العوارض للجسم، كالسواد والبياض فلا يقدح في صحة تماثلها يكون بعضها أسود وبعضها أبيض، وبعضها يصح حلول الحياة فيه ونحو ذلك؛ لأن هذه عوارض للجسم غير واجبة له وعدم الاشتراك في العوارض لا يوجب المخالفة، وكذلك وجوب القادرية عند وجود القدرة واستحالة الحياة عند فقد البنية، إذ مثل هذه راجعة إلى غير الذات، (ألا ترى أن الجوهرين لما كانا مثلين اشتركا في وجوب ما يجب لهما من التحيز والشغل للجهات، وجواز ما يجوز عليهما من التنقل في الأمكنة، واستحالة ما يستحيل عليهما من الكون في جهتين في وقت واحد، وإنما وجب لكونهما مثلين، ولهذا لم يجب في الجوهر والعرض لما لم يكونا مثلين) لا يقال: إن الجوهرية تقتضي القدم في حقه دوننا؛ لأننا نقول: إما أن تقتضيه لا بشرط فيجب أن تقتضيه لنا أو إما أن تقتضيه بشرط فكان يصح حصوله لنا، إذ لا يصح حصول المقتضي ويستحيل شرط الاقتضاء على الإطلاق (ثبت بما ذكر) الأصل (الأول) وهو أنه يلزم أن يكون تعالى محدثاً كالأشياء، أو أن تكون قديمة كالباري عند ادعاء المشابهة بينهما.

(وأما الأصل الثاني) وهو كونه تعالى محدثاً كالأشياء، أو هي قديمة مثله (فهو معلوم انتفاؤه) بما تقدم من كون الباري تعالى قديماً، إذ قد أقمنا عليه البرهان القطعي فلا يثبت كونه محدثاً كالأشياء، ومن كون هذه الأجسام والأعراض محدثة، وقد بينا دليله القطعي فلا تثبت كونها قديمة، وإذا علمنا التخالف بالأدلة القطعية لم يصح دعوى المشابهة بينهما في حال من الأحوال.

فإن قيل: لا مانع من دعوى أن يقال هو قديم محدث أو هي قديمة محدثة.

قلنا: ذلك معلوم الانتفاء (ضرورة) إذ اجتماع النقيضين مستحيل تقتضيه فطرة العقول) وهذا الدليل من جهة العقل، وأما الدليل من جهة السمع فلا شك أن



القرآن والسنة مشحونان بنفي التشبيه نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [المائدة: ١] و  
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهو معلوم ضرورة من الدين، ووجه الاستدلال —  
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أنه لو كان جسماً لم يكن واحداً؛ لمماثلة الأجسام له، وهذا ما أخذ  
حسن، والاستدلال بالسمع هنا إنما هو من طريق الجدل على من يقر بالسمع، فأما من  
جهة العلم فقبيل: إنه لا يصح؛ لأن صحة السمع تنبني على العدل، والعدل ينبي على  
إنه عالم لذاته وغني لذاته والجسم ليس كذلك.

واعلم: أن هذه الأدلة إنما توجه إلى من ثبت له الجسمية حقيقة، فأما من يخالف في  
العبارة فالمرجع في إبطال كلامه إلى الوضع، وقد وجدنا أهل اللغة لا يستعملون الجسم  
إلا فيما كان طويلاً عريضاً عميقاً، ولو سلمنا استعماله في غيره لمنعنا إطلاقه على الله  
تعالى؛ لإيهامه الخطأ، وليس إذا صح أن نقول: شيء لا كالأشياء صح أن نقول: جسم  
لا كالأجسام؛ لاختلاف الفائدة، فإن فائدة قولنا: شيء ما يصح العلم به والخبر عنه،  
وفائدة قولنا: جسم أنه طويل عريض عميق، فإذا قلنا: شيء فالمراد أنه يصح العلم به  
والخبر عنه، وإذا قلنا: لا كالأشياء فمرادنا أنه لا يشبه سائر الأشياء والذوات المحدثّة،  
وإذا قلنا: جسم فقد أفاد أنه طويل عريض عميق، وإذا قلنا: لا كالأجسام نفينا بذلك  
الطول والعرض والعمق عنه، فيكون في ذلك محض المناقضة والله أعلم.

(فصل: وإذا ثبت أنه تعالى لا يشبه الأشياء لم يجب عليه ما يجب عليها من  
التحيز في الجهة وشغل المكان والنزول والصعود والزيادة والنقصان)  
والاستراحة، والغم والسرور، والألم واللذة، وهذا مذهب أهل العدل وأكثر الفرق  
الإسلامية.

وحكي عن الفلاسفة القول بأنه ملتذ بإدراك ذاته وكماله، وقد حكي عن الغزالي  
وحاشاه.

وروي عن بعض قدماء المعتزلة أنه تعالى يجوز عليه الغم والسرور والأسف والغيرة،

وتعلق بما ورد من أنه تعالى يفرح بتوبة العبد، وبما ورد في الأخبار: «لا أغير من الله تعالى» وبقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ [س: ١٣] والصحيح خلاف ذلك جميعاً؛ (لأن ذلك من توابع الجسمية والتحيز، وهو تعالى ليس بجسم ولا متحيز) وأن هذه ألفاظ وردت في حقه على سبيل المجاز.

واعلم: أن من أثبت التحسيم أثبت توابعه من الكون في جهة، والاستقرار على مكان، ومن نفاه فمن حقه أن ينفي توابعه كلها.

وعن بعض الكرامية<sup>(١)</sup> نفى التحسيم وإثبات الجهة، وأنه تعالى بجهة فوق، وعن الكلاية<sup>(٢)</sup> صحة وصفه بأنه على العرش بلا استقرار، ويبطل قولهم جميعاً أن الجهة والمكان من لوازم الجسمية وتوابعها، فلا يتصور ذلك مع نفيها الذي قامت الدلالة عليه وشبهتهم ما رُود من السمع مما يقتضي بأنه تعالى فوق كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [طه: ١٠]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وما ورد من رفع اليدين عند الدعاء وهو متعارف عند الأمة غير متناكر.

والجواب: أن الأدلة العقلية قد قامت على نفى الجسمية وفي ذلك انتفاء لوازمها من الفوقية وغيرها، ويجب تأويل ما قضى ظاهره بخلاف ما قامت الدلالة القاطعة عليه، وتأويل مثل تلك الآيات والأفعال ظاهر غير مستور عند من له أدنى مسكة بعلم البيان، وكذلك لا يجوز عليه ما يجوز على الأعراض، ولذلك قال: (و) هو (لا يجوز عليه تعالى العدم والبطلان) والتضاد (والحلل في المحال؛ لأن ذلك من توابع

(١) الكرامية: هم أتباع محمد بن كرام المجري النيسابوري، إمام الكرامية، ولد بـحسنان وحوار بمكة سنين، ثم انتقل إلى نيسابور ومات بالقنس سنة ٢٥٥هـ وقد بقوا في خراسان حتى أوائل القرن السابع الهجري، وكانوا يقولون: بأن الله تعالى مستقر على العرش، وأنه جوهر إلى غير ذلك من آرائهم الشاذة.

(٢) الكلاية: هم فرقة من نائبة الحشوية أتباع محمد بن عبدالله بن كلاب القفطان، وهو من نائبة الحشوية ورئيس الفرقة الكلاية، مات بعد سنة ٢٤٠هـ وهو أول من عرف عنه القول بقدم كلام الله.

الأعراض، وهو تعالى ليس بعرض) لما قررنا من أنه تعالى ليس بجسم ولا عرض فلا يثبت له ما يتفرع عليهما.

تنبيه: قال أصحابنا: يلزم المكلف في هذه المسألة أن يعلم أنه تعالى لا يشبه الأجسام والتمحيضات فيما لم يزل وفيما لا يزال، ولا يصح عليه مشابقتها في حال من الأحوال، ولا توابعها من الحركة والسكون، والصعود والهبوط والموت والعجز، والجهل والهرم، والسقم والحاجة، وأنه ليس بعرض ولا يشبه الأعراض فيما لم يزل وفيما لا يزال، فلا يصح كونه كذلك في حال من الأحوال، ولا يصح عليه خصائصها ولوازمها المتقدم ذكرها (ثبت أنه تعالى لا يشبه الأشياء) وأنه يجب على المكلف اعتقاد ذلك. والله أعلم.

## المسألة الثامنة: أن الله تعالى غني

وقد عدّها كثير من الأصوليين من صفات النفي، (وحقيقة الغني) في اللغة: ممن استغنى بما في يده عما في أيدي الناس ومنه: «القناعة رأس الغنى».

وفي اصطلاح الفقهاء: هو من ملك النصاب أو ما قيمته نصاب، وقيل: من ملسك الكفاية.

وأما في اصطلاح المتكلمين: فالغني: (هو الحي الذي ليس بمحتاج) هذه الحقيقة لا تثبت إلا في حق الله تعالى، فأما من عداه من الأحياء فهم محتاجون إليه تعالى، بسبب يحتاج بعضهم إلى بعض، فلا بد من اعتبار الطرفين في هذه الحقيقة كونه حياً، إذ لو لم يكن حياً لم يوصف بالغنى كالجماد والأعراض، وكونه غير محتاج إذ لو احتاج إلى شيء لم يكن غنياً.

واعلم: أنه لا خلاف بين أهل الإسلام ومن أقر بالصانع في أنه تعالى غني إلا فرقة من اليهود حكى الله عنهم نسبة الحاجة إليه حيث قال: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقد قيل: إن القائلين بذلك لم يقولوه عن اعتقاد، وإنما أوردوه على جهة الإلزام للرسول ﷺ والتهكم بما جاء به من قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] (والدليل على ذلك) القول الصحيح (أن الحاجة) الاصطلاحية التي هي الدواعي والصوارف، وهي ما يدعوا إلى جلب نفع له، أو يصرفه عن جلب ضرر إليه، والداعي هو ما يرجح وجود الفعل على عدمه من غير تأثير، والصارف هو ما يرجح عدم الفعل على وجوده من غير تأخير، فهذه (لا تجوز إلا على من جازت عليه الشهوة والنفس)؛ وذلك لأن النفع والضرر مأخوذ في تلك الحاجة<sup>(١)</sup>، والمنفعة هي اللذة والمرور، أو ما أدى إليهما أو إلى

(١) هكذا في الأصل ولعل العبارة (مأخوذ في حد الحاجة) أ.هـ.

أحدهما، والمضرة: هي الألم والغم، أو ما أدى إليهما أو إلى أحدهما، واللذة والألم مأخوذان في تعريف المنفعة: هما المعنى المدرك بمحل الحياة فيه، لكن إن قارنه شهوة سُمي لذة، وإن قارنه نفار سُمي ألماً، فهذا التدريج صارت الحاجة من ملازمات الشهوة والنفار (و) وجب القطع (بأن الشهوة والنفار لا يجوزان إلا على من جازت عليه اللذة والألم، واللذة والألم لا يجوزان إلا على من جازت عليه الزيادة والنقصان) من حيث يزداد جسم أحدنا بتناول ما يشتهي، وينقص بتناول ما ينفر عنه (والزيادة والنقصان لا يجوزان إلا على من كان جسماً)؛ إذ المرجع بالزيادة إلى انضمام بعض الأجزاء المتحيزة إلى بعض والمرجع بالنقصان إلى افتراق بعض الأجزاء المتحيزة من بعض (وهو تعالى ليس بجسم؛ لأن الأجسام محدثة وهو تعالى قديم على ما تقدم) وهذه علة أبي هاشم<sup>(١)</sup> في امتناع الشهوة والنفار عليه تعالى، واعترضه الشيخ أبو إسحاق: بأنه لا يصح كون الشهوة مؤثرة في زيادة الجسم، إذ ليست من الأسباب المولدة ولا المتحيزات مما تولد عن غيرها، فلا يصح أن تولد الشهوة تلك الأجزاء، ولا أن تولد اجتماعاً ولا تأليفاً، وكذلك النفرة لا يصح أن تولد افتراق الجواهر ولا أن توجد عدمها، فحينئذ علمنا أن تلك الزيادة والنقصان من جهة الله تعالى أجرى العادة بذلك، ولو قدرنا أن الله تعالى مُشْتَهٍ ونافر لم يمتنع ألا يثبت ما يحراه العادة في حقه تعالى، ولا تزداد ذاته ولا تنقص بإدراك ما يشتهي أو ينفر عنه، لا سيما وذلك لا يصح عليه، بل هو مستحيل في حقه تعالى، وقال الجمهور في امتناع الشهوة والنفرة عليه؛ لأنه لو جاز أن يشتهي لكان إما أن يشتهي لذاته أو لما هو عليه في ذاته، أو بالفاعل أو لمعنى، والأول باطل وإلا وجب أن يشتهي جميع المشتبهات فيكون ملجأً إلى فعلها دفعة واحدة، وإلى أنه يوجد أكثر مما أوجد وأكبر، وقبل الوقت الذي أوجد المشتبهات فيه؛ لتوفر دواعيه إلى جميع ذلك، والثاني باطل لما تقدم من أن

(١) أبو هاشم: هو عبد السلام بن محمد بن سلام (مخفف) بن خالد بن أبان بن حمران مولى عثمان بن عفان الجبائي المعتزلي أبو هاشم، قال ابن خلكان: هو الإمام في مذهب الاعتزال المشكك بن المنكلم، العالم بن العالم، كان هو وأبوه من كبار العلماء، وولادته سنة ٢٤٦هـ توفي، سنة ٣٢١هـ بمعداد.

القديم لا فاعل له ولا لشيء من صفاته، ولأن نأثير الفاعل لا يتعدى تأثير إحداث الذات وإخراجها من العدم إلى الوجود وتوابع الحدوث، وهي الوجوه التي يقع عليها الفعل ككون الكلام أمراً أو خبراً، وكون الفعل طاعة أو معصية. والثالث: باطل؛ لأن المعنى إن كان قديماً لزم أن يشتبه أكثر المشتبهات فيوجد أكثر مما أوجد قبل الوقت الذي أوجد فيه، وإن كان معدوماً فلا اختصاص للشهوة المعدومة لمشتهى دون مشتبه، وإن كان المعنى محدثاً لزم ذلك أيضاً، ومثل هذا الكلام يجيء في أنه تعالى لا يجوز أن يكون نافراً إلا في كونه نافراً بنفار محدث، فإنه يقال: لو جاز عليه النفار المحدث لجازت عليه الشهوة المحدثه، إذ لو قلنا: كان يلزم أن يكون ملجأً إلى أن لا يخلق شيئاً من النفرة ولا من المنفر لكان لقائل أن يقول: إنه يخلق لنفسه نفرة عن منفرات لم يخلقها، ولا يخلق نفرة عن المنفرات التي خلقها (فثبت بذلك) المذكور من الأدلة (أن الله تعالى غني) لا يحتاج إلى شيء أصلاً.

تنبيه: قال أصحابنا: يلزم المكلف في هذه المسألة أن يعلم أن الله تعالى غني لا تجوز عليه الحاجة في شيء أصلاً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه غني فيما لم يزل وفيما لا يزال، ولا تجوز عليه الحاجة في حال من الأحوال.

## (المسألة التاسعة): في استحالة الرؤية على الله تعالى

فالذي ذهب إليه العدلية جميعاً والنجارية<sup>(١)</sup> من المجرة<sup>(٢)</sup> والخسوارج والمرجئة<sup>(٣)</sup>، وأكثر الفرق الخارجة عن الإسلام (أن الله تعالى لا يرى بالأبصار) ولا يرى نفسه (لا في الدنيا ولا في الآخرة)، وذهبت المجسمة وأكثر أهل الجبر إلى أنه يرى نفسه ويراه غيره، وبعض المجسمة تقول: أنه مدرك بكل الحواس ويرى في جهته على حد رؤية الأجسام، ويرى بالحاسة من دون معنى، والأظهر من مذهب الأشعرية<sup>(٤)</sup> أنه لا يرى بحاسة غير حاسة الرؤية، وذهب ضرار<sup>(٥)</sup> إلى أنه يرى بحاسة سادسة غير الحواس الخمس، واتفقوا جميعاً أنه لا يرى في جهة لا خلف ولا أمام ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال. قال أصحابنا: وهذه رؤية غير معقولة.

قال الإمام يحيى بن حمزة -عليه السلام-: ويقرب أن يكون الخلاف بيننا وبين

---

(١) النجارية: بناحية الري منسوبون إلى الحسين بن محمد النجار.

(٢) المرجئة: سميت بذلك لتركهم القطع بوعيد الناس، وذلك جامع مذهبهم، ومنهم عدلية وجبرية، والمجرة كلهم مرجئة، والمجرة يسمون مجورة وقدرية، ولا يرضون بها، بل يسمون أنفسهم: أهل السنة، ويجمع مذهبهم القول بخلق الأفعال وإرادة المعاصي، وأن الله يعذب من يشاء بغير ذنب، وأنه تعالى يفعل المفعول لا لعرض، وأنه لا يقبح منه شيء، وأن الفسائح بقضائه وقدره إلى غير ذلك، وأما الخوارج فيسمون الشراة والحرورية والحمكية ويرضون بذلك، والمارقة ولا يرضون به، ويجمعهم إكفار عثمان وعلي وكل من أنسى كبره، وفرقهم خمس: الأزارقة، والصفرية، والإباضية، والبيهسية، والمحدثات، وأنشأ مذهبهم عهد التحكيم: عبدالله بن الكوا وعبدالله بن وهب. اهـ.

(٣) الخوارج: أهل النهروان الذين خرجوا على أمر المؤمنين -عليه السلام-، وهم فرقة منهم المحدثات والأزارقة والإباضية وغيرهم.

(٤) الأشعرية: هم أتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الذي أنشأ مذهب الأشعرية بعد أن كان معتزلياً، شيعه أبو علي الجبائي، توفي عام ٣٣٠هـ.

(٥) ضرار بن عمرو الغطفاني قاضي من كبار المعتزلة طمع في رياستهم في بسند فلم يدركها، فعانفهم فكفسروه وطردوه، وصنف نحو ثلاثين كتاباً، قال فيه الجشعي: ومن عده من المعتزلة فقد أخطأ؛ لأننا نتبرأ منه فهو من المجرة، توفي نحو ١٩٠هـ. اهـ أعلام.

الأشعرية في هذه المسألة لفظياً كما ذكره المحققون من متأخريهم، فإن الغزالي<sup>(١)</sup> ذكر في كتاب الاقتصاد: أن الرؤية عبارة عن تجلٍ مخصوص لا ينكره العقل، وهذا العلم بعينه ونحن لا نأباه، وقال الرازي<sup>(٢)</sup> في النهاية: بعد تحرير الأدلة العقلية لهم أنها ليست بقوة، قال: ويقرب أن يكون الخلاف في المسألة لفظياً. انتهى.

قال الإمام عز الدين في المعراج: واعلم أن من طالع كتبهم، كالأربعين للرازي وعرف احتجاجهم، وتصفح كلامهم علم أن خلافهم معنوي، وأنهم يشتون الرؤية التي هي الإدراك، إذا عرفت هذا فاعلم أنه لا يحتاج في الاحتجاج على هذه المسألة إلى الرد على المجسمة؛ إذ لا نزاع بيننا وبينهم فيها على الحقيقة؛ لأنهم مُسلمون أن الله تعالى لو لم يكن جسماً لم يصح رؤيته ونحن نسلم لهم أنه لو كان جسماً لصحت رؤيته، فالكلام عليهم في إبطال التحسيم، (والدليل على ذلك) الذي ذهب إليه أهل العدل: أن من أدركته الأبصار فقد أحاطت به الأفطار؛ لأن الرؤية المعقولة إنما تكون في جهة ومقابلة، والله تعالى يتعالى عن الجهة والحلول.

قال الهادي عَينَ السَّلام: وأنها لا تدركه الأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأن كل ما وقع عليه البصر فمحدود ضعيف ذليل محتاج محوي محاط به له كل وبعض ولون... إلخ.

وقال: من زعم أن الأبصار تدركه، وأن العيون تراه بجاهرة فقد قال قولاً عظيماً، أو يقال: ويرى في القيامة شيء مما عليه العباد فقد قال إفكاً مبيناً؛ لأن كل من وقعت عليه الرؤية فمحدث، فلا عين تراه ولا يدرك بأداة.

ومعنى ذلك عن علي كرم الله وجهه في الجنة وغيره، ذكره في البدر الساري للوالد

---

(١) هو محمد بن محمد الغزالي الأشعري ثم الزيدي الطوسي الملقب حجة الإسلام، قرأ على الجويني بطوس إلى أن توفي وانتقل إلى العراق، وله المؤلفات المشهورة كالإحياء والمسنن والمنتخب وغيرها.

(٢) هو فخر الدين الرازي محمد بن عمر، من أكابر علماء الأشاعرة ومتكلميهم له مؤلفات كثيرة فيها التفسير الكبير مفاتيح الغيب، والنهاية في أصول الدين وغيرهما توفي سنة ٦٠٦ هـ.



العلامة محمد بن عز الدين المفاتيح - رحمه الله -، وهذا الذي تقدم صدر الدليل هو الدليل المسمى دليل المقابلة.

وذهب جماعة من الآل إلى الاستدلال بالدليل المسمى دليل الموانع، وهو (أنه لو كان يرى في حال من الأحوال لوجب أن نراه الآن)، ومعلوم بالضرورة أننا لا نراه الآن كما سيأتي، وإنما قلنا: لو كان يرى في حال من الأحوال لوجب أن نراه؛ فذلك (لأن) من المعلوم قطعاً أن (الحواس) التي لو أدرك المدرك لما أدرك إلا بها (سليمة) بدليل أن المدركات تدرك بها، ولو كانت سقيمة لم تدرك (والموانع مرتفعة)، وهي ثمانية: البعد، والقرب المفرطان، والرقّة واللطافة، والحجاب الكثيف، وكون المرئي في خلاف جهة الرائي، وكون محله في بعض هذه الأوصاف، وعدم الضياء المناسب للعين، (وهو تعالى موجود) كما تقدم وحاصل على الصفة التي لو رُئي لما رُئي إلا لكونه عليها، (وهذه الأمور) الأربعة (هي التي تصح معها رؤية المراتيات)، والخامس: أن هذه الشرائط هي التي يجب معها رؤية المراتيات، فهذه خمسة أصول، وأما أن الحواس سليمة فقد تقدم دليله، وأما ارتفاع الموانع في حقه تعالى؛ فلأنها إنما تمنع من رؤية الأجسام والألوان، وليس يحسم ولا لون تعالى عن ذلك، وأما أنه تعالى موجود فقد تقدم، وأما أن هذه الشرائط هي التي معها ترى المراتيات؛ فلأنه قد حصل المقتضي، وهو كون أحدنا حياً، وشرط الاقتضاء وهو صحة الحاسة، وزوال المانع ووجود المدرك، فيجب حصول المقتضي، وهو كون أحدنا مدركاً له تعالى، ومتى قيل هو يرى، وقولكم: لم نره الآن دعوى تحتاج إلى برهان.

قلنا: (والذي يدل على أنا لا نراه أنا لو رأيناه الآن لكان معلوماً بطريق المشاهدة، ومعلوم ضرورة أنا لا نشاهده الآن، فثبت) بذلك المذكور من دليل العقل القطعي (أن الله لا يرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، وقد جاء السمع مؤكداً لما دل عليه العقل من نفي الرؤية حيث (قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾) [الأنعام: ١٠٣] فنفي تعالى أنه يُدْرَكُ بالبصر مطلقاً في

كل وقت ولكل بصرة، لأن الفعل وقع في سياق النفي المطلق، والأبصار جمع مُعْرَفٌ بالالف واللام، وكل ذلك يوجب الاستغراق ويفيد القطع في مثله على المختار، وهذه المسألة أيضاً مما يصح الاستدلال عليها بالسمع، وتشكيك الرازي ونحوه فيها لا يُسمع. قالوا: قال الله تعالى: ﴿وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] وفي الحديث: «سترون ربكم يوم القيامة كالقمر ليلة البدر».

قلنا: معنى قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: منتظرة لرحمته إذ ذلك أحد معانيه ويوجب حمله عليه ما تقدم من الأدلة فدون ذلك يصرف عن حمل المشرك على معانيه الغير متنافية إلى أحدها، والنظر قد ورد بمعنى الانتظار كثيراً كقوله تعالى: ﴿لَنَظَرُوهَ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٢٩] أي منتظرة، وقوله تعالى حاكياً عن الأشقياء: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسَبَ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] أي انتظرونا، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] أي انتظرونا، قال الشاعر حسان بن ثابت:

إلى الرحمن باني بالخلاص      وجوه يوم بدر ناظرات

والخير<sup>(١)</sup> مقدوح فيه بروايته عن قيس بن أبي حازم<sup>(٢)</sup> وجرير بن عبد الله البجلي<sup>(٣)</sup>، فإن صح مع بعده فمعناه ستعلمون ربكم كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، ورأيت الله إذ ..... البيت<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك مما يكثر تعداده، ومع ذلك فهو ظني لا يقاوم القاطع، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) انظر النبايع للأمير الحسين - عليه السلام - صفحة (١٣١) طبعة بدر) فقد بين الأمير - عليه السلام - حرجه بما فيه كفاية، وقد أشبع المحقق في الحاشي الموضوع، ونقل في حرج قيس عن أهل الجرح ورجاله ما يشفي ويكفي فلا نطيل الكلام بذلك.

(٢) قيس بن أبي حازم: البجلي أبو عبد الله الكوفي وثقه القوم، قال ابن حجر: من الثانية محضرم، ويقال له روية يعني أنه صحابي، قال: مات بعد التسعين أو قبلها، وقد جاوز المائة وتغير، راجع التقريب.

(٣) جرير بن عبد الله البجلي: صحابي مشهور مات سنة ٥١، وقيل: بعدها، انظر التقريب.

(٤) تمام البيت: رأيت الله إذ سمي نزاراً وأسكنهم بمكة قاطنهما.

## (المسألة العاشرة: أن الله سبحانه واحد لا ثاني له في القدم والإلهية)

والواحد يستعمل في معان أحدها: واحد العدد، وهذا مستحيل في حقه تعالى؛ لاقتضائه التناهي والتحديد، وقد يراد به ما لا يقبل التجزيء والانقسام، أما من كل وجه وهذا جائز في حقه تعالى، ويكون مدحاً بانضمامه إلى كونه حياً خلاقاً لعباده، وأما من بعض الوجوه كالإنسان الواحد والدار الواحد فإنه لا يقبل التجزيء من حيث الإنسانية والدارية وإن قبله من جهة أخرى، وهذا مستحيل في حقه تعالى، وقد يراد به المختص بصفات الكمال أو بعضها على حد يقبل المشاركة له، وهذا أيضاً مستحيل في حقه تعالى؛ لأنه يقتضي صحة مشاركة الغير له فيها، وهذا هو المتعارف به.

(و) أما في اصطلاح المتكلمين: فإن (المعنى في ذلك أنه) واحد القدم والإلهية المستحق للعبادة، وهو (المفرد بصفات الكمال على حد لا يشاركه فيها غيره على الوجه الذي يستحقها) عليه، وهو المقصود هنا، وهذا هو ما ذهب إليه المسلمون كافة، وخالف في ذلك الوثنية والثوية والمجوس وبعض النصارى.

(والدليل على) ما ذهب إليه أهل الإسلام (أن الله تعالى واحد لا ثاني له: أنه لو كان له ثان لصح بينهما الاختلاف والتمانع) وصحة الاختلاف والتمانع محال، فهذان أصلان، أما الأول: وهو أنه كان يصح بينهما التمانع والاختلاف لأن اشتراكهما في القدم يقتضي اشتراكهما في القادرية وسائر صفات الذات؛ لأنه قد عُرِف أن الشيتين متى كانا مثلين كانا قد اشتركا في صفة ذاتية كالسوادين فإنهما إما كانا مثلين؛ لا اشتراكهما في كونهما سوادين، ويجب اشتراكهما في سائر الصفات الذاتية، وإلا كانا مختلفين ومن حق كل قادرين صحة التمانع بينهما، وذلك ضروري في الشاهد، ولا علة لهذه الصحة إلا كونهما قادرين، بدليل أن العلم بصحة التمانع يدور مع العلم بالقادرية ثبوتاً وانتفاءً مع فقد ما هو أولى من القادرية بأن تعلق عليه صحة التمانع، والتمانع: هو أن يفعل كل واحد من القادرين ما لأجله يتعذر على

الآخر إيجاد مراده، كمتحاذي الحبل، فإن كل واحد منهما يفعل من الاعتماد ما لأجله  
يتعذر على الآخر تحصيل الحبل في جهته التي يجذبه إليهما.

وأما الأصل الثاني: وهو أن صحة التمانع محال، (فكان يجب إذا أراد أحدهما  
تحريك جسم وأراد الآخر تسكينه) في حالة واحدة (فلا يخلو الحال من ثلاثة  
أقسام: إما أن يحصل مرادهما معاً فيكون الجسم متحركاً ساكناً في حالة  
واحدة وذلك محال، وإما أن لا يحصل مرادهما معاً فيخلو الجسم من الحركة  
والسكون، وذلك محال) وأيضاً ففي ذلك خروج عن كونهما قادرين للذات، (وإما  
أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر، فمن حصل مراده فهو الإله القديم، ومن  
تعذر مراده فهو عاجز ممنوع، والعجز والمنع لا يجوزان إلا على المحدثات).

فإن قيل: إنهما حكيمان فلا يختلفان في الإرادة والداعي؛ لأنهما إذا كانا حكيمين  
فالذي يدعو أحدهما إلى الفعل من العلم بحصول منفعة للغير تدعو الآخر إليه، والذي  
يدعو أحدهما إلى فعل الإرادة يدعو الآخر، إذ ليس دواعيهما دواعي حاجة، فتختلف  
دواعيهما لاختلاف نفعهما، وإذا كانا لا يختلفان في الداعي والإرادة لم يتمنعاً، إذ  
التمانع فرع على اختلاف الدواعي.

قلنا: كلامنا في الصحة لا في الوقوع، ومعلوم أن كل حين يصح اختلافهما في  
الإرادة والداعي، وإلا لَمْ ينفصل الحي الواحد من الاثنين على أنه يعلم صحة التمانع  
من لا يعلم اتحاد الإرادة أو تعددها، بل يعلمه من ينفي المعاني.

قال الوالد العلامة محمد بن عز الدين المقي: قلت: وأيضاً لو كان متعدداً ومنعت  
الحكمة من تحالفهما لما وصلنا رسول مؤيد بمعجز خارق يدعو إلى أحدهما ومكذب  
دعوى التعدد، ومثله ذكره الإمام القاسم بن محمد - عَلَيْهِ السَّلَام - في الأساس: (وقد)  
دل السمع على المنع حيث (قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾)  
(الأنبياء: ٢٢) قال جاز الله في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ دلالة على

أمرين: أحدهما: وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحد، والثاني: ألا يكسبون ذلك الواحد إلا إياه.

فإن قلت: لم وجب الأمران؟ قلت: لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التناكر والتغاير والاختلاف، وهذا ظاهر.

قال: وأما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها بمجادل وطراد وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [النور: ٩١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ مَسِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢] فهذه الآيات فيها مناسبة لدليل التمانع وإشارة إليه، ومما يدل على الوحدة قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإسلام: ١] وغير ذلك من الآيات المصرحة بالتوحيد.

وأما الكلام على الثبوت في النور والظلمة ومقالتها: أن كل خير فهو من النور بطبعه، وكل شر فهو من الظلمة بطبعها، وأن كل واحد منهما لا يقدر على خلاف ما يصدر عنه، وأن العالم ممتزج منهما، وأنهما غير متناهين إلا من جهة التلاقي.

فالكلام عليهم: أن النور والظلمة جسمان عند كثير من الناس وعرضان عند الباقين، والأجسام والأعراض محدثة، وأما الجوس الذين يقولون: بأن النور يزدان والظلمة إهرمن، وقال بعض هؤلاء: يحدث إهرمن، قيل: من عفونة كانت قديمة. وقيل: من فكرة يزدان الرديئة، وقيل: من شكه.

فيقال لهم: أما القول بأنه حدث من عفونة فباطل؛ لأن العفونة جسم، وكل جسم محدث؛ لأن الجسم لا يتولد عن جسم، ولأن العفونة من القاذورات ومما تعدونه شراً فهلا كانت الشرور قديمة ولا يحتاج إلى إثبات ثابته، أو كانت هذه العفونة محدثة فيجب تقدم إهرمن عليها ليكون محدثاً لها، ولأنه كان يجب أن يتولد من كل عفونة إهرمن؛ لأنه إذا كان إهرمن محدثاً فكيف يكون لها دون غيره من المحدثات؟ وكيف يصح منه فعل الأجسام؟

وأما القول بأنه حدث من فكرة الله أو من شكه فباطل؛ لأن الشك والفكرة إنما يجوزان على من يجهل، ولأنه كان يجب في كل فكرة وشك مثله؛ لأن الشك والفكرة متماثل إذا اتحد متعلقه، ولأنه إذا حدث من فكرة يزدان لزم كون يزدان محدثاً للشرور؛ لأن هذه الفكرة الرديئة من قبيل الشرور، وفي ذلك حصول الشرور من غير إهرمن.

وأما الكلام على الصابئين الذين زعموا أن للعالم صانعاً واحداً لكنه خلق الأفلاك حية قادرة عالمة وجعلها آلهة عبدوها<sup>(١)</sup> وعظموها وسموها الملائكة وجعلوا بيوت العبادات بعدة الأفلاك السبعة، وزعموا أن بيت الله الحرام هو بيت زحل وأنكروا الآخرة، ومنهم قائلون بالتناسخ، وزعموا أن لهم نبياً وأنه على دين شيث.

فإننا نقول: الأفلاك جمادات سخرها الله بأمره ودبر حركتها بمشيئته وخلقها لمنافع العباد، وألطافاً لهم، وقد ذكر الله تعالى من منافعها في القرآن العظيم أنها زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها وغير ذلك، وهي أجسام والجسم لا يقدر على إحداث جسم كما هو مقرر بدليله، والطبع غير معقول، إذ لا يعلم ضرورة ولا دليل عليه، (فثبت بذلك) الذي ذكرناه من الأدلة (أن الله واحد لا ثاني له).

---

(١) في الأصل: يعبدوها، والأول ما وضعناه.



مرکز تحقیق کتاب و اسناد

## (باب العدل)

العدل في أصل اللغة: المثل، يقال هذا عدل هذا أي مثله، وفي عرفها مصدر عدل في فعله، أي أنصف نقيض الجور هكذا نُقِلَ.

وفي الشرع: ما قاله أمير المؤمنين -عليه السلام- حيث قال: (العدل أن لا تتهمه) هذا نهاية التنزيه، وهو يقتضي التفويض والتسليم لأوامره تعالى وقضاياه وأحكامه، وما قصر عنه الفهم اتهم فيه العقل القاصر عن بلوغ شأو أحكام الحاكمين ووَكَّلَ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، وَقَطَعَ الْمُكَلَّفُ بِأَن ذَلِكَ هُوَ الرَّاجِحُ كَمَا أُرْشِدُ إِلَيْهِ مَلَائِكَتُهُ الْمُقْرَبِينَ لَمَّا قَالُوا عَلَى وَجْهِ الْإِلْتِمَاسِ لَا إِعْتِرَاضَ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] وقد صرح به القاسم بن إبراهيم -عليه السلام- والمرتضى وغيرهما.

واعلم: أن هذا الباب يشتمل على عشر مسائل ذكرها الشيخ في الباب أولها:



## (المسألة الحادية عشرة) من الكتاب

(أنه يجب على المكلف أن يعلم أن الله تعالى عدل حكيم ليس في أفعاله ما هو قبيح ولا ظلم ولا عبث ولا سفه) ولا كذب (ولا شيء من القبائح).

ولم يسمع عن أحد من أهل الجبر هذه المسألة، ولا وجدت في شيء من كتبهم الكلامية، وإن كانوا لو مثلوا عن ذلك لما وسعهم إنكاره، وهذه المسألة هي أم مسائل العدل، وما عداها من مسائله داخل تحتها ومُفَصَّل لها كما نقوله في الدلالة على أنه غير خالق لأفعالنا، فهي مشتملة على القبيح، والله تعالى لا يفعله، وتحقيق ذلك أن مسائل العدل على ضربين:

الأول: المسائل الإثباتية، كالكلام في أنه تعالى يثيب من أطاعه ويعاقب من عصاه، ويبين للمكلفين ما كُفِّوه، ويمكنهم منه فلا يكلفهم ما لا يعلم ولا يطاق، ويعرض المولين، ويقبل توبة التائبين، وهي داخلة تحت قولهم فيها لا يخل بالواجب.

والثاني: المسائل النفية، كالكلام في أنه ليس بخالق لأفعال العباد، ولا يثيب أحداً بغير عمل منه، ولا يعاقبه بغير ذنب منه، ولا يريد المعاصي ولا يقضي بها، ولا يرضى بها ولا يكف ما لا يطاق وما لا يُعَلَّم، وهذه كلها داخلة في أنه لا يفعل القبيح، فعرفت صحة ما ذكر من كونها أم مسائل العدل، وإنما سائر مسائله تفصيل لها وعائدة إليها.

نعم: وقد وافقت المجبرة في المنع من إطلاق القول بأن الله تعالى ظالم وحائر وفاعل للقبيح، وأثبتوا المعنى فأضافوا إليه كل قبيح، وجعلوا يحنالوا للمنع من إطلاق العبارة بما لا محصول له ولا طائل فيه.

(والدليل) لنا (على ذلك: أنه تعالى عالم بقبح القبيح وغني عن فعله وعالم باستغنائه عنه، وكل من كان بهذه الأوصاف فهو لا يفعل القبيح ولا يختاره

ولا يرضاه).

أما كونه تعالى عالماً بقبح القبيح وغنياً عنه، وعالماً باستغنائه عنه فقد تقدم في مسألة غني وعالم أنه يستحيل عليه الجهل والحاجة.

وأما أنه لا علة في حق الشاهد لفعل القبيح إلا اجتماع هذه الأوصاف؛ فلأن العلم بذلك يدور مع العلم باجتماعها ثبوتاً وانتفاءً، ولو كان لمؤثر غيرها لجاز أن يفعل أحدنا القبيح مع اجتماعها أو يستمر الحال في أنه لا يفعله مع زوالها أو بعضها وخلافه معلوم، ألا ترى أن الظلمة لا يفتصبون الأموال إلا لاعتقادهم أنهم محتاجون إليها أو لجهلهم بأن ذلك ظلم، إما بأن يعتقدوا بأن المغصوب عليه يستحق بأن يغصب عليه، أو أنهم يدفعون بذلك ضرراً عن الرعية ويدّخرونه لما ينوب الجميع، يزيد ذلك وضوحاً أن العاقل لو خير بين أن يكذب ويأخذ درهماً أو يصدق ويأخذ درهماً مثله فإنه يختار الصدق لا محالة.

فإن قيل: إنه لا يختار الكذب لاستحقاق الذم عليه والعقوبة.

قلنا: نفرض الكلام في كافر دنيء لا يتضرر بالذم ولا يعلم استحقاق العقاب، فثبت أنه لا علة لكونه لا يفعله إلا اجتماع هذه الأوصاف، (فثبت) بهذه الطريق أن الله (عدل حكيم) كما ذكر.

## (المسألة الثانية عشرة)

(أن أفعال العباد) جميعها (الحسن منها والقيح) والمبتدئ والمتولد غير مخلوقة بل هي (منهم) ونسبتها إليهم حقيقة (لا من الله تعالى).

وهذا مذهب أكثر أهل القبلة وغيرهم من أهل الأديان الكفرية.

وقال أهل الجبر: هي من الله تعالى، وإنما سُموا جبرية لمذهبهم في هذه المسألة، وقولهم بأن العبد مجبور على هذه الأفعال، ولا اختيار له فيها، ثم اختلفوا بعد ذلك فقال جهم: هم لها كالظروف، وإضافتهم إليها كإضافة ألوانهم، وكإضافة حركة الشجرة إليها، وسواء في ذلك بين المباشر والمتعدي.

وقال ضرار<sup>(١)</sup>: هي من الله تعالى حدوثاً ومن العبد اكتساباً، ولم يفرق بين المباشر والمتعدي، وبه قال الأشعري<sup>(٢)</sup> في المباشر، فأما المتعدي فأنه متفرد به عنده.

وقال المدعون لتحقيق منهم كالجويني<sup>(٣)</sup> والغزالي<sup>(٤)</sup> والقاضي أبي بكر الباقلاني<sup>(٥)</sup> وغيرهم من مشاهير علماء هذا المذهب: الفعل يقع بقدرة العبد ولكنها موجبة ففاعلها هو فاعل الفعل؛ لأن فاعل السبب فاعل المسبب.

قال بعض المحققين: والأقرب أن هذه الأقوال في التحقيق تعود إلى قول جهم؛ لأن أهل الكسب<sup>(٦)</sup> لا بد أن يجعلوا العباد كالظروف لها في الحدوث، وأما الكسب فهو إما

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الأشعري: هو ابن أبي بشر الأشعري، وهو رئيس الأشاعرة.

(٣) الجويني: هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله أشعري، دعي إمام الحرمين، توفي سنة ٤٧٨ هـ.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) أبو بكر الباقلاني: هو محمد بن الطيب أشعري، ولد في البصرة وتوفي بعدد عام ٤٠٣ هـ.

(٦) يأتي الكسب في النعمة لمدة معان، منها: الطنب والربح بقان: كسب الرجل علماً أو مالاً، أي ربحه وطلبه،

ومعنى التحمل نحو: كسب الإنم ومنه «ومن يكسب محطنة أو إثم» وهو أعمان الخوارج أو بعضها في -

أن لا يكون فعلاً فذكره هنا بطلاة وهذيان؛ لأن كلامنا في الأفعال، وإما أن يكون فعلاً فهو إما أن ينفرد الله به، وهو مذهب جهنم، وإما أن يحتاج إلى كسب آخر فيعود السؤال، وكذلك المثبتون للقدرة الموجبة لا بد أن يجعلوا العباد كالظروف لأفعالهم؛ لأنه لا اختيار لهم في السبب ولا في المسبب، ويصير الحال فيه كالحال في الشجرة التي يوجد الله فيها اعتماداً توجب الحركة، فإن ذلك لا يخرج الشجرة عن كونها كالظرف للحركة الموجبة عن الاعتماد، فظهر بذلك أن المجرة كلهم جهيمة في التحقيق.

(والدليل على ذلك) المذهب الصحيح، وهو مذهب أهل العدل ومن وافقهم: العلم بأننا محدثون لأفعالنا ضروري؛ لأنه لا مجال للشك فيه؛ لأن العقلاء يعلمون بعقولهم (أنه يحسن أمرهم ببعضها ونهيهم عن بعض وثوابهم ومدحهم على الحسن) الذي يستحق عليه الثواب، (وعقابهم على القبيح منها)، ويعلنون ذلك بكونه فعلاً، وكل ذلك فرع على أنهم المحدثون لها، وإنما قلنا على الحسن الذي

طلب عين بصح منكها يعتقد أو بطل الانتفاع بها، أو هو من الفعل المنفصي إلى احتلاب نفع أو دفع ضرر، وعلى هذا لا يوصف فعل الله تعالى بأنه كسب، لكونه مبرهاً عن جلب نفع أو دفع ضرر، وتبرهه عند الأشاعرة على اصطلاحهم: هو وقوع الفعل بالقدرة مع تعلق انفراده به، وفي هذا التعريف إشارة إلى عسدم الاستقلال مع أنه تعريف ناقص، قال الأمدى: ذهب الشيخ الأشعري إلى خلق الأفعال أولاً تأثير للقدرة الحادثة في حدوث مقدرها ولا في صفة من صفاته، وإن أجرى الله العادة بخلق مقدرها مقارناً لها، فيكون العمل خلقاً من الله تعالى إبداعاً وإحداثاً وكسباً من العبد لفرعه مقارناً بقدرته، والمرجع بالكسب عندهم إلى وجود الفعل بقدرة الله تعالى مقارناً بقدرة العبد في ذلك، ولا يطل بكثرة النقل عنهم في تحقيقه، فإنه اسم لا مسمى له، وقد اعترف النصارى وهو من التشديد في مذهبهم بصعوبة إيضاح معنى الكسب، ونقل الشعراني عن الغزالي ما لفظه: لا نعرف الكسب إلا في الدنيا ولا في الآخرة، وقال ابن عربي: مكنت ثلاثين سنة أبحث عنها ولم أعرفها، ويكفي في بطلانه أنه غير معقول، وقد عدد العلماء المذاهب التي لا تنفصل، أحدها: المذهب المتناقض كمذهب النصارى فإنهم قالوا: إن الله تعالى واحد ثلاثة، والثاني: أن لا يدل على ذلك المذهب دلالة عقلية ولا سمعية، كمن قال بالطبع، وأنه مؤثر؛ لأن المؤثر لا يعقل إلا فاعلاً، والثالث: الكسب فإنه غير معقول، وما يدل على إبطاله أن يقال فم أحجروا عن هذا الكسب الذي يحصل بقدرتنا أكان حصوله ما اختيارياً أو على جهة الإيجاب؟ فإن قلتم: إيجاباً حرجم عن مذهبكم؛ لأن عدكم أما غير مختارين، وإن قلتم: على جهة الإيجاب سقط عا المدح والذم والأمر والنهي، ويلزم حصول أفعالنا دفعة؛ لأن الموحب لا يراعى عن الذي أوجه، والله الهادي والموفق.

يستحق عليه الثواب؛ لأن بعض الحسن لا يستحق عليه ثواب، كالمكروه والمباح فإنهما حسنان عند المحققين ولا ثواب فيهما، (فلو كانت من الله لما حسن شيء من ذلك كما لم يحسن شيء من ذلك على صورهم وألوانهم، فإذا حسن ثوابهم وعقابهم، ومدحهم وذمهم، على أفعالهم، ولم يحسن شيء من ذلك على صورهم وألوانهم علمنا) الفرق بين أفعال العباد وبين الصور والألوان ودل ذلك على (أن أفعالهم منهم لا من الله تعالى، وذلك مقرر في عقل كل عاقل).

فإن قالوا: أستمحمدون الله تعالى على الإيمان وهو من فعلكم؟<sup>(١)</sup>

والجواب: أنا نحمده على مقدمات الإيمان من الإقذار والتمكين والتوفيق، وهو يحمداً تعالى على فعله كما صرح به في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانُوا فِيهِ مَسْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] وصار الحال في حمداً له تعالى على الإيمان كالحال في الوالد إذا اجتهد في تخريج ولده وحسن تأديبه حتى يبدو صلاحه، فإنه يقال: هذا من أبيه، والمراد أنه تقدم من أبيه من العناية والرعاية ما كان سبباً في ذلك.

ولنا طريقة أخرى سمعية، وإنما استدللنا بالسمع هنا وإن كان العلم بصحته يقف على العلم بهذه المسألة استظهاراً على الخصوم، لموافقته في أنه دلالة، ولأنهم تمسكوا بالمشابهة فتمسكنا بالمحكم على أن المتأخرين من أصحابنا كالشيخ الحسن الرضا<sup>(٢)</sup>

(١) قد أورد هذا السؤال بعض المخبرين على رجل من أهل العدل، فأجاب العبد بجواب لم يصب فيه وفي الحضرة لمامة بن الأشرس، فأجاب لمامة بقوله: إنا لا نحمد الله على الإيمان، وإنما هو يحمداً عليه؛ لأننا الماعلون له، ثم انتفت إلى الحاضرين فقال: شئت المسألة فسهدت، وروي أنه كان في الحضرة جعفر بن حرب، وقيل: بل بشر بن المنذر، وقد أجاب عن هذا السؤال من أجاب بمثل جواب الإمام المؤلف، وأجاب الفقيه حميد - رحمه الله - فقال: نحن نمدح الباري تعالى على الإيمان نفسه؛ لأنه الفاعل لمقدماته والماعث عبه بالدلالة العقلية وصار لذلك كالفاعل، أفاد معنى هذا صاحب شرح الخلاصة.

(٢) الحسن بن محمد بن الحسن بن أبي الطاهر محمد بن إسحاق بن أبي بكر بن عبد الله الرضا، محقق أصولي واسع الدراية، تعلم على شيخ الإسلام: القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام، ونشأ في من مكره، وكان عالم الزهدة في عصره، وإليه انتهت رئاسة أصحاب القاضي جعفر، عكف على التدريس والتأليف. وله تلامذة أحلهم وأعظمهم: للنصور بالله - عليه السلام -.

والإمام يحيى والفقير حميد<sup>(١)</sup> قد صححوا الاستدلال بالسمع على هذه المسألة وغيرها من جنسها على أنه يكفي في معرفة صحة السمع ثبوت الدلالة على أنه عدل حكيم في الجملة، فإذا عرف المستدل عدله وحكمته ونبوة نبيه صحح الاستدلال بالسمع، فمنها قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] مما يقتضي أنا مختارون في أفعالنا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَارًا﴾ [التكوير: ١٧] مما يدل على أنهم يقدرون على أفعالهم، ومنها قوله تعالى: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿بِمَا تَصْنَعُونَ﴾، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزل: ٩٠] ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [التيسر: ٥٥] ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣] ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] ونحو ذلك مما يصرح بأن لنا أعمالاً نجازي عليها، والقرآن مشحون بذلك، ومذهبهم يقضي بصرف القرآن عن ظاهره، ويدخله في قالب الهديان.

ومما نستدل به على صحة ما نقوله في هذه المسألة السنة النبوية والإجماع، أما السنة فنحو قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «نية المؤمن خير من عمله»، ونية الفاسق شر من عمله»<sup>(٣)</sup> وقوله ﷺ: «الأعمال

وله المؤلفات الكثيرة، شرح المؤثرات القريب والبعيد وغيرهما، والكشف، والنهض، والفائق في أصول الفقه، والقاطف للوتين، وغير ذلك، وكان المصور بالله يخرج إليه من صعاء إلى سناع ليلاً لمسائل ومشكلات، وهو المفضل حلول الأعراض بالفاعل، وكتبت المسألة على لوح قيره، ولما مات قال رجل: أتفرحون بموت رجل كان يرد على اثنين وسبعين فرقة، ولما مات قيل: مات علم الكلام، وله كتاب المؤثرات، وفاته: سنة ٥٨٤ هـ.

(١) هو الفقيه حميد الشهيد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الواحد، وهو ريدي من مشايخ الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين - عليه السلام - قام بمصرة الإمام المهدي وحاهد بين يديه واستشهد في رقعة بين جنود الإمام وبين أولاد المصور بالله، له تواليف باعة كالخداق الوردية والوسط والعملة في أصول الدين وغير ذلك، وأخذ عن المصور بالله وغيره - رحمه الله -.

(٢) حديث: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» في الطبراني عن أبي عباس وعن عمران بن حصيب، قال المصاوي في شرح الجامع الصغير: وإساده صحيح. أ. هـ.

(٣) هذا الحديث هو بهذا اللفظ في معجم الطبراني الكبير من حديث سهل بن سعد والناس بن سمعان، وفي مسند الفردوس للذهبي من حديث أبي موسى، وفي الصحيح من حديث سعد بن أبي وقاص: «إنك لا -

بالنيات»<sup>(١)</sup> وأما الإجماع: فهو أن الرضى بقضاء الله واجب، ولو كان الكفر من قضاء الله تعالى لكان الرضى به واجباً لكن الرضى بالكفر كفر بالإجماع، فعلمنا أن الكفر ليس من فعل الله فلا يكن من خلقه، ذكر هذا بعضهم، (فثبت بذلك) الذي ذكرنا من الأدلة العقلية والنقلية (أن) العباد (أفعالهم منهم) لا من الله تعالى وبطل ما ذهب إليه المخالفون، وقد ألزموا بالزامات في البسائط تقضي بكفرهم ولا يحصر لهم عنها، والله القائل: (أتظن أن الذي نهاك دهاك، إنما دهاك أسفلك وأعلاك)<sup>(٢)</sup>، فيالله من سلب العقول وتضييع المعقول والمنقول.

**تبيين:** واعلم أن المعتزلة قد اتفقت على انقسام فعل العبد إلى متولد، وهو الفعل الموجود بواسطة موجبة كالعلم الحاصل بواسطة النظر والمبتدئ يقابله، وهما يرادفان السبب والمسبب في أغلب الأحوال، ويفارقان المباشر والمتعدي مفارقة الأعم للأخص؛ لأن المباشر هو الموجود في محل القدرة عليه، والمتعدي هو الموجود في غير محلها بواسطة فعل في محلها، فكل متعد متولد ولا عكس، وكل مباشر مبتدئ ولا عكس، واختلفوا في المتولد، فالذي عليه الزيدية أن المتولد فعل العبد حقيقة وتأثيره كالمبتدئ، وإن اختلفا في أن أحدهما بواسطة والآخر بغير واسطة، وقال أبو عثمان الجاحظ<sup>(٣)</sup>: لا فعل للعبد

---

تفق نفقة تبقي بها وجه الله (لا أحرث فيها حتى ما نعمله في في امرأتك)) قبل في تفسير هذا الحديث: أن المزمع ينوي كثيراً من عمل الخير فيقصر به عمله، وأن الكافر ينوي كثيراً من عمل الشر فيقصر به عمله أ.هـ.

(١) حديث ((الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)) أخرجه السنة إلا الموطأ عن حماد بن عيسى عن الخطيب، وأخرجه من أئمتنا الإمام المرشد بالله -عليه السلام- وهو أول حديث في أمالي المرشد بالله والمخاري.

(٢) هو أمير المؤمنين وسيد المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام حكاه الأمير الحسين في مناقب النجاشية.

(٣) الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكعبي بالولاء اللبني أبو عثمان المشهور بالجاحظ من أئمة الأدب العربي، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، من أهل البصرة مولداً ووفاء، تعلم بها وبغداد فسه في علوم الأدب والهمة، وأحاط بمعارف عصره فلم يترك موضوعاً إلا وكتب فيه، تقرب من الخلفاء والوزراء إلى أن ولي المتوكل العباسي، وتكر للمعتزلة فتراوى الجاحظ وعاد إلى البصرة ولازم مرله الذي أصبح مشهور الأدب ومخط رحاله، وطلع في آخر عمره ومات والكتاب على صدره، قتلته محلدات وقعت عليه، كنه كثيرة وشهرة وموجودة بأرقى الطباعات.

مبتدئ إلا الإرادة فقط، وجميع ما عداها من الأفعال المنسوبة إليه فهو متولد، لكن لا من فعل العبد بل متولد بطبع المحل ولا تأثير لله تعالى فيه.

وقال تلميذه إبراهيم بن سيار النظام<sup>(١)</sup>: المباشر سواء كان بواسطة أولاً، فعَلُ العبد، والمتعدي فعل الله تعالى لكن لم يجعله طبعاً للمحل فهو فعْلُهُ بواسطة ذلك الطبع.

وقال قبة<sup>(٢)</sup>: بل المتعدي فعل الله يبتدئه، وقال ثمامة<sup>(٣)</sup>: بل هو حدث لا يحدث له، لنا وجوده بحسب القصد والداعي دل على توليده من فعلنا كما تقدم، وللمجبرة شبه لا طائل تحتها فلا نشتغل بإيرادها، وهي مذكورة في البسائط.



---

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام البصري المعتزلي، أبو إسحاق يقال: هو مولى، قال الإمام المهدي -عليه السلام- في شرح الملل والنحل: قيل: إنه كان لا يكتب ولا يقرأ، وقد حفظ التوراة والإنجيل والزبور مع تفسيرها، قال الجاحظ: ما رأيت أحداً أعلم بالفقه والكلام من النظام، وهو من الطبقة السادسة، من طبقات المعتزلة، أ.هـ، وسمى نظاماً لأنه كان ينظم الكلام، وقيل: كان ينظم الحرز، توفي سنة بضع وعشرين ومائتين.

(٢) قبة: هو صالح قبة معتزلي من الطبقة السابعة.

(٣) ثمامة بن الأشعر: أبو معمر النميري البصري ذكره المهدي -عليه السلام- في أول الطبقة السابعة، قال الذهبي في الميزان: من كبار المعتزلة ومن رؤوس الضلالة إلخ، ما ذكره على عادته من وصف رجال العدل.



(المسألة الثالثة عشرة: أنه لا يجوز إطلاق القول بأن المعاصي من قضاء الله وقدره)

والقضاء في اللغة: بمعنى الخلق نحو: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [نمل: ١٢] وبمعنى الأمر نحو: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وبمعنى الإعلام نحو: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤] وبمعنى الفراغ نحو: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [التيسر: ٢٩].

وأما القدر فلم يرد إلا بمعنى الكتابة والعلم نحو قوله:

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر في الصحف الأولى التي كان سطر

أمرك هذا فاجتنب (منه) <sup>(١)</sup> التبر.. أي الهلاك. أي علم وكتب.

ثم إن أهل القبلة اتفقوا على إثبات القضاء والقدر في جميع أفعال العباد، بمعنى العلم والكتابة، واتفقوا على نفيه بمعنى الأمر بكل أفعال العباد، واختلفوا في هل قضاء أفعال العباد وقدرها، بمعنى خلقها، فأنكره أهل العدل ومنعوا إطلاق القول بأن أفعال العباد بقضاء الله وقدره، ولقولهم بشيئته، بمعنى العلم والكتابة، ومنعوا القول أيضاً من إطلاق نفي كونها بقضاء الله وقدره.

وأما المجبرة فلا يثبتون معنى الخلق أجازوا إطلاق القول بأنه بقضائه وقدره، (والدليل على ذلك) هو أنه لا يصح إطلاق القول: (أن إطلاقه يوهم المعنى الفاسد، وهو أنه تعالى خلقها) كما بقوله المجبرة، (وذلك لا يجوز؛ لأننا قد بينا) بالدليل القاطع فيما تقدم من مسألة خلق الأفعال (أن أفعالهم منهم لا منه تعالى).

وأيضاً فقد وقع الإجماع على قبح الرضى بالمعاصي وأخر الله عن نفسه أنه لا

(١) لفظة (منه) غير موجودة في الأصل، وهي ثابتة في غير هذا الكتاب كالتابع والأساس وغيرهما، والبيت للعجاج، وهو عبدالله بن روبة بن لييد بن صحر السعدي التميمي، العجاج شاعر راحل مجيد ولد في الحاهلية وقال الشعر فيها ثم أسلم، توفي نحو سنة ٩٠ هـ.

يرضى لعباده الكفر.

وأيضاً فقد وقع الإجماع على أن قضاء الله حق، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠].

ووقع الإجماع على أن الكفر باطل كما قال تعالى: ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] فلو كانت المعاصي بقضائه لكانت حقاً.

وأيضاً إذا جاز القضاء بالمعاصي بمعنى الخلق جاز القضاء بمعنى الأمر؛ لأنه ليس الأمر بالكفر بأبلغ من فعله في الكافر ومنعه من الإيمان.

واعلم: أنه قد اختلف في بيان القدرية<sup>(١)</sup> واتفق الناس على أنه اسم ذم لما ورد الأمر بذمهم ولعنهم، والنهي عن محالستهم وتشبيههم بالمجوس، فعندنا أن المجرة المعنيون به ودليلنا اللغة والمعنى والآثار.

أما اللغة: فهو أن الاسم إنما يشتقه أهل اللغة لمن أثبت الشيء لا لمن نفاه، والخصوم أثبتوا القدر بالمعنى المختلف فيه، ونحن نتفيه فهم أحق بهذا الاسم، كما أن الموحد من أثبت الواحد، والثنوي من أثبت الثاني، والمجسم من أثبت التحسيم، فكذلك القسدي من أثبت القدر، هكذا قيل، وفي العبارة وهم؛ لأن القديري ليس مشتقاً من القدر بل منسوب إليه إذ هو اسم القدر زيدت عليه ياء النسبة، فالأولى في تحرير العبارة أن القدرية اسم نسبة.

فإن قيل: قد أثبتتم يا عدلية القدر؛ لأنكم تجعلون المعاصي بقدر العبد فصحت النسبة والاشتقاق، فأنتم إذاً القدرية؟

فالجواب: أن هذه ليست من عبارات العدلية ولا يتولعون بذكر القسدر بخلاف المجرة، ولا يقال أنه منسوب إلى القدرة، فأنتم تقولون بها؛ لأنكم تثبتون القدرة على

(١) القدرية: يطلق هذا الاسم على كل من يقول: بأن الله هو خالق أعمال العباد مثل المجرة، وهو الصحيح.

أفعالكم؛ لأننا نقول: لو كانت كذلك لكنتم أيضاً قدرية؛ لأنكم تثبتون القدرة لله تعالى، وأكثركم يثبت القدرة للعباد، ويلزم أن يكون الله قدرياً.

وأيضاً فالنسبة إليها قدرية بضم القاف وسكون الدال، والأصل عدم تغيير النسبة، فهلم الدليل إلى أنه من تغيير النسب فإنه خلاف الظاهر، وأما من جهة المعنى فهو أن النبي ﷺ ذمهم ونهى عن محالستهم وحكم بأنهم شهود إبليس وخصماء الرحمن وشبههم بالجوس، فسيبيلنا أن ننظر في معاني هذه الأطراف.

أما الذم فوجدناهم أحق به؛ لأنهم أضافوا إلى الله كل قبيح من ظلم وعيب وسفه وتكليف مالا يطاق، والاضلال عن الدين ونحو ذلك مما لو نسبته إلى أحدهم لأنف منه ونفاه عن نفسه، ونحن نقول: إن الله تعالى عدل حكيم منزّه عن كل نقص في الذات منعم على كل الخلق، له الحجة على المكلفين.

وأما النهي عن المحالسة؛ فلأننا وجدنا في محالستهم من المفسدة مالا يخفى، أما أولاً: فلأنهم يغرون بالمعاصي ويسهلونها، ويقولون ما قدره الله كان، وما لم يقدره لم يكن، فلا وجه للصبر عن المعصية والتحفظ عنها.

وأما ثانياً: فلأنهم يؤسسون عن رحمة الله تعالى وعدله بتجويزهم أن يعذب من لا ذنب له، إلى غير ذلك مما يجري مجراه.

وأما كونهم شهود إبليس وخصماء الرحمن فإن الله إذا قال: ما منعك أن تسجد ولم كفرت؟ فيقول: يا رب أنت منعتني من السجود وقضيت علي بالكفر، فهو منسوب إليك، ونسبته إليّ كذب لا صحة له، ولا حجة لك عليّ، فإذا قال الله: مَنْ شَاهِدُكَ عَلَى ذَلِكَ فلا يجد غير أهل هذه المقالة.

قال الإمام عز الدين -عليه السلام-: وشهادتهم له ومخاصمتهم لله عز وجل تقديرية وبلسان الحال، وإن كانوا هم وإبليس في الآخرة أحقر من أن يحاجوا الله بالأباطيل، وينطقوا بالهجر من الأقاويل، والمعنى أن هذا يكون قولهم لو قالوا ونطقوا بما كانوا

عليه من الاعتقاد، وهيئات هذا يوم لا ينطقون ولا يودن لحم فيعتدرون. انتهى.

وأما شبههم بالمحوس فمن وجوه: أحدها: أنهم ينكحون أمهاتهم وأخواتهم ويقولون: كل ذلك من الله تعالى، وقول المخالفين كذلك.

ومنها: أن المحوس علقوا المدح والذم والأمر والنهي بما لا يعقل، وهو الطبع، والمخالفون علقوا ذلك بما لا يعقل، وهو الكسب.

ومنها: أن المحوس يعلقون المدح والذم بما لا اختيار في فعله ولا تركه، يحكى أنهم يرمون بالبقرة من شاهق، ويقولون: انزلي لا تنزلي، فإذا وقعت على الأرض، قالوا: غَضِبَ وأكلوا لحمها، وكذلك مذهب الخصوم في المؤمن والكافر.

وأما الآثار الدالة على ذلك؛ فلائه قد روي (أنه قال ﷺ: «صنفان من أمي لا تنالهما شفاعتي لعنهم الله على لسان سبعين نبياً، وهم القدرية والمرجئة، قيل: يا رسول الله: من القدرية؟ قال: الذين يعملون المعاصي، ويقولون: هي من الله تعالى، قيل: ومن المرجئة؟ قال: الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل»<sup>(١)</sup>).

وروي القرشي في منهاجه قال: روي في الفائق<sup>(٢)</sup> أنه قال: «لُعِنَت القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً، قيل: ومن القدرية يا رسول الله؟ قال: قوم يزعمون أن الله تعالى قدر المعاصي عليهم وعذبهم عليها، قيل: ومن المرجئة؟ قال: قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) أخرجه من أصحابنا جمع كثير كالقاضي جعفر في الخلاصة، والأمير الحسين في السابغ وغيرهما، وهو في رسائل العدل والتوحيد.

(٢) الفائق لابن الملاحي.

(٣) هو في رسائل العدل والتوحيد إنقاذ البشر للشريف الرضي.

وفيه أيضاً: وروى أبو الحسن عن محمد بن علي المكي<sup>(١)</sup> بإسناده أن رجلاً قدم على النبي ﷺ من فارس فقال له النبي: «أخبرني بأعجب ما رأيت؟ قال: رأيت قوماً ينكحون أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم، فإذا قيل لهم: لم تفعلون؟ قالوا: قضاء الله وقدره، فقال -عليه السلام-: أما إنه سيكون في هذه الأمة قوم يقولون بمثل مقالتهم أولئك مجوس أمي»<sup>(٢)</sup>.

وروي فيه عن جابر بن عبد الله<sup>(٣)</sup> قال: «يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ويقولون: قدرها الله تعالى، الراد عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله»<sup>(٤)</sup>.

وعن الأصمعي بن نباتة<sup>(٥)</sup> قال: قام شيخ إلى علي -عليه السلام- بعد انصرافه من صفين فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال علي -عليه السلام-: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطننا موطناً، ولا هبطنا وادياً، ولا علونا تلة»<sup>(٦)</sup> إلا بقضاء الله وقدره، فقال الشيخ: عند الله احتسب عناي ما أرى أن لي من

(١) هو محمد بن علي المكي من الطبقة الثامنة، قال أبو القاسم: وهو إمام نيسابور.

(٢) ومثله ما روي عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «(مجوس العرب وإن صلوا وصاموا التقديرية)» اهـ. أخرجه أبو يعين في الخلية، وروي عن أبي هريرة وابن عمر وجابر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «(التقديرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم ولا تصلوا عليهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم فإنهم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم به)» أخرجه الفاضل جعفر في خلاصة القوائد والحاكم في المستدرک، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ورواه أبو داود في سننه. اهـ. وأخرجه الحاكم الجشمي -رحمه الله- في حلاء الأبصار عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «(التقديرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوا جنازتهم)» قال: وفي حديث جابر: «(إن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم فإِنَّهم شيعة الدجال)» اهـ.

(٣) جابر بن عبد الله صحابي من الطبقة الثامنة في اللغة والحديث.

(٤) هو في رسائل العدل والترحيد.

(٥) من الشيعة المعاصرين لأمر المؤمنين علي -عليه السلام-، له من الكتب عهد أمير المؤمنين -عليه السلام- إلى مالك الأشتر النخعي، ووصيته إلى ابنه محمد بن الحنفية.

(٦) قوله: ولا علونا تلة، التلة: ما ارتفع من الأرض.

الأجر شيئاً، فقال له: مه<sup>(١)</sup> أيها الشيخ بل أعظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ: كيف والقضاء والقدر ساقانا؟ فقال: ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدرأ حتماً، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي، ولم تأت من الله لائمة لمذنب ولا محمداً لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشيطان، وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب، وهم قدرية هذه الأمة وبجوسها، إن الله تعالى أمر بتحذيراً، ونهي تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، فقال الشيخ: فما القضاء والقدر الذي ما سرنا إلا بهما؟ قال: هو الأمر من الله والحكم، ثم تلى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] فنهض الشيخ مسروراً وقال:

أنت الإمام الذي نرجوا بطاعته      يوم الحساب من الرحمن غفراناً  
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً      جزاك ربك عنا فيه إحساناً<sup>(٢)</sup>

(١) قوله: فقال له: مه، معناه: أكفف عن هذا الكلام واعتقاده. يقال: فما بال أمير المؤمنين -عليه السلام- أطلق القول بأن ذلك بقضاء الله تعالى وقدره، مع أنكم قد منعتم إطلاقه، لإبهامه الخطأ واحتماله المعنى العمى الصحيح كما سبق إلى فهم هذا الشيخ الذي راحه؟ أجاب بعضهم: بأنه -عليه السلام- يجوز له إطلاق ما لا يجوز له إطلاقه لما ثبت بالدلالة من عصمته، فلا يجوز للسامع أن يعظن به قول الخطأ ولا اعتقاده لعصمته. اهـ.

(٢) ذكر هذا الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي -رحمه الله- في أماليه، وأوردها الأمر الحسيني في البيان، والقاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام في خلاصة العوائد، وأخرجه الحاكم الحسني في كتاب حلاء الأبصار، وذكر منه الحكاية ولفظه، وقد بين أمير المؤمنين ذلك على وجه لا يبقى معه ريب فيما أخبرناه الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد -رحمه الله-، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد الديوري، قال: حدثني أبو منصور عبد الله بن محمد، قال: قرأت على أبي بكر أحمد بن عبد الله بن عبد المؤمن المكي بها في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، قال: وقرأت على أبي العباس أحمد بن إبراهيم الكندي، قال: حدثنا الحضرمي أبو جعفر محمد بن عبد الله الكوفي عن الحسن بن زياد الكوفي عن محمد بن إسحاق الكندي عن زيد بن علي عن أبيه =

فانظر في هذا الكلام الذي هو صريح في أنهم هم القدرية، وهو من كلام سيد  
البشر الصادق المصدق، ومن كلام باب مدينة العلم ومن هو على الحق والحق معه.

ولهم شبهة في هذه المسألة، منها أخبار آحادية لا تُقبل في مثل هذه المسألة، ومع ذلك  
فهي محتملة فلا نشغل بإيرادها، وتعلقوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيِّمَاتُ فِي  
أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤] فبين أنه بعث  
المؤمنين على محاربة الكفار وجراهم عليه، وكذلك بعث الكفار على المؤمنين وجراهم  
عليهم ليقضي ذلك.

والجواب: ليس في ظاهرها من هذه الدعوى شيء، والمراد بالقضاء التمام فقلل  
الكفار في أعين المؤمنين؛ ليحزروا عليهم تثبيتاً لهم ونصراً، وقلل المؤمنين في أعينهم؛ لئلا  
يحمزوا منهم خذلاناً لهم؛ ليتم ما وعد من نصر المؤمنين وخذلان عدوهم وهلاكهم  
بأيدي المؤمنين.

ومنها: قوله تعالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١].

والجواب: أن لفظ الأمر ليس فيه تصريح بما يدعيه الخصم، وهو من الألفاظ  
المشتركة إلى غير ذلك مما لا تعلق لهم به من المتشابه.

وأيضاً فإنه لا يصح الاستدلال بسمع قط لتجويزهم القبح عليه تعالى، ومع ذلك  
فما يؤمنهم أنه تعالى لم يرد بخطابه معنى من المعاني المفهومة، بل تكلم به على جهة  
الهدر واللعب، (فثبت بذلك) الذي ذكرنا (أنه لا يجوز إطلاق القول بأن المعاصي  
بقضاء الله وقدره)، وبطل ما زعموا.

---

عن حده - عليهم السلام - قال لما رجع علي عليه السلام - من صفين وسردها وذكرها جمع من أصحابها،  
وذكرها المتقدم لرسالة أبي مرة تأليف الحاكم الحسني، وذكر من رواها من الإمامية وغيرهم بصفحة ٦٥،  
من تلك المقدمة. قال الدامغانى في رسالته: اسم هذا الشيخ (أزور بن ضرار).

## (المسألة الرابعة عشرة: أن الله تعالى لا يكلف عباده ما لا يطيقون)

وهذا قول الأكثر، واتفق أهل الجبر إلا الغزالي<sup>(١)</sup> على جوازه، وليس وجه الامتناع عنده الوجه الذي تعلل به العدلية وهو قبحه، وأن الله تعالى لا يفعل القبيح؛ لأن قاعدته نفي التقييد العقلي، بل علل بأن الطلب ممن لا يتأني منه المطلوب محال كما يستحيل طلب الحركة من الشجرة، ووافقونا إلا الأشعري وأتباعه على أنه ممنوع سمعاً ثم اختلفوا في صحة تكليف ما لا يعلم والعاجز، فمنعه محققوهم وأجازوه الباقيون مع اتفاق الجميع على منع تكليف الجماد.

واعلم: أنه لا محصول لشيء من هذا الخلاف؛ لأنهم متفقون على أن الله تعالى خالق لجميع الأفعال، وأنه لا يوجد شيء إلا بقدرته، فلا بد أن يكون التكليف بالأفعال تكليفاً لما لا يطاق ولا ينجيهم من ذلك قولهم: إن للمؤمن قدرة على الإيمان، وللكافر قدرة على الكفر؛ لأنه لا معنى لذلك إلا أن الله أوجد الفعل عندهما على ما يقولون، (والدليل على ذلك) الذي ذهبنا إليه أن تكليف ما لا يطاق قبيح مع أنه معلوم قبحه على الجملة ضرورة لا يختلف فيه أهل العدل، وإنما اختلفوا في العلم بقبحه تفصيلاً وفي وجه قبحه، وفي حق الله تعالى، فالشيخان: أبو الحسين ومحمود ابن الملاحمي طردا القضية وقالوا: كل ذلك معلوم بالضرورة، قيل لهما: لو كان ذلك ضرورياً لم يخالف المجبرة؟ فأجابا: بأنهم صنفان: عوام وعلماء، فالعلماء منهم قلة فيجوز منهم التواطؤ على إنكار الضرورة لأغراض دنيوية، والعوام هم السواد منهم ومن غيرهم، وهم أتباع للناعق.

والذي عليه جمهور العدلية أنه لا يعلم قبح تكليف ما لا يطاق مفصلاً وفي حق الله

---

(١) قال الغزالي في كتابه المحول من تعليقات الأصول (ص ٢٤ تحقيق محمد حسن هبتر): المعار عندنا استحالة تكليف ما لا يطاق، قال: والدليل على استحالة أن الأمر طلب يتعمق بمطلوب كالعلم يتعلق بمعلوم، فلا يكون مطلوباً ويستحيل طلبه إذ لا يفعل في نفسه. ا.هـ.



إلا استدلالاً.

وقالوا: على ذلك (إن تكليف مالا يطاق قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح).

فإن قيل: (و) ما (الذي يدل على أن تكليف مالا يطاق قبيح)؟

قيل له: (هو معلوم) قبحه (ضرورة في حق الشاهد، ألا ترى أنه يقبح في الشاهد منا أن يأمر الأعمى بنقط المصحف، وأن يأمر المقعد بالجري مع الخيل العربية، وأن يأمر من لا جناح له بالطيران، وقبح ذلك معلوم ضرورة، ولم يقبح ذلك إلا لكونه تكليفاً لما لا يطاق) بدليل أن من علمه كذلك علم قبحه، وإن جهل كل أمر من سمع وغيره، (فلو كلف الله تعالى عباده مالا يقدرُونَ عليه لكان قبيحاً، والله تعالى لا يفعل القبيح).

ولهم شبهة من جهة السمع والعقل، فأما السمع فلا مدخل له في هذه المسألة؛ لأنها ممالا يصح الاحتجاج فيها به عند البعض:

وأما العقل فقالوا: لو قدر أحدنا على الفعل لكان إما أن يقدر حال وجوده وهو محال، لاستحالة إيجاد الموجود، أو قبل وجوده وهو محال؛ لأن القدرة إن كان لها أثر لزم حصول المقدور حال حصول الأثر، وإن لم يكن لها أثر لزم أن لا يكون قُدرة.

والجواب: أن هذا معارض بقدرة الباري تعالى وجوابهم جوابنا، والتحقيق: أن القدرة ثابتة قبل الفعل، ولها به تعلق يثبت حال ثبوتها، وهو صحة إيجادها لها.

وأما التأثير: فمعناه أنه وجد بها، وذلك لا يحصل إلا حال وجود المقدور؛ لأنه هو وجود المقدور بها.

قالوا: قد كلف الله تعالى ما يعلم أنه لا يقع والقدرة على خلاف الفعل محال؛ لأن ذلك يؤدي إلى انقلاب علم الله جهلاً.

والجواب أن يقال: من سلم لكم استحالة القدرة على خلاف المعلوم، ولو ادعينا

الضرورة على القدرة على خلاف المعلوم لأمكن، فإن أحدنا يعلم من نفسه أنه قادر على إلقاء خاتمه في البحر، وعلى أن يسعى في السوق ويقتل نفسه فحينئذ لا حجة لهم، (فثبت بذلك) الذي قررنا (أن الله تعالى لا يكلف عباده ما لا يقدرُونَ عليه) وبطل ما قاله المخالف.

### (المسألة الخامسة عشرة: في معنى أن الله تعالى عدل حكيم)

واعلم: أن الحكمة هي: كل فعل حسن لفاعله فيه غرض صحيح هذا إذا رجع بهذا الوصف إلى الفعل وهو الغرض، فإن رجع به إلى الذات فالحكمة بمعنى العلم، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقد اتفق أهل الإسلام على أنه تعالى يوصف بأنه حكيم، ثم اختلفوا في المعنى فقال أهل العدل: لا يفعل الله تعالى الفعل إلا لغرض (فلا يثيب أحداً إلا بعمله ولا يعاقب أحداً إلا بذنبه)، وقالت المجرة: يجوز أن يفعل لا لغرض، بل يجوز أن يعذب الأنبياء ويثيب الأشقياء.

قال الإمام عز الدين: وهذا هو الظاهر من مذهبهم والذي تقضي به نصوصهم، وصرح به الرازي في نهايته، واحتج لصحته بأن الغرض في فعل الله تعالى إذا كان عائداً إلى غيره، فهل له في انتفاع ذلك الغير غرض يعود عليه فيلزم صحة الحاجة عليه، أو لا غرض فيه يعود عليه فيلزم كون وجود ذلك الفعل وعدمه بالنظر إليه على سواء، ومع ذلك فلا معنى لكونه غرضاً مرجحاً للإيجاد.

ويمكن الجواب: بأن حاصل دليلك هذا إنكار أن يكون النفع العائد إلى الغير غرضاً وهو نفس المتنازع فيه، فإننا نقول: أنه غرض صحيح، وأنه يعلم بالعقل حصول الغرض في إرشاد ضال عن الطريق، وإطعام جائع قد أشرف على التلف، وإن فرضنا عدم العلم بمحصل نفع في ذلك يعود إلى المرشد والمطعم بأن لا يخطر بباله ثناء ولا ثواب، أو

بأن يكون ممن ينكر ذلك أو يجهله (والدليل على ذلك) المذهب الصحيح، وهو مذهب العدالة (أن المجازاة) بالثواب والعقاب (لمن لا يستحقها قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح، أما الدليل على أنه لا يثيب أحداً إلا بعمله فهو أن الثواب يتضمن التعظيم).

قال الشارح المحقق: لا يخفى ما في هذه العبارة من الركة؛ لأن الاشتغال بإبانة أن الثواب لمن لا يستحقه قبيح، وفي تصدير الكلام في قوله: أما الدليل على أنه لا يثيب أحداً إلا بعمله رجوع إلى نفس المسألة لا إلى الاستدلال على أصلها المبنية عليه هي، وإنما قلنا: يتضمن التعظيم؛ لأن حقيقته المنافع المستحقة على جهة التعظيم، (و) معلوم قطعاً (أن تعظيم من لا يستحق التعظيم قبيح)، دليلاً ما نعلمه في الشاهد (ألا ترى أنه يقبح من الواحد منا تعظيم البهائم كتعظيم الأنبياء وتعظيم الأجانب كتعظيم الوالدين) وأن من أمان وليه وأعز عدوه فلا شك في سخافته، (وإنما قبح ذلك؛ لكونه تعظيم من لا يستحق التعظيم)، إذ لا نجد ما يتعلق بالحكم به أولى فثبت أنها هي العلة، وإذا ثبت ذلك لزم أن إثابة الباري من لا يستحق الثواب قبيحة وقد قدمنا أن الله لا يفعل القبيح كما بيناه.

(وأما الدليل على أنه لا يعاقب أحداً إلا بذنبه، فلأن عقاب من لا يستحق العقاب يكون ضرراً عارياً عن جلب نفع، أو دفع ضرر أو استحقاق، وهذه حقيقة الظلم) والعقاب هي المضار المستحقة على جهة الإهانة.

قال الدواري: الأجود في حقيقة الظلم أن يقال: هو الضرر العاري عن استحقاق، أو جلب منفعة أو دفع مضرة، أو الضرر الذي لا يعرى عنها أو عن أحدها، ولم يقض الشرع أو العقل بحسن ذلك الضرر، أو العاري عن ظن جلب النفع أو دفع الضرر، أو الذي لا يعرى عن ظن ذلك، ولم يكن فعله حسناً ولا يكون في الحكم كأنه من جهة غير فاعل الضرر.

وقال أيضاً: وأوجز من هذه الحقيقة ما ذكره المؤيد بالله والحاكم في حقيقة الظلم

فقالا: حقيقة الظلم: هو الضرر القبيح، والدليل على أن ذلك الضرر ظلم، أن من علم ضرراً هذا حاله علمه ظلماً، ومن لم يعلمه بهذه الصفة لم يعلمه ظلماً، (والظلم قبيح) بدليل أن القبح وعدمه يدور على العلم بكونه ظلماً وجسوراً وعدمه، (والله تعالى لا يفعل القبيح)، وقد جاء السمع بتصحيح ما ذكرنا (قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٨] ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [النكسوت: ٤٠] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عدله وحكمته، وبهذا يستدل على أن الله تعالى لا يعذب أطفال المشركين لفعل آبائهم القبائح.

(وأما أنه تعالى لا يفعل القبيح فقد تقدم بيانه)، وتقدم الدليل عليه (فثبت بذلك أن الله لا يثيب أحداً إلا بعمله، ولا يعاقبه إلا بذنبه).

## (المسألة السادسة عشرة)

### أن الله تعالى يريد الطاعات ولا يريد الظلم وسائر القبائح

واعلم: أن عادات المصنفين في علم الكلام تختلف في ذكر إرادة الله وكرهه وما يريد وما يكرهه، فمنهم من يذكر جميع ذلك في باب التوحيد؛ نظراً إلى أن كونه تعالى مريداً أو كارهاً من صفاته الثابتة وأحواله التي تستحقها ذاته، وذكر ما يريد وما يكرهه من فروع ذلك ولواحقه.

ومنهم من يذكر ذلك جميعه في باب العدل نظراً إلى أن مقتضى العدل والحكمة أن يريد الطاعات ويكره المعاصي، وأن خلاف ذلك ينافي الحكمة، وإذا عرفت ذلك فقد ذهب أهل العدل إلى أن الله تعالى يريد لجميع أفعاله ما خلى الإرادة والكره، وأنه تعالى يريد لجميع الطاعات من أفعالنا ما حدث منها وما لم يحدث، و (أنه لا يريد الظلم ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد).

وذهب سائر فرق المجبرة من الأشعرية والكلاية والنجارية إلى أن الله تعالى يريد لجميع ما حدث من الكائنات، طاعة كان أو معصية، وأنه لا كائن في عالمه إلا وهو متعلق بإرادته، وما لم يحدث منها فإنه لا يريد طاعة كان أو معصية، (والدليل على ذلك) الذي ذهب إليه أهل العدل (أن الرضى والمحبة يرجعان إلى الإرادة)، فإذا قد قام الدليل على عدم الرضى، وعدم المحبة للقبیح كان غير مريد لهما، وبيانه أن الرضى والمحبة من جنس الإرادة وإن كانا لنوعين مخصوصين منها فالرضى اسم للإرادة المتقدمة المتعلقة بفعل الغير بشرط وقوع ذلك الفعل، والمحبة اسم للإرادة التي تطابق الداعي وقد يخلق الله فينا إرادة بما لا داعي لنا إليه كدخول النار فإنه يسمى إرادة ولا يسمى محبة.

فقول الشارح المحقق بترادفهما فيه ما فيه، (والذي يدل على ذلك) الذي ذهبنا إليه من العقل (أن إرادة القبيح قبيحة، والله تعالى لا يفعل القبيح) والعلم بذلك

ضروري، (وهو مما لا خلاف فيه) في الشاهد عند زوال اللبس ووجوه الشبه، (ولهذا أن العقلاء يذمون من أراد القبيح كما يذمون من فعله، وتسقط منزلة المريد للقبيح كما تسقط منزلة من فعله)، وما ذاك إلا لكونه قبيحاً ولا وجه لقبحه إلا كونه إرادة للقبيح، لأننا عند العلم بذلك نعلم قبحه وإن جهلنا كل أمر، وعند الجهل بذلك لا نعلم قبحه.

ولنا على ذلك أيضاً أن الله تعالى لو كان مريداً للمعاصي لكان الفاعل لها مطيعاً؛ لأن من فعل ما أراده المطاع وصفه أهل اللغة بأنه مطيع، وقولهم بل المطيع من فعل ما أمر به المطاع غير مسلم؛ لأن العبد يوصف بأنه مطيع لسيده وإن لم يصدر منه أمر حيث فعل مراده، وإن سلمنا فلا ينحيم؛ لأن الأمر لا يكون أمراً إلا بالإرادة.

(و) أما الدليل على ذلك من السمع: فإنه (قد) جاء السمع بذلك حيث (قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١] ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] ونحو: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي ما يؤدي إلى اليسر من الطاعة، ولا يريد بكم العسر وهو ما يؤدي إلى العسر من المعصية، هكذا فسر بعضهم.

وقال رحمه الله فيما رواه مسلم: «إن الله يقول للعبد العاصي إذا جاء يوم القيامة أردت منك أيسر من ذلك» فصرح بأنه أراد منه الطاعات التي لم يفعلها، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهذه لام الغرض بلا شبهة، والغرض والإرادة واحدة في الأغلب بلا خلاف، وقوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى غير ذلك من الآيات.

وأما ما تعلق به المخالف فإنه تعلق بشبهتين من قبل العقل فقالوا: الإرادة مطابقة للعلم، فما لا يعلم الله وقوعه لا يصح أن يريده.

والجواب: أن هذه دعوى محض ومحل النزاع، وأيضاً فكيف يصح ذلك عندهم أن

كونه مريداً ككونه عالماً في أنها تستحق للذات أو المعنى قديم؟ فلم كانت إحداهما تطابق الأخرى أولى من العكس؟ وهلا طابقت القدرة كما هي مطابقة للعلم؟ أو هلا كانت القدرة والعلم مطابقين للإرادة؟ وما وجه هذه التحكمات من غير دليل؟

الشبهة الثانية: قالوا: لو وقع في ملك الله مالا يريد له دل على عجزه قياساً على الشاهد.

والجواب أولاً: بأنهم يمنعون قياس الغائب على الشاهد ويقولون لا يقاس بالناس فكيف قاسوا هنا؟

وثانياً: أنه معارض بالأمر، فلو وقع في ملك الله خلاف ما أمر به أو ما نهى عنه لدل على عجزه قياساً على الشاهد بل مخالفة أمر الملك في الشاهد أدل على عجزه من مخالفة إرادته.

وأما السمعيات فقد منعوا من الاستدلال بها؛ لتجويزهم القبيح على الله تعالى.

وأيضاً فما ذكروه من الأدلة محتمل يجب رده إلى المحكم، (فثبت بذلك أن الله تعالى لا يريد الظلم ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد) فبطل ما قاله المخالف.

## (المسألة السابعة عشرة في الآلام)

واعلم: أن الألم جنس من الأعراض متميز عن غيره راجع إلى النفي<sup>(١)</sup>، واللذة من جنسه ولا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بمقارنة الشهوة أو النفرة، فما قارنته الشهوة فلذة، وما قارنته النفرة فألم، ودليل كونهما جنساً واحداً أن الواحد منا قد يتألم بما يلتذ به ويلتذ بما يتألم به كالحك وغيره.

وحقيقة الألم: المعنى المدرك بمحل الحياة فيه مع النفرة، فقولنا: بمحل الحياة فيه قيدٌ يمتاز به عن سائر المدركات؛ لأن سائرها يدرك بمحل الحياة في غيره، فلهذا كان فصلاً. وأما الغم: فإنه اعتقاد الحى أو ظنه بأن عليه أو على من يحب في فعل الغير قوت نفع أو جلب ضرر في الحال أو في المستقبل.

واعلم: أن الآلام مضرة عاجلة ووجوه حسننها خفية غير ظاهرة، فلذلك ضل كثير من الناس حتى كان ذلك شبهة في إثبات ثبوت الله تعالى وفي جواز كل قبيح على الله تعالى.

وفي التعطيل عند ابن الراوندي<sup>(٢)</sup> حيث رأى أهل الفضل والعلم مبتلين بمقاسمات

---

(١) إشارة إلى مذهب أبي إسحاق بن عياش أن مرجع الألم إلى النفي، وهو خروج الجسم عن حد الاعتدال، تمت.

(٢) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي من أهل الطبقة الثامنة من المعتزلة، أخذ في الدين وترندق، وصنف كتاباً في الإلحاد، وصف لليهود والصاري والثرية وأهل التعطيل، وصنف فضائح المعتزلة، ورد عليه أبو الحسين الحياط بكتاب الانتصار، والبيهقي أكبر دليل على صحافته، ويستشهد بها الياقوت في باب المسد إليه أن يكون باسم الإشارة، لكنمال العناية بتسميته أكمل تمبير بحكم بديع فقوله: (هذا الذي) كان القيلس فيه الإضمار بأن يقال: هو فعديل إلى اسم الإشارة لكنمال العناية بتسميته بأن هذا الشيء المتميز المتعين هو الذي له الحكم العجيب، وهو جعل الأوهام حائرة والعالم التحرير زنديقاً، فالحكم البديع هو الذي أسد للمسد إليه المعبر عنه باسم الإشارة، اهـ.



الفقر والأمراض والمصائب، وأهل الجهالة والوضاعة بالعكس حتى أنشد البيهقي المعروفين:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه      وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً  
هذا الذي ترك الأوهام حائرة      وصير العالم التحرير زنديقاً

وكذلك أبو عيسى الوراق<sup>(١)</sup> فإن ذبح البهائم صار له شبهة حتى صنف كتاباً سماه النوح على البهائم، وكان السبب في ذلك نفار الطبع عن هذه الآلام وميله إلى اللذة.

(واعلم أن جميع الآلام والنقائص) إذا كانت من أفعالنا، فإنها تحسن إذا كانت لجلب نفع أو دفع ضرر أعظم، أو استحقاق، أو لظن أحد الوجهين المتقدمين، وهذا لا شبهة فيه، فإن كل عاقل يعلم حسن تحمل المشاق في الأسفار ومعالي الأمور ومشاسق التعليم طلباً للمنافع سواء كانت معلومة أو مظنونة، وكذلك يستحسنون الفصد والحمامة وشرب الأدوية الكريهة ونحو ذلك طلباً لدفع مضار هي أعظم منها سواء كان اندفاعها معلوماً أو مظنوناً.

وأما الظن لاستحقاق الألم فقليل لا يحسن إنزاله بالظن؛ لأن المنزل له يكون مقدماً على مالا يأمن من كونه ظلماً، وقال أبو هاشم: يحسن واحتج بإنزال الحدود عند الشهادة التي لا تفيد إلا الظن، وأجيب بأن ذلك ورد به الشرع لمصلحة شرعية حتى لو تركنا والعقل لما استحسنه.

وأما الآلام والنقائص (النازلة بالأطفال والمجانين، وسائر الممتحنين اللاتي من الله تعالى)، وكذلك المضار اللاتي لا تتوقف على اختيارنا كفساد الثمار واحتياحها بالبرد والبرد، فالذي عليه أهل الإسلام وكثير من الخارجين عنه أن ذلك فعل الله تعالى

---

(١) أبو عيسى الوراق: هو محمد بن هارون، ذكر المسعودي في المروج: أن له كتاباً اسمه «المجالس»، ونقل سعة موته وهي ٢٤٧ هـ ونقلوا عن أبي علي الجبائي أن السلطان طلب ابن الراوندي وأبا عيسى الوراق، فأما أبو عيسى فحس حتى مات، وأما ابن الراوندي فهرب إلى ابن لاوي اليهودي أ.هـ.

(ولا بُدَّ فيها) من أحد وجهين: إما الاستحقاق، ولا شبهة في ذلك كعقاب أهل النار ونحوه، وإما لمجموع (العوض) للمؤلم (والاعتبار)، ولا يكفي في حسن الألم أحد الأمرين: إما العوض، أو الاعتبار.

وقد ذهب عبّاد<sup>(١)</sup> إلى أن الاعتبار كاف في حسن الألم، فإن كان كلامه على عمومته بحيث أنه يقول: يحسن منه تعالى إيلاام الأطفال ونحوهم؛ لمجرد أن يحصل بذلك اعتبار للمكلفين، أو بعضهم، أو إيلاام مكلف لمجرد إعتبار يحصل لغيره فقد أبعد في مقالته (والدليل على) بطلان (ذلك) أنها (لو خلت عن العوض) وكانت كما قال (لكانت ظلماً؛ لأنه يكون ضرراً عارياً عن جلب نفع للمؤلم، أو دفع ضرر عنه أو استحقاق، وهذه هي صفة الظلم، والظلم قبيح والله تعالى لا يفعل القبيح).

وأيضاً فلو أجزنا ذلك لأجزنا جميع أنواع الظلم، فإنه لا يكاد يخلو شيء منها عن نفع لغير المظلوم، وإن أراد أن الألم يحسن لمجرد اعتبار يحصل للمؤلم.

قال الإمام عز الدين بن الحسن -عادات بر كاته-: وهو اللائق بعلمه وفهمه، فمنهجه في غاية القوة، وأي نفع للمكلف أعظم من تأدية الألم هذا إلى كونه من أهل الجنة والسعادة الأبدية، انتهى.

(و) قال أبو علي<sup>(٢)</sup> في القديم: إن العوض كاف في حسن الآلام، قلنا له: (لو خلت الآلام من الاعتبار لكانت عبثاً؛ لأن العبث هو الفعل الواقع من العالم به

(١) عبّاد بن سليمان: هو الصمري.

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المتكلم، أخذ العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام الصمري، وله مقالات مشهورة في الأولين، قال الحاكم النجاشي: هو الذي سهل علم الكلام وذلّله، وله شرح على مسند ابن أبي شيبة وتفسير القرآن مائة جزء (مفقود) قيل: جملة مصنفاته مائة ألف ورقة وخمسين ألف ورقة، الورقة نصف كرمس، وقرأ عليه أبو الحسن الأشعري ومخالفة، وحجرت بينهما مناظرات طويلة، ولأبي علي غاية في الرد على الفلاسفة والملحدة وتقرير العدل والتمجيد، ولد سنة ٢٣٥هـ وتوفي في شعبان سنة ٣٠٢هـ وذكر محقق الأساس أنه توفي سنة ٣٠٣هـ.

عارياً عن عوض مثله)، وهذا المعنى حاصل في الألم لو خلى من الاعتبار؛ لأنه كان يمكن ويحسن إيصال نفع العوض إلى المؤلم من دون الألم، وله أن يجيب بأن فائدته أن يصير العوض مستحقاً وليس المستحق كالمفضل به، (و) إذا كان عبثاً فلا شك أن (العبث قبيح والله تعالى عن فعل القبيح).

والذي يدل من السمع أنه لا بد في الآلام من العوض قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] ولا وجه لحشرها إلا للعوض، والذي يدل على أنه لا بد من الاعتبار قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ فهو لم يكن مراداً لله تعالى لما أمر به، والله أعلم.

(فثبت بهذه الجملة أن جميع الآلام والنقائص لا بد فيها من العوض والاعتبار).

## (المسألة الثامنة مشرة: في القرآن الكريم)

قال الإمام عز الدين بن الحسن -عادات بركاته-: وجه الصحة في ذكر الكلام في القرآن في باب العدل، أن العدل لما كان كلاماً في أن الله لا يفعل القبيح ولا يخل بالواجب، والقرآن لطف لنا وبيان لما كلفناه، واللفظ والبيان واجبان على الله تعالى ذكر في باب العدل؛ لأنه من قبيل الواجب على الله تعالى.

قال الإمام يحيى -عليه السلام- في حد القرآن الكريم: هو الكلام الذي نزل به جبريل على النبي ﷺ تعبدنا بتلاوته المنقول نقلاً متواتراً.

إذا عرفت ذلك، وأن القرآن جنس من الكلام، فلتكلم على ذكر حقيقة الكلام وفاعله وهو المتكلم.

أما الكلام: فهو ما انتظم من الحروف المسموعة المتميزة، قلنا: ما انتظم تشبيهاً بالنظام الحقيقي لتواليه عني السمع، وقلنا: من الحروف؛ لأن الحرف الواحد لا يكون كلاماً، وقلنا: المتميزة احترازاً من صرير الباب وأصوات البهائم، وقلنا: المسموعة احترازاً من الكتابة، ولا يعتبر فيه الإفادة؛ لأنها إنما تعتبر في الكلام الاصطلاحي لا اللغوي، وذلك متفق عليه.

وأما المتكلم: فهو عندنا فاعل الكلام بدليل أن من علمه فاعلاً للكلام علمه متكلاً ومن لم يعلمه فاعلاً له لم يعلمه متكلاً.

والخلاف في ذلك مع أبي الحسين وابن الملاحي فقالا: المرجع بالكلام إلى صفة للجسم، وقال أبو علي: الكلام معنى زائد على الحروف والأصوات يسمع معها تقارن الملفوظ والمكتوب والمحفوظ، وقال بعض الأشعرية: بل الكلام معنى في نفس المتكلم، وتسمية هذا المسموع كلاماً مجاز وهذه مباحة.

وقال بعضهم: بأن هذا المسموع كلام، ويدعون إثبات كلام آخر قائم بالنفس

ويجعلون هذا الاسم مشتركاً بينهما، قال القرشي: وهذا بعيد عن التحصيل؛ لأن من ينفي الكلام النفسي كيف يسلم أن الاسم موضوع عليه بالاشتراك، وأيضاً فالعرب لا يعقلون الكلام النفسي فضلاً عن أن يضعوا له عبارة أو يشركوا بينه وبين غيره فيها، يوضحه أنه إذا أطلق لفظ الكلام فلأنما يسبق أفهامهم إلى هذا المسموع.

واعلم: أنه لا خلاف في (أن هذا القرآن المتلو في المحاريب، الموجود بين المسلمين) هو القرآن، ومحل الخلاف هل هو (كلام الله تعالى دون أن يكون كلاماً لغيره) أولاً؟

فالذي عليه أهل العدل بل جميع الفرق المقررة بنبوته محمد ﷺ: أنه كلام الله ووحيه، وتنزيله، أي: كلامه عرفاً لا لغة؛ لأن المتكلم لغة: المحدث للكلام والمتفوه، به ومُخرجه من العدم إلى الوجود، والمتلو ليس كذلك بل المحدث له والمتكلم هو المتفوه به، وهو الذي يمدح على قراءته ويذم ويثاب ويعاقب بحسب اختلاف الأحوال.

والمتكلم في العرف: من كان أنشأ ذلك الكلام ونظم ألفاظه، وإن احتذى غيره على ذلك ونطق به كما نطق به المبتدئ وذلك ظاهر، ويخالف في ذلك الأشعرية والكلاية والمطرفية<sup>(١)</sup> والباطنية<sup>(٢)</sup>، فهؤلاء جميعاً قالوا: إن هذا القرآن ليس بكلام الله لا لغة ولا عرفاً، ثم افترقوا فقالت الأشعرية: كلام الله معنى قديم قائم بذاته والمتلو عبارة عنه، ومثله قالت الكلاية إلا أنهم بدلوا لفظة قديم بأزلي، ولفظ العبارة

---

(١) المطرفية: يعنون من فرق الريدية المنفصلة عنها، وهم أصحاب مطرف بن شهاب، وقد انقضت هذه الفرقة وكانت تنحرف في كثير من آرائها منحى الباطنية، وقد ورد التعريف بهم وذكر بعض أقوالهم وتفنيدها في شرح الأساس الكبير.

(٢) الباطنية: قال الإمام المهدي -عليه السلام-: والباطنية في الحقيقة خارجون عن الإسلام لما صيأتي من تحقيق مذهبهم في الصانع وإنكارهم المعاد الجسماني، وقد علم من دين النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) ضرورة، لكن انحلوه ظاهراً فعدوا من فرقهم، وأصول مذهبهم تعود إلى مذاهب الفلاسفة أو المجوس؛ لأن نشوء مذهبهم يشهد لذلك كما سحقتهم، ولا فرقة من فرق الملحدة أعظم صرراً منهم ولا أقل تحصيلاً، ولا يكاد يعرف مذهبهم لتسرهم وإحداثهم كل وقت ملهناً حكى ذلك الحاكم هـ.

بالحكاية، وقالت المطرفية: بل كلام الله صفة قائمة بقلب ملك يقال له: ميخائيل، وبعضهم قال: إن الله أجبر الملك عليه، وبعضهم قال: إن الملك صفت طبيعته وحلصت جوهريته، فاستنبط القرآن، والذي بيننا حكاية ذلك، وقالت الباطنية: هو كلام الرسول حصلت معانيه بالفيض في النفس الكلية إلى نفسه الجزئية فصاغ هذا القرآن وهو لفظه، (والدليل على ذلك) الذي ذهب إليه أهل العدل: أن المعقول هو هذه الحروف والأصوات، بدليل أن من علمها وصفها بأنها كلام وإن جهل المعنى النفسي، ومن جهلها لم يصفها بأنها كلام، وإن علم المعنى النفسي.

وأيضاً فإن كلامه تعالى لا يخلو إما أن يكون من جنس الكلام المعقول فيما بيننا وهو أن يتركب من جنس الأصوات والحروف أو مخالفاً لذلك.

فإن كان من جنس الأصوات والحروف فلا شبهة في حدوثه، وإن كان مخالفاً لذلك لم يصح أن يكون كلاماً وأن يفهم منه شيء، فالمثبت لكلام مخالف للكلام المعقول فيما بيننا، فإنه في حكم من ثبت جسماً مخالفاً للأجسام المخالفة للمعقول فيما بيننا، وثبت مع الله تعالى جسماً قديماً مخالفاً لساائر الأجسام.

وأيضاً (فإن النبي ﷺ كان يدين بذلك ويخبر به، وهو ﷺ لا يدين إلا بالحق، ولا يخبر إلا بالصدق، وذلك معلوم ضرورة عند كل من عرف النبي ﷺ وآثاره وروى أخباره)، فإنه كان يعتقد ويرى أن القرآن الذي أتى به هو كلام الله تعالى دون أن يكون كلاماً له ﷺ أو لغيره من المتكلمين، ويخبر الناس بذلك، واستمر على هذا إجماع المسلمين بعده ﷺ إلى أن حدث مذهب هذه الطوائف.

(و) أيضاً فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦] ولا شك أن الكلام المسموع هو القرآن، قالوا: ذلك مجاز، قلنا: هلّم الدليل، فالأصل في الإطلاق الحقيقة، ولو سلم جعل

للتفسير ما له من الأحكام؛ إذ هي عبارة عنه ولا قائل به.

قالوا: لو لم يكن متكلماً فيما لم يزل بكلام قديم أو لذاته، لكان أحرساً أو ساكناً كالشاهد.

والجواب: أن المرجع بالخرس إلى فساد آلة الكلام وبالسكوت إلى تسكينها عنه.

وأيضاً فإذا اعتمد على الشاهد في ذلك فمعلوم أن الشاهد إذا لم يكن متكلماً بهذه الحروف والأصوات كان أحرساً أو ساكناً، فيلزم إذا لم يكن الباري متكلماً فيمسا لم يزل أن يكون أحرساً<sup>(١)</sup> أو ساكناً.

وأما قول غير الأشعرية فهو أجدر بالضعف من مقالتهم ولا نحتاج في رده إلى تكلف؛ إذ هو من التمحلات التي لا دليل عليها، والله أعلم.

---

(١) في الأصل: أحرس، والصواب: أحرساً.

## (المسألة التاسعة عشرة: في أن هذا القرآن الذي هو كلام الله تعالى محدث).

ولا شك أنا إذا قلنا: القرآن محدث، فإنما نريد به هذه الأصوات والحروف المتلوة في السنة الناس.

فأما الكلام النفسي فلسنا نشبهه، فضلاً عن أن نقول فيه بقدم أو حدوث، وأهل التمييز من المحبرة لا يكلمونا في ذلك، لأنهم يعرفون بحدوث هذا الذي نتلوه، ولكنهم يدعون أن القرآن معنى قائم بالنفس غير هذا الذي نسمعه، فموضع مكالمتهم نفي هذا المعنى النفسي وقد تقدم.

وأما غير المميزين كالكرامية والحنابلة وبعض أهل الحديث، فيعترفون بأن القرآن هو هذه الحروف والأصوات المسموعة، ويدعون أنه قديم، (والذي يدل على) بطلان قولهم في (ذلك) من جهة العقل: (أنه مرتب منظوم في الوجود يوجد بعضه في أثر بعض)، فوجب القطع بأنه محدث، (و) ذلك لأن (المرتب على هذا الوجه يجب أن يكون محدثاً وذلك ظاهر)، فإن الألف من الحمد متقدم على اللام، واللام على الحاء وكذلك سائرهما، وكل ما تقدمه غيره فهو محدث، وكذلك ما يتقدم على المحدث بأوقات محصورة فهو محدث، (وقد) جاء بتأييد ذلك الكتاب، فـ (قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾) [الأنبياء: ٢٠] (و) مثله ما (قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ﴾) [الشعراء: ٢٦] ولا شك أن المراد بالذكر القرآن بدليل: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٢١]، وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٩]، ومثل: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزمر: ١٤] وغير ذلك، والسبب في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ الآية، يشهد بذلك؛ لأنهم كانوا يلعبون ويلغون عند نزول القرآن وتلاوته، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا



مُتَشَابِهًا ﴿[الرسم: ٢٣] فوصفه بأنه منزل، والقديم لا يصح عليه النزول، ووصفه بالحسن والحسن من صفات الأفعال، ووصفه بالحديث، والحديث نقيض القديم باعتبار أصل وضعه، وإن كان المراد به في الآية الكلام، لكنه لم يسم حديثاً إلا لكونه محدثاً فيسدل على حدوثه، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٢] رداً على الذين قالوا: هذا إلفك قديم. وما كان قبله غيره فهو محدث.

قالوا: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الرسم: ٨٢] قالوا: فإن كان قوله: كن قديماً فهو المطلوب، وإن كان محدثاً احتاج إلى كُنْ آخر فيتسلسل.

والجواب: لاشك أن لفظ (كن) حرفان يتقدم بعضهما على بعض ويعدم ثاني وجودها وذلك لا يتأتى في القديم.

وأيضاً فالآية على مذهبنا أدل؛ لأنه تعالى أخبر بأنه إذا أراد شيئاً قال له كن، وإذا للشرط والشرط إنما يدخل في المستقبل، فيجب أن تكون الإرادة حادثة وأن يكون لفظ (كن) مقارناً لها.

قالوا: القرآن يشتمل على أسماء الله تعالى، والاسم هو المسمى، فيجب أن يكون القرآن قديماً، واستدلوا على أن الاسم هو المسمى بقوله تعالى: ﴿سُبْحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] وكذلك فأحدنا يقول: طلق زينب وأعتقت سعداً، والطلاق إنما يقع على الشخص المسمى، وكذلك إذا حلف أحدنا فقال: والله وبالله، ويقول باسم الله، قال الشاعر:

إلى الحول ثم السلام عليكما      ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

والجواب: لو كان الاسم هو المسمى لكان إذا ذكر أحدنا النار احترق فمه، قال:

لو أن من قال ناراً أحرقت فمه      لما تقوه باسم النار مخلوق

بل الاسم عبارة عن اللفظ الموضوع للمسمى، فهو غير المسمى، مثاله: رجل، فالاسم عبارة عن هذا اللفظ، وهذا اللفظ هو عبارة عن مسماه المعروف.

وأيضاً فلو كان الاسم هو المسمى، فمعلوم أن لله أسماء كثيرة مختلفة وكان يجب أن يتعدد بتعدد أسمائه لاختلافها.

وأيضاً فالقرآن عندهم قائم بذات الله تعالى، وأسماء الله من جملة القرآن فيجب أن يكون الله من جملة القرآن حتى يكون أمراً ونهياً، وهذا واضح السقوط.

## (المسألة العشرون: في النبوة)

والنبوة: فعולה فحروفها أصول إلا الواو الأولى، والنبوة مصدر، فإن هُمَزَتْ فهي بمعنى الإنبياء؛ لأن النبي مخبر عن الله، وإن لم تهمز فهي من النبوة نبا المكان ينبو إذا ارتفع.

وحقيقة النبوة: تحمل إنسان لما يتحملة عن الله إلى الخلق من غير واسطة بشر.

قلنا: تحمل الإنسان، احترازاً من تحمل الملائكة إلى الأنبياء فلا تسمى نبوة، وقلنا: من غير واسطة احترازاً من العلماء، فإنهم وإن تحملوا عن الله تعالى إلى الخلق ولكن بواسطة بشر، هم الأنبياء.

ولا فرق عند أصحابنا بين الرسول والنبي، والخلاف في ذلك معزوف إلى الحشوية وإلى الإمامية<sup>(١)</sup> والزمخشري<sup>(٢)</sup> وقاضي القضاة قالوا: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] والعطف يقتضي المغايرة.

قلنا: لا يدل على المغايرة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [البقرة: ١٢٨] لأن اللفظين إذا اختلفت فائدتهما من وجه صح عطف أحدهما على الآخر للتأكيد، وإن كان معناه واحد في الحقيقة، ولفظ النبي يفيد الرفع بنفسه، ولفظ الرسول يفيد بواسطة لحمله الرسالة وصبره على المشاق فيها.

واحتجوا أيضاً لما<sup>(٣)</sup> روي عنه عليه السلام أنه سئل عن الأنبياء؟ فقال: «مائة ألف وأربعة

(١) الإمامية: أحد فرق الشيعة، وهم من يقول: بإمامة الأئمة الاثني عشر.

(٢) هو حار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي أبو القاسم المعتزلي، إمام التفسير والمعاني والبيان والنحو واللغة، له المصنفات العديدة في كل فن، وكثير منها مطبوع، ولد في ٢٧ رجب ٤٦٧ هـ بزمخشري وحاوّر ممكة وصاحب علي بن موسى بن وهاس ممكة، ودخل بغداد واتفق بالإمام أبي العادات الحسيني، توفي بمرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ.

(٣) هكذا في الأصل، والصواب: بما روي، تمت.

وعشرون ألفاً، قيل: فكم الرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشرة» وفي رواية: «ثلاثمائة وثلاثة وستون»، فإن الخبر آحادي، والمسألة قطعية.

**فإن قيل:** ما الدليل على صرف العطف عن ظاهره، فإن ظاهر العطف هو تغاير الدوات فقد عدلت عن الظاهر فهُلِّم الدليل.

قلنا: لا نسلم أن العطف ظاهر في ذلك، بل وفي التغاير في الصفات سلّمنا، فالذي صرف عن الظاهر هو الدليل العقلي، وهو أنه إذا نبأ الله نبياً لا يمكن أن يدل على نبوته إلا بالمعجزة إذ لا طريق إليه غيرها، ولا بد إليها من طريق وإلا كانت النبوة عبثاً، والنبي لا بد فيه من معنى الإرسال ولا يصح أن يكون رسولاً إلى نفسه، ولا يتصور فرق بينه وبين الأفاضل من أمته أهل وقته إلا بكونه يُوحى إليه ويظهر المعجز على يديه ويهتدي إلى مالا يهتدي إليه غيره ويهدي إليه.

فقول الحشوية إنه يسمى بعض الأشخاص نبياً من غير وحي ولا معجزة ولا شريعة متحددة ولا إحياء مندرسة بل يفارق سائر البشر بالتثويرات والإلهامات، باطل لما ذكرنا، وكذلك ما قاله الزمخشري وقاضي القضاة: إن النبي من بعث لتقرير شريعة جاء به<sup>(١)</sup> غيره وإحياء ما اندرس منها كيوشع وأكثر أنبياء بني إسرائيل المقررون لشريعة موسى المحددون لمندرسها.

**فإننا نقول:** إن أُوحي إليهم بها من غير واسطة بشر كما أُوحي إلى موسى فلا فرق بينهم وبين موسى، وإلا كانوا كغيرهم، والله أعلم.

واعلم: أن المهم المقصود من هذا الباب، والقطب الذي يدور عليه رحي الكلام في النبوات: هو (أن محمداً ﷺ نبي صادق)، فإن هذه المسألة أصل للقواعد الشرعية، وعمدة مسائل الدين بعد معرفة توحيد الله وعدله، وعليها مدار العلم بجميع

(١) هكذا في الأصل، والأول: جاء بها، تمت.

أنبياء الله وملائكته وأحوال الآخرة وجميع التكاليف العلمية إلا ما قضى به العقل منها قضية مطلقة، ولهذا ينبغي أن ترمى إليه عيون الجسد، وسنفرغ في الاطلاع على حقائقه بقدر المختصر فنقول:

واعلم: أن جميع من ثبت الصانع يقول بنبوة نبينا ﷺ إلا اليهود والنصارى، والمجوس والبراهمة، وعباد الأوثان والنجوم، فإنهم أنكروا نبوته ﷺ إلا فرقة من اليهود نسبوا إلى البله فإنهم يقولون: هو رسول إلى العرب فقط، وإنما نسب هؤلاء إلى البله لكونهم اعترفوا بأنه رسول، والرسول صادق في الذي جاء به، وقد جاء بأنه رسول إلى الناس كافة فلا بد من تصديقه، ووجه كونه ليس بنبي عند اليهود قيل: لأنه جاء بنسخ الشرائع، وقال بعضهم: لأنه ليس له معجز، (والدليل على ذلك) المذهب الصحيح: (أن المعجز ظهر على يديه عقيب دعوى النبوة)، قيل: والمعجز هو ما لا يطيقه بشر ولا يمكن التعلم لاحضار مثله ابتداء، سواء دخل جنسه في مقدورنا كالكلام، أم لا، كخنين الجذع، وقيل: هو الفعل الناقض لعادة المتعلق بدعوى المدعى للنبوة، وهذا الحد أول لدخول الكرامات في الحد الأول كنزول المطر عند دعوة الأولياء ومحو ذلك، (وكل من ظهر المعجز على يديه عقيب دعوى النبوة فهو نبي صادق)، فهذان أصلان، (والذي يدل على) الأصل الأول وهو: (أن المعجز ظهر على يديه عقيب دعوى النبوة أنه)، جاء بمعجزات كثيرة قد دونت فيها أسفار عديدة و(جاء) من جملة ذلك (بالقرآن) وهو المعجز العظيم ولذلك فالمؤلفين<sup>(١)</sup> يقدمونه على سائر المعجزات؛ لأنه أوقع في النفوس، وأوضح في الدلالة لوجوه لا يعقلها إلا العالمون، (و) لما جاء بالقرآن (جعله معجزاً له، ولم يسمع من غيره) قبله (وتحدي به فصحاء العرب) وقرعهم بالعجز عن ذلك (ولم يأتوا بشيء من ذلك) الذي تحداهم به، (وإنما لم يأتوا به لعجزهم عنه، فوجب أن يكون القرآن معجزة

(١) كذا في الأصل، والصواب: فالمؤلفون.

ظاهرة على يديه عقيب دعوى النبوة)، فهذه ثمانية أصول.

أما كونه -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إدعى النبوة فلا شك أنه معلوم ضرورة لجميع المكلفين.  
وأما أنه أتى بالقرآن ولم يسمع من غيره، وجعله معجزة له، فإنه يعلمه كل مكلف مع البحث والمخالطة لأهل العلم أو من يتصل بهم، أو الإقامة في أمصار المسلمين وهجرهم، وليس كالأول إذ من المعلوم جهل كثير من المسلمين بذلك.  
فإن قيل: ما أنكرتم أن الله بعث نبياً وأظهر القرآن فقتله محمد ﷺ وادعى النبوة لنفسه؟

قلنا: لو أجزنا ذلك لما وثقنا بنسبة شعر الشعراء وحطب الخطباء، ولا وثقنا بنبوة نبي قط ولا شيء من الكتب السالفة كالطوراة والإنجيل، ثم كيف يبعث الله نبياً ثم يمكن غيره منه قبل التبليغ.

وأيضاً فقد ظهر عليه -عليه الصلاة والسلام وعى آله- غير القرآن من المعجزات مما يدل على أن القرآن معجز له.

وأما الأصل الخامس: وهو أنه تحدى العرب بالإتيان بمثله وقرعهم بالعجز عن ذلك، (فإنه معلوم ضرورة).

أيضاً لكن (لمن كان له أدنى فحص وتفتيش من عرف أحواله -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وسيره وسمع أخباره علم بالتواتر أنه كان يغشى مجامع العرب ومشاهدهم ويتلوه عليهم ويحدثهم به) ويلتمس منهم المعارضة، (والأمر في ذلك ظاهر)

(والقرآن) أيضاً (مشحون بآيات التحدي) قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٢٤] ثم أنزلهم مرتبة ثانية فقال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِسَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [مرد: ١٣] ثم أنزلهم مرتبة ثالثة فقال:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] ثم أخبر أنهم لا يأتون بشيء مما تحداهم به حتى (قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾) [الإسراء: ٨٨].

فإن قيل: ما أنكرتم أنه إنما كان التحدي عن المشركين لئلا يعارضوه؟

قلنا: نحن نعلم أنها نقلت على حد نقل القرآن، فلو جوزنا في بعض الآيات أنها كتبت لجوزنا في سائرها، وأيضاً فالتحدي شامل للمشركين والمؤمنين، فلو علم المؤمنون شيئاً لتفروا عنه.

وأما الأصل السادس: وهو أنهم لم يأتوا بشيء مما تحداهم به فذلك ظاهر أيضاً، فإنه لو عورض لوجب أن يكون اشتهاار المعارضة أولى من اشتهاار القرآن؛ لأن القرآن يصير كالشبهة وتلك المعارضة كالحجة، ومتى كان الأمر كذلك كانت الدواعي متوفرة إلى إسقاط أبهة المدعي وإبطال رونقه وكان اشتهاار المعارضة أولى من اشتهاار الأصل.

وأما الأصل السابع: وهو أنهم إنما لم يعارضوه (فلم يأتوا بمثله لعجزهم عنه؛ لأن دواعيهم كانت متوفرة إلى معارضته ليبتلوا به نبوته) ولا صارف لهم عن ذلك وكانوا يعلمون أن أمره يبطل بالمعارضة فلو قدروا عليها لفعلوها.

أما أن دواعيهم كانت متوفرة إلى إبطال أمره عليهم فذلك لا يشتبه على عاقل، فإنه -عليه السلام- ادعى الرئاسة عليهم في الدنيا والآخرة فيما يتصل بالنفس، كإقامة الحدود من قتل وغيره وإتباعها في طاعته والجهاد معه ونحو ذلك، وفي المسال كإخذ الحقوق والاستعانة ونحو ذلك، وادعى أنه على الحق وهم على الباطل، وسفه أحلامهم وسب آلهتهم، ووعدهم وأوعدهم، ولا شيء أعظم من هذه الأشياء في تحريك طباع البشر.

ودعائهم إلى إبطال أمره لا سيما العرب، فإن لهم من الحمية والأنفة ما ليس لغيرهم من الأمم.

وأما أنه لا صارف لهم عن ذلك، فلأنه إن كان صارف دين، فليس من الدين ترك المعارضة؛ لأنها تميز الحق لهم من الباطل لا سيما وعندهم أنهم كانوا على الحق، وإن كان صارف دنيا من رغبة أو رهبة فذلك باطل؛ لأنه كان -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فقيراً مضطهداً.

وأما أنهم كانوا يعلمون أن أمره -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يبطل بالمعارضة؛ فلأنه -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قد كان يصرح بذلك، ولأن كل عاقل يعلم أن كل من ادعى التمييز على غيره لمكان أمر يأتي به فإن دعواه تبطل عند الإتيان بمثل ما أتى به.

وأما أنهم لو قدروا على المعارضة لفعلوها؛ فلأننا نعلم بالضرورة أن من توفرت دواعيه إلى الشيء، ولا صارف له عنه، وغير ممنوع منه، وهو قادر عليه فإنه بمنعسه لا محالة حتى إن لم يفعله، فإنه غير قادر عليه.

فإن قيل: إنهم اشتغلوا عن المعارضة بالقتال؟

قلنا: ليس أحد من العقلاء يؤثر الأمر الصعب على الأمر السهل، (فلما عدلوا إلى المحاربة الشاقة الصعبة التي لا تدل على صحة صحيح ولا بطلان باطل، دل ذلك على عجزهم عن معارضة القرآن فثبت) بتقرير هذه الأصول (أنه معجز دال على نبوة النبي ﷺ)، وهذا هو الأصل الثامن، وذلك لحصول حقيقة المعجز فيه، وهو كونه ناقضاً لعادتهم في الفصاحة ومتعلقاً بدعوى النبوة، وبهذا التقرير تم الأصل الأول.

وأما الأصل الثاني: وهو أن كل من ظهر المعجز على يديه عقيب دعوى النبوة فهو نبي صادق، وذلك لأن المعجز يجري مجرى التصديق بالقول لمن ظهر على يديه،



وتصديق الكاذب كذب، والكذب قبيح، والله لا يفعل القبيح، فإذا بطل أن يكون من  
ظهر المعجز على يديه كاذباً ثبت أنه صادق إذا لا واسطة بينهما.

وأما احتجاج اليهود بقول موسى: (شريعتي لا تنسخ أبداً وتمسكوا بالسبب أبداً)،  
فإنها رواية مغمورة آحادية لا ينبغي التعويل عليها فلا تقاوم الأدلة القطعية، وإن سلمنا  
أنها صحيحة قطعية، فإنه يصح نسخ ما قيد بالتأييد وقد نسخها ﷺ بقول الله  
تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغير ذلك من  
الآيات الظاهرة، وإذا تظاهرت الأدلة على نبوته ﷺ (ثبت بهذه الجملة أن محمداً  
نبي صادق).

## (باب الوعد والوعيد)

حقيقة الوعد: الخير عن إيصال نفع أو دفع ضرر إلى الغير في مستقبل الزمان من المخير إلى المخير.

فقولنا: الخير جنس الحد القريب، وقولنا: عن إيصال نفع، أو دفع ضرر فصل له عن عكس ذلك، فإنه وعيد وعما ليس كذلك من الأخبار، وقولنا: في المستقبل يفصله عن الأخبار في إيصال نفع أو دفع ضرر في الماضي فليس بوعد، وقولنا: من المخير إلى المخير يفصله عن البشارة وهي الإخبار بإيصال ذلك من غير المخير.

والوعيد: هو الخير عن إيصال ضرر أو تفويت نفع... إلخ الحد المتقدم، والاحترازا فيه تُعرف مما ذكر آنفاً.

ثم اعلم: أنه لا يجوز خلف الوعد على الله تعالى للمثابين؛ لأن ذلك أخو الكذب، وهو يتعالى عنه؛ لأنه لا يفعل القبيح، خلافاً للمجبرة، ويحسن منه العفو عن التائب لارتداعه اتفاقاً ولا يحسن العفو عن العاصي غير التائب وفاقاً للبلخي<sup>(١)</sup> وابن المعتز<sup>(٢)</sup> وخلافاً للبصرية. قلنا: يصير كالإغراء وهو قبيح عقلاً.

(١) هو عبدالله بن أحمد بن محمود المكي أبو القاسم الطحاوي المعتزلي، إمام معتزلة بغداد، أخذ الكلام عن أبي الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط، روى الحديث قليلاً وليس بذاك فيه، له كتاب السند وله كتاب الطبقات والمقالات، وصحب الإمام محمد بن زيد الداعي وكتب له، وقال: ما كتبت لأحد إلا استصعرت نفسي إلا محمد بن زيد فكانني أكتب لرسول الله، وصحب الناصر، توفي ببلخ في أيام المقتدر.

(٢) هو أبو سهل بشر بن المعتز الحلالي رئيس معتزلة بغداد من الطبقة السادسة.

وكذا لا يجوز إخلاف الوعيد من الله تعالى للمعاقبين؛ لأنه كذب والكذب قبيح.  
وقد حقق فيما سيذكر من المسائل.



**(المسألة الحادية والعشرون: أنه يجب على المكلف أن يعلم أن من وعده الله بالجنة من المؤمنين فإنه إذا مات تائباً غير مصر على شيء من الكبائر فإنه صائر إلى الجنة ومخلد فيها دائماً)**

ولا خلاف في ذلك إلا رواية عن جهم<sup>(١)</sup> والبطيحي<sup>(٢)</sup> فإنهما نفيا معنى السدوام وهذا بالنظر إلى السمع.

أما الجواز فيجوز أن يخلف الله وعده بالنظر إلى الثواب بناءً على قاعدتهم الفاسدة أنه لا يقبح منه قبيح، (والدليل على ذلك) القول الصحيح (أن النهي كان يدين بذلك ويخبر به)؛ لأن من المعلوم ضرورة أنه كان يدعو الخلق إلى طاعته ومبايعته، ويعدهم على ذلك الجنة، والقرآن الكريم ناطق بذلك في الآيات العديدة الظاهرة، (وهو ﷺ لا يدين إلا بالحق ولا يخبر إلا بالصدق بشهادة المعجز، وأيضاً فإن الأمة أجمعت على دخول المؤمنين الجنة والخلود فيها، والإجماع على ذلك ظاهر) ثبت بذلك أن المؤمنين يدخلون الجنة محالدين فيها أبداً.

---

(١) هو أبو حمزة الجهم بن صفوان السمرقندي قال الذهبي: زرع شراً عظيماً، وما بسب إلى الجهم قوله: سمي

الصفات، بالإضافة إلى قوله: بالجهر، كان يقضي في عسكر الخارث بن سريح الخارج على أمراء خراسان،

فقبض عليه نصر بن سيار وقتله في سنة ١٢٨ هـ في آخر عهد بني أمية.

(٢) هو من طبقة جهم بن صفوان ووافقه في مسألة انقطاع الثواب.

## (المسألة الثانية والعشرون)

أنه يجب على المكلف أن يعلم (أن من توعدده الله بالنار من الكفار) فإنه وعيد مقطوع به، و (إذا مات مصرأً على كفره غير تائب منه فإنه صائر إلى النار ومخلد فيها خلوداً دائماً)، وهذا يجمع عليه، إلا ما يحكى عن مقاتل<sup>(١)</sup> وبعض الخراسانية، وبعض الكرامية، فذهبوا إلى أن المشرك لا يعاقب، وأنه لا معنى للشرك لكنهم يسرون هذا المذهب.

قال الإمام عز الدين -عادت بركاته-: لا ينبغي أن يكون هذا مذهباً لأحد من المسلمين، فإنه رد لما علم من ضرورة الدين، ولعل الرواية عن مقاتل غير صحيحة، وكيف يقول عاقل ممن يؤمن بالله أنه لا معنى للشرك، وهذا مقاتل قال فيه ابن خلكان<sup>(٢)</sup>: كان إماماً في التفسير، انتهى.

وقال الشافعي<sup>(٣)</sup> -رحمه الله-: الناس عيال على مقاتل في التفسير، انتهى.

(والدليل على ذلك) المذهب الصحيح مع كونه معلوماً من ضرورة الدين ما يعلم ضرورة من (أن النبي ﷺ كان يدين بذلك ويخبر به)، وتوعدده ﷺ الكفار

---

(١) مقاتل بن سليمان البلخي مفسر مشهور توفي سنة ١٥٠هـ، وقبل: بعد ذلك، راجع ميزان الاعتدال للذهبي (ج ٢/ص ١٩٦) من الطبعة المصرية.

(٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي، مؤرخ وأديب له من المؤلفات: وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان مطبوع، وهو من أشهر كتب التراجم، ولد في أبريل عام ٦٠٨هـ وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها، كما تولى قضاء الشام مرتين، وعزل عنها مرتين، وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها عام ٦٨١هـ فدفن بسفح قاسيون.

(٣) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المصلي أبو عبدالله، شهرته معروفة، وعلومه موصولة، وقد صنف فيه الزمخشري كتاباً وغيره، قال أبو عبيدة: ما رأيت رجلاً قط أكمل من الشافعي، أثنى وهو ابن خمس عشرة سنة، قالوا: وهو أول من صنف في أصول الفقه واستنبطه، وأما تشييعه فظاهر، وهو أحد دعاة الإمام يحيى بن عبدالله، وامتنح بسبب ذلك، وله أشعار تدل على تشييعه، ولد في اليوم الذي توفي فيه أبو حنيفة، وتوفي بمصر آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤هـ ودفن بالفراغة الصغرى. في مصر.

بذلك مما لا يُردُّ ولا يخفى، (وهو صلى الله عليه وسلم لا يدين إلا بالحق ولا يخبر إلا بالصدق) بشهادة المعجز كما تقدم.

وقد ورد به القرآن الكريم، قال تعالى بعد ذكر الفجار: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الأنعام: ١٦] والفجار يشمل الفساق والكفار بالإجماع، إلى غير ذلك مما يكثر تعداده من الآيات الآتي ذكرها في المسألة التي بعد هذه.

وكذلك السنة فإنها دالة على ذلك (كما قد وردت به الأخبار) الصحيحة، فمن جملة ذلك ما رواه أبو الدرداء<sup>(١)</sup> قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يلقى على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوى وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت مسا في بطونهم، فيقولون: ادعوا خزنة جهنم عساهم يخففون عنا، فيقولون لهم: ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى، قالوا: فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال، فيقولون: ادعوا مالكم، فيقولون: يا مالك ليقضي علينا ربك؟ فيجيب إنكم ما كنتم (قال الأعمش: ثبت أن ما بين دعائهم وإجابة مالك لهم مقدار ألف عام)، فيقولون: ادعوا ربكم فلا تجدون خيراً منه، فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، قال: فيجيهم: اخسوا فيها ولا تكلمون، فعند ذلك يمسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل،» أخرجه الترمذي<sup>(٢)</sup>.

(١) هو جابر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء صحابي من الحكماء الفرسان القضاة، كان قبل البعثة تاجراً، مات بالشام عام ٣٢ هـ وروى عنه أهل الحديث ١٢٩ حديثاً.

(٢) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مثله الموقية والميم مضمومة ومكسورة، نسبة إلى مدينة قلعة على طريق (جيجون) نهر بلخ، سمع الحديث عن البخاري وغيره وكان ثناً حقة، وفاته برمد أو احسر =

وعن ابن عمر<sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم، يا أهل الجنة: لا موت، ويا أهل النار: كل خالد فيما هو فيه»<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري<sup>(٣)</sup> ومسلم، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على ذلك (وهو إجماع المسلمين) في الصدر الأول، ومن كان قبل هؤلاء المخالفين حتى أحدثوا هذا القول، والإجماع حجة قاطعة كما وردت بذلك الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، (ثبت بذلك) الذي ذكرنا (خلود الكفار في النار)، وبطل قول المخالفين، على أن قولهم إنكار لما علم من الدين ضرورة كما ذكر في صدر المسألة فلا نشغل بالحجاج فيه.

---

رحب سنة سبع وستين ومائتين.

(١) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن، صحابي نشأ في الإسلام، شهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها، وكُفَّ بصره في آخر حياته، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة عام ٧٣هـ.

(٢) في شمس الأخبار بمعناه واللفظ مختلف، قال الجلال: أخرجه أحمد وابن أبي شبة وعبد بن حميد والدارمي ومسلم والترمذي والنسائي، عن أبي سعيد وأبي هريرة.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، مولده في شوال سنة ١٦٤هـ سمع الحديث ببغداد بحار، ثم رحل إلى عدة أماكن وسمع الكثير، وألف الصحيح، وفاته بسمرقند ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦هـ.

(المسألة الثالثة والعشرون: أنه يجب على المكلف أن يعلم أن من توعدده الله من

### الفساق بالنار)

كمرتكي الفواحش التي هي غير مخرجة من الملة، كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك (فإنه إذا مات مصراً على فسقه غير تائب منه فإنه صائر إلى النار ومخلد فيها مخلوداً دائماً).

وهذه المسألة هي أم مسائل الوعيد، والمختصة بالنزاع الشديد، عظيمة الأخطار متشعبة الخلاف بين علماء الأمصار، فالجمهور من العدلية المعتزلة والزيدية والإمامية والخوارج وغيرهم: أن كل واحد من فساد هذه الأمة وأهل الكبائر يستحق العذاب بالنار في الآخرة، ولا بد أن يدخلها ويعذب فيها ويخلد فيها أبداً الآبدية، وما هم عنها بغائبين، ونخالف في ذلك المرجئة، فقطع بعضهم على أنهم غير داخلين في الوعيد، وتوقف البعض الآخر.

وقد جرى اصطلاح أصحابنا على أن كل من قال بخروج الفساق، أو توقف أو قطع بعدم دخولهم النار فإنه مرجئ، والاتفاق على أن المرجئة مذمومون ملعونون، وأن الإرجاء اسم ذم كالقدرة لما روي عنه عليه السلام: «لعنت القدرة والمرجئة على لسان سبعين نبياً».

وروي الحاكم عنه عليه السلام: «لكل أمة يهود فيهود هذه الأمة المرجئة» إلى غير ذلك، ولكن اختلف في مسماه وموضوعه، فالأصحاب بنوا على ما ذكرناه، وإن كانوا يقولون الإرجاء الحقيقي مذهب الواقفة، منهم الذين لا يقطعون بشيء قيل: لأن الإرجاء الردد.

وقال الفقيه حميد في العمدة: لأنه الوقف والشك.



قال الإمام عز الدين -عليه السلام-: قلت: بل التحقيق أن الإرجاء هو التأخير ومنه قوله تعالى: ﴿تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ﴾ [الأحزاب: ٥١] قال الجوهرى<sup>(١)</sup>: أرجأت الأمر أخرته.

ومنه: ﴿وَأَخْرَوْنَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ١٠٦] أي مخرجون حتى ينزل الله فيهم ما يريد ومنه سميت المرجئة.

قلت: ويكون وجه التسمية تأخيرهم القطع بالعقوبة والتخليد، والله أعلم.

وطوائف المخالفين يثرون من هذا الاسم ويقولون: الإرجاء المذموم قائلوه هو مذهب من زعم أن الإيمان قول بلا عمل، لما روي عنه عليه السلام وقد سئل عن المرجئة فقال: «يقولون الإيمان قول بلا عمل» ويقولون فيما يحكم الأصحاب عليه أنه الإرجاء الحقيقي هو الرجاء، انتهى.

وقد نص على الحديث القاسم -عليه السلام- والمرضى<sup>(٢)</sup> ذكر في حقيقته ذلك ولفظه: وسألت عن المرجئي من هو؟ والمرجئي من زعم أن الإيمان قول بلا عمل، وإنما سمي مرجئاً لأنه أرجأ الحق، ومعنى أرجأ الحق تركه، وهو من الحقائق الدينية التي نص القاسم -عليه السلام- أنها لا تكون إلا عن الله.

واعلم: أن من المرجئة من قطع على أن الفساق لا يدخلون النار، وهم الكرامية والخراسانية ومقاتل بن سليمان كما قالوا بذلك في أهل الشرك.

---

(١) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى، أول من حاول الطيران ومات في سبيله، لغوي من الأئمة، وحطه بذكر مع خط ابن مقلة، أشهر كتبه: الصحاح، وله كتاب في العروض ومقدمة في النحو، توفي عام ٣٩٣ هـ.

(٢) محمد بن يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم الرسي -عليهم السلام-، الإمام المرتضى، المسمى جبريل أهل الأرض ولد سنة ٢٧٨ هـ وأخذ عن والده مؤلفاته وغيرها، وكان عالماً بالفقه وأصول الدين، وله من المؤلفات في الفقه: كتاب الإيضاح والنوازل وغيرها، وله في علم الكلام مؤلفات، وكان زاهداً ورعاً، فقام بأمر الإمامة بعد أبيه ثم تنحى عنها لأخيه الناصر، ومدة انتصابه سنة أشهر، بعد اعتزاله أغلق على نفسه الباب واشتغل بالعلم والعبادة حتى توفي في شهر المحرم سنة ٣١٠ هـ عن ٣٧ سنة.

ومنهم من قطع بدخولهم وخروجهم، وهم بشر المريسي<sup>(١)</sup> ومن قال بقوله.

ومنهم من قال: يستحق الفاسق العقوبة الدائمة، إلا أنه يجوز أن يعفو الله عمن شاء منهم وإذا عفى عن البعض عفى عن الكل، وإلا أدى إلى المحاباة وهي لا تجوز على الله تعالى، وهذا قول محمد بن شبيب<sup>(٢)</sup> من المعتزلة ومن قال بقوله.

ومنهم من قال: بدخول الفاسق النار إلا أن الطاعات التي صدرت منه تردَّ عقابه من الدوام إلى الانقطاع، وهذا قول الخالدي<sup>(٣)</sup> وأتباعه.

ومنهم من قال: بالوقف ومال إليه لتعارض آيات الوعد والوعيد، وعدم المرجح لحمل أحدهما على الآخر، وعدم العلم بالمخصص منهما فالوقف حينئذ هو الواجب وهذا قول أبي حنيفة<sup>(٤)</sup> وغيره.

ومنهم من توقف في دخولهم النار، وإذا قدر دخولهم قطع بخروجهم.

ومنهم من قطع بدخولهم وتوقف في خروجهم.

ومنهم من جوز دخولهم النار وعدمه، وجوز إن دخلوا خروجههم وخلودهم، وهذا هو مذهب المرجئة الخُلص ومذهبهم هو الإرجاء الحقيقي، وبه قال أبو القاسم البسقي

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي المعتزلي الفقيه المتكلم أبو عبدالله الحنفي، قال ابن حليكان: أخذ الفقه عن أبي يوسف، وهو ممن قال: بخلق القرآن، وهو مرجي، وإليه نسب الطائفة المرجئية، وكان مياظراً للشافعي ويلحق؛ لأنه كان لا يعرف النحو، قال المسعودي: توفي سنة ٢١٩هـ، وفي القاموس: مريسة بالنشديد كسكينة، منها بشر بن غياث المتكلم.

(٢) هو محمد بن شبيب من الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، أحد علمه المعتزلة قوله بالإرجاء، واعتذر عن ذلك بقوله: إنما وضعت هذا الكتاب في الإرجاء لأحلكم، فأما غيركم فإني لا أقول فيه ذلك.

(٣) ذكر المهدي -عليه السلام- أنه من أهل الطبقة العاشرة من طبقات المعتزلة قال: ومنهم الخالدي وكان يميل إلى الإرجاء وتشدد فيه وكذلك قال الحاكم أبو سعيد قال المهدي -عليه السلام- : هو محمد بن إبراهيم بن شهاب وكان فقيهاً متكلماً.

(٤) هو النعمان بن ثابت النيمي بالولاء، الكوفي إمام الحنفية، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد بالكوفة عام ٨٠هـ وكان يبيع الخبز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والافتاء، توفي عام ١٥٠هـ.

وكثير من المرجئة، وإليه ذهب جملة أهل الإرجاء من العدلية.

وقال الغزالي: بل المرجئة الخالصة هم القاطعون بأنّ الفساق لا يعذبون ولا يدخلون.

هكذا حقق الحكاية لمذهبهم الإمام عز الدين -عليه السلام- في المعراج مع شيء من الاختصار.

(والدليل) لنا (على ذلك)، وهو تخليد الفساق في النار الكتاب والسنة، أما الكتاب: فـ(قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَسَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾) [الن: ٢٣] فوعد الله سبحانه كل عاصٍ على سبيل العموم بالخلود في النار أبداً.

(والخلود هو الدوام) في لغة العرب، وكذلك التأيد وإن استعمل في غير ذلك فعلى سبيل المجاز، والخلاف في ذلك مكابرة.

قالوا: سياق الآية في الكفار بدليل قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الحر: ٢٤].

قلنا: خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها، فلا يلزم إذا كان آخر الآية وهو قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ محمولاً على الكفار وخصوصاً بهم أن يخص أول الآية، بل يجب ترك أولها على عمومها، وحمل آخرها على ما يصح حمله عليه.

(و) منها: (قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ، يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ، وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾) [الاسطار: ١٣-١٦] فحكم بعدم غيبوبة الفجار عن النار، والفجار يطلق على الكفار والفساق، وقد ورد إطلاق الفاجر على الفاسق في السنة كثيراً (وهاتان الآيتان عامتان) كما ذكر، وحيث فإنهما (تدلان على دخول كل عاص النار، وعلى دخول كل فاسق وفاجر النار وخلودهم فيها)، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ

لَجَزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿[الأعراف: ٤٠]﴾ فإنه تعالى حكم على الذين كذبوا بالآيات واستكبروا عنها بعدم دخول الجنة حتى يلج الجمل في ثقب الإبرة، وكما أن ولوجه فيه شمال، فكذلك دخولهم الجنة محال، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي ومثل ذلك الجزاء المذكور نجزي كل من أجرم، ولا شك أن المجرم هو المذنب والفاسق مذنب قطعاً، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الرعد: ٧٥] فإنه لم يكتب بذكر الخلود حتى أردفه بلا النافية للفتير عنهم، وهي تقتضي العموم في جميع الأحوال إلى غير ذلك من الآيات التي يطول تعدادها كقوله: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾ [طه: ٧٤] ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جُنُثًا﴾ [مريم: ٧٢] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الشعراء: ٦٩].

وأما السنة: فالأخبار مشحونة بالوعيد العظيم على من سرق وزنا واغتاب وقتل النفس، ومنه: (ومن نحسّ سماً، ووجى نفسه بحديدة) إلى غير ذلك.

والوارد من الأحاديث النبوية في الوعيد على أنواع المعاصي أكثر من أن تحصر، وأجل من أن تذكر في ضمن غيره وتيسر.

وللمخالفين شبه عقلية وسعية، أما العقلية: فهو أن قالوا: الغرض بالوعيد الزجر والتعريف، وذلك حاصل مع تجويز العفو.

والجواب: أن مع القطع على حقوق العقاب يكون أبلغ في اللطف والزجر، قالوا: مدح الله العفو ورغب فيه فهو أحق بذلك.

وأيضاً فمن توعد من الملوك ثم عفى عد ذلك عدلاً ومدح عليه.

والجواب عن الأول: أنه مُسَلَّم لو لم يعارضه ما يقبح العقل العفو عنده وهنا قد عارضه ذلك، وهو أنه تعالى لو عفى لكان قد ساوى بين من أحسن وأساء، والمعلوم أن المساواة قبيحة عقلاً، فيكون العفو قبيحاً.

وأيضاً فإنما يستحسن حيث لا يقتضي كذباً، فأما إذا اقتضى إخلاف القول السدي هو كذب فلا يُسَلَّم، فيحمل ما رغب الله فيه ومدح عليه على ما لا يقتضي مساواة بين محسن ومسيء، ولا يقتضي الكذب للدليل القاضى بذلك.

وعن الثاني: بأن الملك إذا توعد غيره فيما أن يتوعده بأن يظلمه أو يتوعده بما له أن يوصله كالحدود ورد المظلمة، إن توعد بالظلم وهو الأغلب في الشاهد؛ لأن أحدنا لا يستحق على غيره عقوبة، وإنما يستحق عليه أعواضاً والعقوبة على الله تعالى، فمتى أخلف وعيده والحال هذه لم يسم ذلك عفواً؛ لأن العفو إنما يكون عما يستحقه، وإن توعد بما له أن يوصله إليه كالحدود ونحوها لم يسلم أن الخلف فيه يسمى عفواً ولا حسناً ولا يمدح عليه، ولكنه يقال على هذا الطرف أن الحدود ونحوها يجب عليه أن يوصلها، والله سبحانه لا يجب عليه إيصال العقاب، فوزان المسألة ما كان للسلطان أن يوصله أو لا يوصله كما لو توعد باستيفاء دين له أو عقوبة له أن يسقطها، كالتعزير، والخصم حينئذ يوافق أن عدم تنفيذ ذلك عدل وحسن يستحق المدح والثناء.

وأما شبههم السمعية، فأقواها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] ففي ظاهرها تصريح بمغفرة ما دون الشرك لولا قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهي أعظم مستند المرجئة وأبلغ متمسكاتهم، ولهذا قال صاحب زهر الكمائيم: هذه الآية سيوف وخناجر على حناجر المعتزلة.

وقال الإمام المهدي -عليه السلام-: ولعمري أن هذه الآية الكريمة كالصرحة بأنه سبحانه يغفر ما دون الشرك من غير توبة، ولكنه لما قال: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ صارت محملة، ووجه الاستدلال بها أن الله لا يغفر أن يشرك به تفضلاً؛ لأنه قد ثبت أنه يغفره بالتوبة.

قالوا: فيجب أن يكون التقدير: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ تفضلاً وذلك عام في الصغائر والكبائر.

وأيضاً فلو حمل ما دون ذلك على الصغائر أو الكبائر مع التوبة لكان لا وجه لتعلقه بالمشيئة؛ لأنه إنما يعلق على المشيئة في وضع اللسان ما لم يكن مستحقاً، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقال: فلان يقضي الدين لمن يشاء من المستحقين، ويحسن أن يقال: الملك يخلق على من يشاء.

وأيضاً فإنه تعالى أضاف الغفران إلى نفسه، والذي يتعلق به من المغفرة ليس إلا مغفرة أصحاب الكبائر دون التائب وأصحاب الصغائر، فإن التائب لتوبته وصاحب الصغيرة باحتنايه الكبائر<sup>(١)</sup>.

وأيضاً فما دون الشيء إنما يستعمل فيما قاربه، فيكون المراد الكبائر، كما أن القاتل إذا قال: الألف فما دونه لم يحمل ما دونه على العشرة، وإنما يحمل على تسع مائة ونحوها.

وقد أجب عن هذه الآية بأجوبة كثيرة منها: ما ذكره جاز الله الزمخشري - رحمه الله تعالى - فقال: الفعل المنفي وهو غفران الشرك والمنبت وهو غفران ما دونه موجهان إلى قوله: ﴿لَمَنْ يَشَاءُ﴾ فكأنه قيل: إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك، ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب، وبالثاني من تاب، ونظيره قولك: إن الأمير لا يبذل الدينار، ويبذل القنطار لمن يشاء، يريد لا يبذل الدينار لمن لا يستحقه ويبذل القنطار لمن يستحقه، وحكي في سبب نزولها أنه جاء إلى رسول الله ﷺ شيخ من العرب فقال: إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أنني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته، وآمنت به ولم أتحذ من دونه ولياً، ولم أوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له، وما توهمت طرفة عين أنني لم أعجز الله هرباً، وإني لنادم مستغفر تائب، فما ترى حالي عند الله؟ فنزلت. قال: وهذا الحديث<sup>(٢)</sup> ينصر من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه.

(١) ترك خبر إن، وصواب العبارة ما في المراجع بعد قوله: باحتنايه الكبائر، قد أزال ما استحقاه من العقوبة.

(٢) رواه القرطبي في تفسيره، والشوكاني في فتح القدير قال: وهو ما رواه الثعلبي والقرطبي في تفسيرهما عن الضحاك أن شيخاً... إلخ.

انتهى.

وأيضاً فإنما يقتضي ظاهرها أنه إنما يغفر ما دون ذلك لمن يشاء تفضلاً، فمن أين أنه قد شاء أن يغفر الكبائر تفضلاً، وهو محل النزاع لا سيما وغفرانها يكشف عن الكذب في آيات الوعيد.

قال الرازي معترضاً لاحتجاج أصحابه بهذه الآية: ولئن سلمنا دلالة الآية على غفران الكبيرة فإن الله تعالى لو قال: إن الله لا يغفر أن يشرك به، ولا أكل أموال اليتامى، ولا الفرار من الزحف، ولا قتل المؤمن بغير حق، ويغفر ما دون ذلك لكننا نقطع على أنه ليس المراد بما دون ذلك شيئاً من هذه الكبائر، وقد توعد تعالى على هذه الذنوب في غير هذه الآية، فوجب أن لا يختلف الحكم الذي ذكرناه؛ لأن القرآن كله كالكلمة الواحدة في البعد عن التناقض والاختلاف، وأيضاً فلا تعلق لواحد من فرق المرحلة.

أما من قال: لا وعيد على مرتكبي الكبائر من أهل الصلاة كما ينسب إلى مقاتل وغيره، فيقال له: إذا لم يكن عليه وعيد مستحق فلا معنى لغفران؛ لأن الذنب ساقط. وأما من قال: إن الفاسق يعذب عذاباً منقطعاً كما يحكى عن المريسي، فيقال له: الآية عندك تقتضي بالغفران وأنت قطعت على نزول العقاب فأين الغفران؟

وأما من قال: بالوقف، وهم الجمهور من المرحلة، فيقال لهم: ظاهر الآية عندكم تقتضي القطع على المغفرة لمن عدا المشركين وأنتم تتوقفون، وقوله: ﴿لَمَنْ يَشَاءُ﴾ لا يقتضي الوقف؛ لأن الذي عُلّقَ بالمشيئة هو تعيين المغفور له، فأما المغفرة فمطلقة، وإذا كان ظاهرها يقتضي مالا يقول به أحد من الأمة وجب صرفها إلى الصغائر أو الكبائر مع التوبة.

وأيضاً فإن الآية محملة لم يبين الله تعالى فيها من الذي يشاء له المغفرة وبيانها في

قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ لُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] إلى غير ذلك مما تحتمله الآية.

ولئن سلمنا فهذه الاحتمالات تكون ظاهراً، فلا يقاوم القاطع وهي آيات الوعيد الصريحة.

وأقول: إن الآية تحتمل وجهاً يبين ما ذكر، وهو أنه تعالى توعد أهل الكتاب في الآية التي قبلها بتعجيل العقوبة إن لم يؤمنوا، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ آمَنُوا بَمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ لَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ أي نمحسهم قرعة وخنازير ﴿وَكُنَّا أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧] ثم حذرهم سبحانه وتعالى بأنه لا يقع منه غفران للشرك في حالة من الحالات، بل يستحق من أشرك تعجيل العقوبة أيضاً كما استحقها من تقدم ذكره، فأتى بالنفي الداخل على المضارع الذي هو في معنى النكرة، فلو لم يعجل عقوبة الشرك لكان غفراناً، كما قال تعالى حاكياً: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [مرد: ٣] فجعل المتاع الحسن إلى الموت من موجبات المغفرة، ثم قال سبحانه: ﴿وَيَغْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦] فلا يعاجل بعض المرتكبين للكبائر بالعقوبة بل يغفرها بتأخير العقوبة في الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] وبهذا يتدفع الإشكال والله الحمد.

ومما احتجوا به قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

والجواب: أنه إنما نهى تعالى عن القنوط الذي هو الإياس من رحمة الله تعالى بإهمال التوبة واعتقاد أن الذنب لا تمحوه التوبة، ولذلك أمر سبحانه وتعالى بالتوبة عقيها تحقيقاً لغفران الذنوب بها، وأنها باب مفتوح لا يُغلق عن المذنب فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى



وَبِكُمْ ﴿[الرمر: ٥١].

وأيضاً فالظاهر يقتضي غفران الشرك فما حصصوا به غفران الشرك خصصنا بمثله غفران الفسق، والمعنى: ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ بالتوبة؛ لأنه قد تكرر ذكر هذا القيد في القرآن فكان ذكره فيما ذُكر فيه ذكراً له فيما لم يذكر فيه؛ لأن القرآن في حكم كلام واحد لا يجوز فيه التناقض، وقد ذُكرَ مثل ذلك حار الله في كشافه، (فثبت بذلك) الذي ذكرنا وبغيره من الأدلة الواضحة (خلود كل فاسق وفاجر في النار).

### (المسألة الرابعة والعشرون): في المنزلة بين المنزلتين

وهذه مسألة الأسماء والأحكام، وإنما سميت المنزلة بين المنزلتين؛ لأن معنى ذلك لغة الشيء بين الشئين في العلو والانحطاط، وقيل: الشيء بين الشئين ينحذب إلى كل واحد منهما بشبه.

وأما اصطلاحاً: فكون صاحب الكبيرة ممن ليس بكافر له أسماء وأحكام بين أسماء المومن والكافر وأحكامهما، ووجه تسمية هذه بالمنزلة بين المنزلتين: كونها كلاماً في إثبات منزلة للفاسق في أسماء وأحكامه بين منزلي المومن والكافر في أسمائهما وأحكامهما، ووجه تسميتها بمسألة الأسماء والأحكام أنها كلام في أسماء المكلفين وأحكامهم، ووجه الحاجة إليها أن المكلفين لما كانوا على ضريين، ضارب يستحق العذاب، وهو فريقان: فريق يستحق العقاب العظيم، وفريق يستحق عقاباً دون ذلك، ومنهم من يستحق الثواب، وهم فريقان: فريق يستحق الثواب العظيم، وفريق يستحق ثواباً دون ذلك فاحتجنا إلى معرفة كل فريق وحكمه لنجري عليه اسمه ونعامله معاملة.

وقد ذهب أهل الحق إلى (أن أصحاب الكبائر من هذه الأمة، كشارب الخمر

والزاني ومن يجري مجراهم يُسمون فُسَاقاً ولجّاراً، وهذا مما لا خلاف فيه، وهل يسمون مع ذلك مؤمنين أو كفاراً أو منافقين؟

فذهب المرجئة إلى الأول، ومنهم من قال: إن إيمانهم كإيمان جريريل وميكائيل لاعتقادهم أن الإيمان هو التصديق فقط.

وذهب الخوارج إلى الثاني، واتفقت على وصفهم بأنهم كفار، واختلفت في أنهم هل يوصفون بأنهم مشركون؟ فمنعه الإباضية<sup>(١)</sup>، وأجازه سائرهم.

وذهب الحسن إلى الثالث، (و) إذا عرفت ذلك، وأنهم (لا يسمون مؤمنين) فليس حكمهم حكم المؤمنين على الإطلاق، (ولا) حكم الكفار (منافقين)، (و) ليسوا (كفاراً) على الإطلاق، بل لهم اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين، وهو معنى قولهم المنزلة بين المنزلتين.

وقد حكى عن الناصر<sup>(٢)</sup> -عليه السلام- تسميتهم كفار نعمة. قال الوالد العلامة محمد بن عز الدين: وهو قياس قول من جعل نحو العبادات شكراً، وقد صرح بهذا المرتضى والإمام أحمد بن سليمان<sup>(٣)</sup> مع تسميته فاسقاً أيضاً.

---

(١) الإباضية: فرقة من فرق الخوارج منسوبون إلى عبدالله بن يحيى الإباضي.

(٢) هو الإمام الناصر للحق الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالأطروش، والناصر والكبير، والناصر للحق أحد أئمة الزيدية وعظماء الإسلام، كان عالماً مجتهداً، زاهداً ورعاً، شجاعاً أديباً، عظيم القدر، ولد سنة ٢٣٠هـ ونشأ في طلب العلم وقرأ من الكتب السماوية بضع عشرة كتاباً، وقام في أرض الديلم سنة ٢٨٤هـ يدعو إلى الله عشرين سنة، ودخل طبرستان سنة ٣٠٦هـ، وأسلم على يديه ألف ألف ما بين رجل وامرأة، توفي بامل في شعبان سنة ٣٠٤هـ عن ٧٤ سنة، قال الطبري: لم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحق، له مؤلفات كثيرة.

(٣) هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي -عليهم السلام-، مولده سنة ٥٠٠هـ كان -عليه السلام- فصيحاً شاعراً، علامة في فنون عديدة، له تصانيف منها: أصول الأحكام جميع ما فيه ثلاثة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعين حديثاً، وحقائق المعرفة في علم الكلام وغيرهما، وله كرامات مشهورة، بيعته: سنة ٥٣٣هـ وملك أكثر اليمن وعمى آخر عمره، وتوفي بميدان حولان الشام في شهر ربيع سنة ٥٦٦هـ فخلافته ٣٣ سنة، وعمره ٦٦ سنة.

(و) أما (الدليل على أن الفاسق لا يسمى كافراً) كما زعمت الخوارج: فهو (أن الكافر) المتصف بالكفر، والكفر كان في الأصل التغطية، والكافر المغطى، ومنه سمي البحر كافراً؛ لأنه يستر ويغطي ما فيه، وصار الكافر في الشرع (له أحكام مخصوصة وأسماء معلومة لا تجوز على الفاسق، أما أحكامه: فتحريم حرمة المناكحة والموارثة والدفن في مقابر المسلمين) ونحو ذلك مما لا تجري على الفاسق بالإجماع، وأراد بنحو ذلك سبي النساء والأولاد والقتل في حق بعض الكفار أو ضرب الجزية في حق البعض، وهذا هو المعلوم من حال الصحابة بل ربما نصوا على فساد هذه المقالة، كما روي أن أمير المؤمنين سئل عن الخوارج أكفار هم؟ فقال: من الكفر فروا، قيل: فمسلمون؟ قال: لو كانوا مسلمين ما قاتلناهم، كانوا إخواننا بالأمس فبغوا علينا، فمنع من تسميتهم كفاراً أو مؤمنين، ولم ينكر عليه فكان إجماعاً هذا إن لم يكن قوله حجة.

ولنا أيضاً أن الله قد شرع اللعان بين الزوجين، ومعلوم أن أحدهما فاسق إما المرأة بالزنا، أو الزوج بالقذف، فلو كان الفسق كفراً لوقعت البيونة بنفس الفسق فلا يصح اللعان إذ لا لعان بين أجنبيين وكان أيضاً لا يحتاج إلى حكم.

وأيضاً كان يلزم إذا شرب الزوج أو زنى أن يُفَرَّقَ بينه وبين امرأته، وأن يستتاب وإلا قتل كالمرتد، وهم يلتزمون هذا، ولو لم يلتزموه أيضاً فهم محجوجون بالإجماع، فإن المعلوم من حال الصحابة أنهم لم يحكموا بانقضاء نكاح شارب الخمر والقاذف ونحو ذلك، ولا يسمع عن أحد منهم، ولهم شبه عقلية لا يلتفت إليها لضعفها ولظهور بطلانها.

وأما الشبهة السمعية فمنها: قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الب: ١٤، ١٥، ١٦] قالوا: الفاسق ممن يصلى النار فيحب أن يكون كافراً.

والجواب: أنا نقول مُسَلِّمٌ أنه ممن يصلّي النار، فمن أين يصلّي هذه النار المخصوصة التي وصفها الله تعالى، وإنما هي نار مُنْكَرَةٌ غير مُعَيَّنَةٍ.

وأيضاً فلسنا نحكم بدخوله النار لأجل هذه الآية، بل لمثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ﴾ [مرد: ١٠٦] والفاسق شقي وليس بأشقى.

قالوا: قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] والفاسق قد يكون فسقه بالحكم بغير ما أنزل الله.

قلنا: هي واردة في اليهود، وإنما قُصِرَتْ على السبب لما منع من العموم، وهو ما قدمنا من الأدلة على أن الفاسق ليس بكافر، ولما روي عن ابن عباس من أن الفاسقين والكافرين والظالمين أهل الكتاب.

هذا وأما قول المصنف: (وأما الأسماء فيقال: كافر وملحد؛ لأنه جاحد لله تعالى ولرسوله ولجنّته وناره، ولا شك أن الفاسق لا يفعل شيئاً من ذلك) فقد قال الشارح المحقق: ما كان ينبغي؛ لأن إطلاق الكافر على الفاسق هو عين محل النزاع، وأما ملحد فهو اسم لكافر مخصوص، وهو الجاحد للصانع، فعدم إطلاقه على الفاسق كعدم إطلاقه على من كفر بغير ذلك.

(وأما الدليل على أن الفاسق لا يسمى منافقاً أن المنافق) كما يقوله الحسن البصري<sup>(١)</sup> فهو وإن كان في الأصل اسماً لمن يُظهرُ أمراً ويُبطنُ خلافاً، مأخوذ من النافق أحد جُحْرَةِ البربوع حيث كان يخفي أحد جانبيه ويظهر الآخر، فقد صار في الشرع يسمى به (من أبطن الكفر وأظهر الإسلام) و معلوم أن الفاسق لا يكون كذلك، فإن أحدنا يعلم من نفسه أنه يقدم على المعصية مع إقراره بالله تعالى ووعيده،

---

(١) الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري أبو سعيد مولى أم سلمة، أحد الأعلام كان إمام أهل البصرة، ومن عظماء التابعين وكبارهم، اشتهر بعلمه وزمّده وتقواه، وهو من أشهر المحدثين روى عن أمم، وروى عنه أمم كثيرة.

ومع الخوف الشديد، لكن يؤثر الشهوة ويؤمل العفو إن كان من أهل الإرجاء،  
ويسوف التوبة إن كان من أهل الوعيد.

وأيضاً فلا خلاف في أن كل منافق كافر فكان يلزم أن يكون الفاسق كافراً بل كما  
نص الله على أن المنافق كافر، فقد نص الله على أنه من أشد الناس عقاباً فقال تعالى:  
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

[شبهة]: قال: لو لم يكن في اعتقاده خلل، وكان مؤمناً بالله وبوعده ووعيده لما  
ارتكب الكبيرة، كما لو كان بين يديه نار موجهة، وقال له من يقدر عليه إذا وقعت  
الكبيرة أوقعتك في هذه النار، وكذلك إذا علم في الجحر صرة دراهم وحية تهلك  
لسعتها فإنه لا يدخل يده للصرة والحال هذه.

والجواب: ما تقدم من أنا نعلم من حال الفاسق أنه لا خلل في اعتقاده حال إقدامه  
على المعصية وما ذكره من المثال ليس نظيراً للمسألة؛ لأن من وصف حاله يكون ملحقاً  
إلى ترك المعصية والحال هذه، وليس هذا حال المكلف فإنه يجوز العفو والتوبة، ووزان  
مسألة الحية أن يكون معه ترياق يعلم أنه ينفع من اللسعة، أو يجوز أن الحية لا تلسعه،  
فإنه والحال هذه يدخل يده للصرة.

(وأما الدليل على أن الفاسق لا يسمى مؤمناً) كما تزعمه المرجئة، (فهو أن  
المؤمن) وإن كان في أصل اللغة المصدق فقد صار منقولاً في الشرع إلى (من يستحق  
الثواب والمدح والتعظيم)، فالإيمان كان في الأصل التصديق، ثم صار موضوعاً في  
الشرع للعمل بالأركان والتصديق بالقلب والإقرار باللسان، وأن اسم المؤمن في الشرع  
مشتق من الأمان بهذا المعنى، ونقل الإيمان إلى ما ذكر هو مذهب أئمة الزيدية ومسند  
تابعهم وقول الجلة من المعتزلة.

قال الإمام يحيى: وهو مذهب السلف وهو المختار، والذي يدل على أنه يستحق  
عليه المدح الإجماع، فلا نعلم في ذلك مخالفاً وصحة توسطه بين أوصاف المدح، ولأن  
الله تعالى ما ذكر المؤمن والإيمان في القرآن إلا مدحه، وكل ذلك لا يصح في الفاسق،

وقد دل الدليل السمعى على نقل اسم المؤمن إلى من يستحق الثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٣٠٢] وإنما للحصر، ثم أكد ذلك في آخر الآية بالحصر أيضاً بما يقتضيه بلا مزية عند جهازة الأصوليين، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمن: ٢٠١] الآيات، وقد يقال: أن الوصف في هذه الآيات للتقييد لا للتوضيح، وإن سلم أنه للتوضيح فهو محتمل، والمحتمل لا يصح حجة، وقال تعالى: ﴿يَسَىٰ الْإِسْمُ الْفُتُورُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١] وذلك يدل على التناهي بين الاسمين، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال في حق الزاني والزانية: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَمُوتُوا يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٥، ١٦] فإنه لو كان الإيمان هو التصديق لما جعل فيه ما هو عمل قطعاً وهو الجهاد في سبيل الله، فلا يكون مؤمناً إلا من كان كذلك، وذلك ظاهر والله الحمد.

وكذلك قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من الأدلة.

ولهم شبه منها: أنه لو كان الإيمان فعل الطاعات، واجتناب المقبحات لصح وصفه بالزيادة فيه والنقصان، وهو باطل.

(١) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة، والطبراني في الأوسط، وعبد بن حميد، والحكيم، والضياء في المختارة عن أبي سعيد، وابن عساكر عنه، والطبراني في الأوسط عن عائشة، وأحمد والبخاري والنسائي عن ابن عباس، والطبراني في الكبير، وعبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والحكيم والبيهقي في الشعب عن عبد الله بن أبي أوفى، والطبراني في الكبير عن عبد الله بن بن معقل، والطبراني في الصغير عن علي - عليه السلام - هـ.

والجواب: أنا لأنسلم بطلانه بل يصح دخول الزيادة فيه، فمن كانت طاعته أكثر كان إيمانه أكثر، وعلى هذا قال: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ وقال: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾.

قالوا: وردت آيات كثيرة تعطف الأعمال الصالحة على الإيمان نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ ونحوها، وحق العطف المغايرة؟

قلنا: إنا لم ندع أن كل لفظة اشتقت من الإيمان، فإنها لا تستعمل إلا في المعنى الذي قلناه، وأنه لا يجوز استعمالها في الذي وضعت له في الأصل، فلا مانع من أن تكون هذه اللفظة التي ذكرها الله في هذه الآيات مبقاة على أصل الوضع فلا يُقدح في كلامنا، ويكون العطف قرينة المجازية، وغير ذلك من الآيات الواردة بلفظ الإيمان في حق من ليس بمؤمن شرعاً، ما أول بما ذكر كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [المذ: ٢] ونحو: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجرات: ٩] (فثبت بذلك) التقرير (أن الفاسق لا يسمى مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً) وبطل ما قاله المخالفون.

## (المسألة الخامسة والعشرون) في الشفاعة

ووجه اتصالها بالوعد والوعيد ظاهر، فإنها من تنمة الكلام في إيصال عقاب ذوي الكبائر إليهم وخلودهم في النار، ولا يصح ما تقدم إلا بتصحيح ما ذهب إليه الأصحاب فيها من أنها ليست للفساق ولا لمن يستحق النار، وأنها لا تقتضي عدم دخولهم النار، ولا خروجهم عنها بعد دخولها.

واختلف الناس في موضوعها، فقال أهل الإرجاء: إنما تستعمل في دفع الضرر فقط، وقال الجمهور: بل فيه وفي جلب النفع.

قال المهدي -عليه السلام-: ونعلم بتواتر النقل عن أهل اللغة أنهم يقولون: شفع فلان إلى فلان ليقضي دينه، أو ليغني فقره أو نحو ذلك، ولا يخالف أحد في ذلك، بل هي في جلب المنافع أكثر، قال الشاعر:

فذلك فتى إن جته لصنعته إلى ماله لم تأت به بشيـفيع

واعلم: أنه لا خلاف بين أهل الإسلام أن النبي ﷺ شفاعة مقبولة، وهو المقام المحمود الذي وعده الله إياه يوم القيامة في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكَ أَن يَبْعَثَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وأنكرتها المطرفية وقد سبقهم الإجماع.

والمشهور عن الجمهور وهم الأكثر من الزيدية والمعتزلة: (أن شفاعة النبي ﷺ لا تكون لمن يستحق النار من الكفار والفساق) أصلاً، (وإنما تكون للمؤمنين) سواء كانوا قد أتوا كبائر ثم تابوا عنها، أو لم يواقعوا كبيرة رأساً (حتى يزيدهم الله بها شرفاً) ونعيماً إلى نعيمهم وسروراً إلى سرورهم.

قال المصنف: (أو تكون لمن يستوى حسناته وسيئاته) على القول بصحة ذلك (فيشفع له النبي ﷺ) ليدخل الجنة، وإلى هذا القول الأخير ذهب أبو القاسم



البلخي، وهو باطل بالدليل الدال على المنع من الاستواء، ومن أجاز ذلك فبطلانه بأنه لا دليل على قصر الشفاعة على من كان له هذا الحكم دون غيرهم من أهل الجنة.

وقال أهل الإرجاء: بل الشفاعة للمصيرين من أمته من أهل الكبار، والمطلوب بالشفاعة أن يعفو عنهم ويدخلوا الجنة تفضلاً.

(والدليل على أن شفاعة النبي ﷺ لا تكون لأحد من الظالمين) أنها لو كانت لكانت إما أن تقبل وهو باطل؛ لما تقدم من أن الفاسق في النار على جهة الدوام، وإما أن لا تقبل، وهو باطل بالإجماع.

(قوله تعالى: ﴿لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾) [الأنبياء: ٢٨] فإذا كانت الملائكة لا تشفع إلا للمؤمنين فكذلك الأنبياء، والاتفاق وقع على أن الفاسق غير مرضي على الإطلاق، وإنما المرتضى على الإطلاق المؤمن الذي ليس بفاسق، والآية دلت على أن الشفاعة لمن ارتضاه مطلقاً غير مقيد.

وقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [عن: ١٨] فقد أخبر الله على سبيل القطع بأنه لا شفيع للظالمين يوم القيامة تقبل شفاعته، ولا شك أنه ﷺ مقبول الشفاعة، فلا يشفع لفاسق؛ لأن اللام لام الاستغراق والكسرة في سياق النفي للاستغراق، والفاسق ظالم بلا خلاف بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] ولا يقال: إنه تعالى لم ينف الشفاعة إلا عن جملة الظالمين وهو محل اتفاق؛ لأننا نقول: لو شفع النبي ﷺ لظالم لما صدق العموم فبطل ما قلتموه، قال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ولا نصرة فوق دفع ضرر العقاب، وقال في الذين كسبوا السيئات: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [يونس: ٢٧].

شبهتهم أن المطيع مستغن بكونه من أهل الجنة عن الشفاعة فلا فائدة فيها.

والجواب: أن فائدتها بيان مرتبة الشافع وزيادة مسرة المشفوع له ومنافعه، ونعارضهم بقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [عن: ٧] فنقول: لا فائدة في هذا الاستغفار وبالزيادة في قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ١٧٣].

قالوا: قال ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، ونحوه كما رواه أبو هريرة<sup>(١)</sup> أن النبي ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وأنا أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة من مات إن شاء الله من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» أخرجه البخاري ومسلم ومالك<sup>(٢)</sup> في الموطأ والترمذي.

والجواب: أن هذه الأحاديث لو صحت لم تخرج عن رتبة الآحاد، فإن التواتر من حقه كثرة الرواة، واستواء الطرفين والأوساط في ذلك، والمسألة قطعية على أن الحديث التالي للحديث الأول وما يشابهه ممكن التأويل بتخفيف جزء من العقاب لا يفضي إلى خلاف ما قضى به رب الأرباب، هذا مع الصحة التي بها تعارض القاطع، والذي يحسم المادة أن شفاعة النبي ﷺ للفاسق كيف تليق بخلائقه الشريفة الفائقة أن يقول لرب العزة يوم القيامة: يا رب قد كنت أنزلت علي كتاباً في الدنيا وبعثني رسولاً إلى الجن والإنس؛ لأعلمهم ما شرعت لهم، وأمرهم بطاعتك وأعدهم عليها ثوابك، وأنهاهم عن معصيتك، وأتوعدهم عليها بعقابك، وأنا الآن أسألك ألا تفي بذلك، وأن تُصبر المسيء مع المحسن والمجرم مع المسلم مع قوله: ﴿أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٢٥] هذا مما لا يستحسنه عاقل، فكيف به ﷺ وهو الأعظم حليماً وعقلاً.

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الثقفي بأبي هريرة، نشأ بنبماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحير فأسلم سنة ٧ هـ وتوفي عام ٥٩ هـ.

(٢) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحيمري أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، مولده: عام ٩٣ هـ بالمدينة وتوفي بها عام ١٧٩ هـ.

## (المسألة السادسة والعشرون): في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد استشكل الإمام عز الدين -عليه السلام- جعلها من أصول الدين قال: وأقرب ما يمكن تحلُّه أن يقال: لما كان باب الوعد والوعيد ينطوي على ذكر الطاعات والمعاصي، وما يقتضيه وما يجب من التوبة عن ترك الطاعة، وفعل المعصية، وذكر أسماء فاعليها وأحكامهم، حَسُنَ وناسب أن يردف بذكر الأمر بوجوب الطاعة والحث عليها، والنهي عن المعصية، وأن لا يترك لمريدها سبيلاً إليها، فكما أن في ذلك السبب ذكر أحكام فاعلي الطاعة والمعصية وما ينبغي من حسن المعاملة، فهذا كلام في بعض ما ينبغي أن يعاملهما به غيرهما من الأمر بالطاعات والنهي عن المعاصي، ولو إلى حد القتال بعد تحسين المقال.

واعلم: أنه لا خلاف (أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب) على كل مكلف وجوب كفاية، سواء كان ثم إمام أولاً، ولا اعتداد بما يعزى إلى الحشوية من الخلاف في وجوبه قولاً وفعلاً، وأما الإمامية فلم يخالفوا إلا في كيفية وجوبه، وإلا فقد قالوا بوجوبه قولاً لكنهم قالوا: لا يجب فعلاً إلا في زمن الإمام.

وقال الأصم: لا يجبان إلا إذا كان ثم إمام مجمع عليه، وإنما يجبان على قدر الطاقة والإمكان، فإن لم يقدر ولم يستطع فلا وجوب عليه لقوله تعالى: ﴿لَا تَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [النجم: ٦١] وعلى مراتبه، فيبدأ بالقول اللين، فإن حصل به المقصود من الامتثال وإلا تعداه إلى القول الخشن والوعيد، فإن نفع وإلا فالعصا ثم السيف، والوجه في هذا الترتيب أن الغرض بالأمر والنهي هو أن يقع المعروف وأن لا يقع المنكر، فإذا تم الغرض بالأمر فلا وجه للتعدي إلى الوجه الصعب، ولقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِأَيْدِيهِ أَحْسَنَ﴾ [نمل: ٣٤] ونحوها.

والذي يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أدلة كثيرة منها قوله

تعالى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٨، ٧٩] ونحن متعبدون بشرائع من قبلنا ما لم تنسخ على الأصح.

وما ثبت في النهي عن المنكر ثبت في الأمر بالمعروف، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [ال عمران: ١٠٤] فأمر الله تعالى أن يكون فينا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فأوجهه على الكفاية؛ إذ الأمر يقتضي الوجوب على الراجح، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] فحكم سبحانه على المؤمنين بكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوصافهم، فمفهومه من لم يكن كذلك فليس بمؤمن، كما أن من لم يقيم الصلاة ولم يؤت الزكاة فليس بمؤمن. وقوله ﷺ: «لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل» قيل: عن البلد، وقيل: عن المكان، والمراد أن تنتقل إن لم يمكن التغيير.

وفي الترمذي عن حذيفة<sup>(١)</sup> عنه ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم» إلى غير ذلك مما يدل على الوجوب قطعاً.

ثم إن المصنف أطلق القول بالوجوب، وهو تابع للمتقدمين من المعتزلة فإنهم أطلقوا، وأما المتأخرين كابن أبي عمير وأبي هاشم وطبقتهم فإنهم فصلوا، فجعلوا الأمر بالواجب واجباً، والأمر بالمندوب مندوباً، قالوا: لأنه لا يزيد حال الأمر على حال المأمور به، فإذا جاز للمأمور أن يترك المندوب جاز للأمر أن يترك الأمر به، فأما المنكر فلا ينقسم؛ لأنه قسم واحد، وهو ما يستحق عليه العقاب فيجب فيه النهي إذا تكاملت الشروط الآتية، وإنما يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند من قال

(١) حذيفة: هو حذيفة بن اليمان، صحابي من الطبقة الثالثة في الفقه والحديث.

بالوجوب (إذا تكاملت شروطهما)، وشروطهما خمسة:

الأول: أن يعلم الذي يأمر بمعروف وينهى عن منكر أن الذي يأمر به معروف والذي ينهى عنه منكر، وإلا لم يأمن أن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، ولأن الأمر لزيد مثلاً بأن يفعل كذا لوجوبه يتضمن الإخبار بالوجوب إذ لو لم يكن حاكماً بوجوبه لما أمر به، وكذلك في النهي فإذا كان الخير لا يحسن إلا مع العلم فكذلك ما يتضمنه وينهى عنه.

فإن قيل: أليس مما يجب علينا فيه الأمر والنهي المسائل الاجتهادية التي طرقها الظن، بحيث أنا نظن وجوبها أو قبحها ولا نعلم ذلك، ومقتضى ما ذكرتم وشرطتم أن يرتفع باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها لكونها غير معلومة؟

والجواب: أن الظن إنما هو في مسائلها فمتى دلت عليها الأدلة الظنية بعد توفيق الاجتهاد حقه صار الوجوب والقبح فيها معلومين؛ لأن دليل وجوب العمل بما أدى إليه الاجتهاد قطعي، ونظيره ما إذا حصلت قرينة تقتضي الظن بأن الطعام مسموم، وأن في سلوك هذه الطريق لحوق ضرر، فإنه حينئذ يعلم بالعقل علماً يقيناً وجوب تجنب الطعام.

مركز تحقيق كتب أمير المؤمنين

والطريق الثاني: أن يعلم أو يغلب على ظنه أن لأمره أو نهيه تأثيراً، فإن علم أو غلب على ظنه العكس فاتفقوا على أنه لا يجب، واختلفوا في الحسن، فقيل: يحسن وينزل منزلة استدعاء الغير إلى الدين وإقامة الحجة عليه وإزالة علتة، وقيل: يصير عبثاً فيقبح، وفرق هؤلاء بينه وبين الاستدعاء إلى الدين وأمر الله ونهيه من علم أنه لا يأتمر ولا ينتهي، أن الغرض بهذا الاستدعاء وأمر الله ونهيه يعود إلى التمكّن والإعلام وإزاحة العلة، وذلك حاصل، وإن علم أنه لا يقبل والغرض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقع المعروف وأن لا يقع المنكر، فإذا علم أو غلب في ظنه زوال الغرض صار الأمر والنهي عبثاً، فيزول الحسن مع زوال الوجوب، وأما إذا لم يعلم ولم يغلب

على ظنه أحد الأمرين بل جَوَزَ أن يكون لأمره تأثير وألا يكون فهنا يجب، وقيل: يحسن فقط، وفي كلام الإمام القاسم - رحمه الله - ما يقضي بعدم اشتراط هذا الشرط؛ لأنه قال ما معناه: إن كان المأمور والمنهي جاهلين بأن المأمور به معروف، والمنهي عنه منكر وجب، وإن لم يظن التأثير، لأن إبلاغ الشرائع واجب إجماعاً، وإن كانا عارفين أيضاً وجب لمثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةٌ إِلَيْنَا رَبُّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤] والمعذرة لا تكون إلا عما لا يجب.

وأيضاً فلا معنى لقول من قال: بأنه إذا لم يعلم أو يظن التأثير يصير عبثاً إذ أقل درجاته أن يكون من الذكر الحسن، وقد صدر ذلك من الأنبياء - عليهم السلام -، وذلك معروف لمن نظر بعين البصيرة فأين العبث؟ ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فإنه أمر الناس جميعاً بالإيمان به والاتباع له، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] فقد دعا إلى الإيمان من علم أنه لا يؤمن، والله أعلم.

والثالث: أن يعلم أو يغلب في ظنه أنه إن لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر أدى إلى تضييعهما، نحو أن يرى آلات الملاهي المعتادة موضوعة والخمر حاضرة، أو من يريد الشرب واقفاً أو يشاهد الغير يصلي مع أن وقت الصلاة قد آذن بالزوال؛ لأن الغرض وقوع المعروف وألا يقع المنكر، فمتى علم أو غلب في ظنه زوال هذا الغرض لم يجب ولم يحسن إلا لغرض الوعظ والتذكير والزجر عن مثله، والأمر بالتوبة عنه ونحو ذلك.

الرابع: أن لا يخاف تلفاً ينزل به أو باطرافه أو بماله المححف أو الضرر به أو حبسه الطويل الذي يختار الضرر عنده والضرر حدوث علة أو زيادتها أو استمرارها، قيل: أو بقاء برئها، فإن خاف ذلك لم يجب عليه اتفاقاً؛ لأن عند خوف التلف نحو قد أباح له

الشرع ما هو منكراً، كأكل الميتة وشرب الخمر، والأخذ من مال الغير مالا يضر به، والتلفظ بكلمة الكفر ونحو ذلك، فبالأولى أن يباح له ترك الأمر والنهي عند مثل هذا الخوف.

واختلفوا في الحسن إذا زال الوجوب فقليل: لا يحسن، وقيل: يحسن مطلقاً؛ لأن فيه إعزازاً للدين، وقيل: يحسن إن صدر ممن يقتدى به وله رتبة عالية، وإن أدى إلى هلاكه وعلى ذلك جرت أحوال كثير من أئمتنا عليهم السلام نحو الحسين<sup>(١)</sup> وزيد<sup>(٢)</sup> ومن هذا حذوهم، فإنهم قاتلوا في قلة من الأنصار حتى أدى إلى الاستئصال، فصاروا قدوة للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بعدهم، وليس صدوره ممن هو كذلك كصدوره ممن لا ينظر إليه ولا يلتفت عليه.

الخامس: ألا يعلم أو يغلب في ظنه أن أمره ونهيه يؤدي إلى تضييع واجب آخر أو فعل منكراً آخر، فإن علم أو غلب في ظنه ذلك فقليل: لا يجب ولا يحسن؛ لأن في ذلك مفسدة، ولأنه يكون في حكم المعين على المنكر الآخر، وقيل: لا يسقط بل يحسن؛ لأنه يكون بذلك مقيماً للحجة مُعزاً للدين، ومتى فعل المأمور أو المنهي منكراً آخر أو ضيّع معروفاً فإنما أتى من قبل نفسه، ولا يوصف الأمر الناهي بأنه معين له؛ لأن الإعانة تحتاج إلى الإرادة.

وفي الأساس: أنها إذا حصلت القدرة والتأثير للآمر الناهي، وظن الانتقال إلى منكراً

---

(١) هو الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب السبط الأصغر، أبوه الوصي، وحده النبي، وأمه فاطمة البتول، وحده عذبة بنت حويلد، أول من آمن بالله وصدقت بكلماته - صلوات الله عليه - م وسلامه، استشهد - عليه السلام - وله ست وخمسون سنة، قتله أجداد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في كربلاء يوم الجمعة عاشوراء محرم سنة إحدى وستين.

(٢) هو الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - مؤسس المذهب الريدي، ولد عام ٧٦ هـ تقريباً، ودعى في محرم ١٢٢ هـ وهو فاتح باب الجهاد، وبه تسمى المذهب الريدي، واستشهد لخمس بقين من محرم عام ١٢٢ هـ.

غيره لا يرخص في الترك؛ لأن هذا منكر معلوم، وذلك مُحَوَّزٌ مَظْنُونٌ، وهو كلام جيد.

وقيل: إن كان ما يقع من المنكر أو يضيع من الواجب أعظم مما نهى عنه أو أمر به لم يحسن؛ لأن الغرض بالأمر والنهي تقليل المنكر وتكثير المعروف وإلا حسن ووجب.

وقيل: إن كان المنكر الذي يحصل عند الأمر والنهي ضرراً يرجع إلى الأمر الناهي لم يزل الحسن، وإن زال الوجوب، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِمْ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ [النساء: ١٧] ومعلوم أن الذي يصيبه منكر آخر، وأيضاً فمعلوم من حال الأنبياء أنهم كانوا يأمرُونَ بالمعروف وينهون عن المنكر، مع علمهم بأنه يلحقهم من المضار في ذلك ما يقضي بكفر فاعله أو فسقه.

وذهب القاسم -عليه السلام- إلى أن ما يلحق الأمر الناهي من نحو تشريد وانتهاك مال غير مُرْخَصٍ في الترك لما ذكر من الآية، ولقوله: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»<sup>(١)</sup>.

وكالجهاد (والذي يدل على ذلك) المذهب الذي هو وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أدلة كثيرة منها، (قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾) [آل عمران: ١٠٤] فأمر الله تعالى أن يكون فينا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فأوجبه على الكافة؛ إذ الأمر يقتضي الوجوب على الأرجح، وقال تعالى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] ونحن متعبدون بشرع من قبلنا ما لم ينسخ على الأصح، وما ثبت في النهي عن المنكر ثبت في الأمر بالمعروف، وقال تعالى:

(١) في الجامع الصغير ورمز لمن أخرجه قال: عن أبي سعيد الخدري (حم، طب، هب) أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب عن أبي أمامة (حم، ن، هب) أحمد والنسائي والبيهقي في الشعب.



﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [النوبة: ٧١] فحكم سبحانه على المؤمنين بكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوصافهم، فمفهومه أن من لم يكن كذلك فليس بمؤمن، كما أن من لم يقم الصلاة ولم يوت الزكاة فليس بمؤمن، (وقوله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً جائراً لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم»)، وفي الترمذي عن حذيفة عنه ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»<sup>(١)</sup> إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على الوجوب قطعاً، (ثبت بذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان).

(١) في الجامع الصغير للسيوطي بلفظ: ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شمساركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم)) ورمز لمن أخرج البزار، ط، س، عن أبي هريرة قال: وإسناده صحيح.

## (المسألة السابعة والعشرون: في إمامة علي عليه السلام)

وينبغي أن نذكر طرفاً صالحاً يشتمل على ماهية الإمامة ووجوبها، وقد قدمنا في جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فن علم الكلام وعددهما من أبوابه ما ينبغي أن يؤتى بمثله في مسألة الإمامة، وقيل: إنما جعلت باباً من أبوابه؛ لأن الإمامة خالفة النبوة، وعليها مدار كثير من أحكام الإسلام، ولهذا ذكر أصحابنا أن العلم بها جملة من فروض الأعيان وتفصيلاً من فروض الكفايات.

والإمام في اللغة: المتقدم في أمر من الأمور على وجه يقتدى به.

وفي الاصطلاح: رئاسة عامة لشخص واحد في أمور مخصوصة على وجه لا يكون فوق يده يد أخرى.

قلنا: رئاسة عامة احترازاً من الخاصة، كرئاسة الرجل على أهل بيته، والمراد بعمومها أنها تعم الأمة كافة، ولا تتعلق ببعضهم دون بعض، ولا جهة دون جهة، ولا بوقت دون وقت، وقولنا: لشخص واحد احترازاً من النبوة، فإنها قد تثبت لثنين فأكثر، والفارق بينهما هو الإجماع، قيل: ووجهه أن مع كثرة الأئمة يحصل التشاجر والمنازعة، ولهذا قال عمر يوم السقيفة جواباً للأنصار وقد قال قائلهم: منا أمير ومنكم أمير: سيفان في غمد إذا لا يصلحان، بخلاف النبوة فلا يحصل فيها شيء من ذلك للعصمة، قيل: ولأن النبوة لطف، والألطف تختلف، فمن الجائز أن يكون اللطف في بعثة نبي واحد، وأن يكون في بعثة نيين أو ثلاثة، وقلنا: في أمور مخصوصة نحو أخذ الزكوات طوعاً وكرهاً، وتجهيز الجيوش، وإقامة الجمعيات، وحفظ بيضة الإسلام، وإقامة الحدود ونحو ذلك، وقلنا: على وجه لا يكون فوق يده يد، احترازاً ممن يتولى من جهة الإمام، فإنه يُنفذ هذه الأحكام، لكن يد الإمام فوق يده.

وقد اختلف في وجوب الإمامة، والظاهر من كلام أكثر العلماء أنها واجبة،

ويحتجون لذلك بإجماع الصحابة، حيث فزعوا إلى نصب إمام بعد رسول الله ﷺ وما ظهر من اهتمامهم بتأدية هذا الأمر الواجب حتى اشتغوا به عن تجهيز رسول الله ﷺ وقدموه عليه وآثروه بالنظر، ثم لما دنت الوفاة من أبي بكر اشتغل بذلك في مرضه وأمن النظر فيه، وعقد الولاية لمن يقوم بالأمر بعده، ثم لما اتفقت قضية عمر جعل المهم له النظر في ذلك، مع معاناته لأسباب الموت وصير الأمر شوري، ولما اتفق مهلك عثمان انثال الناس إلى علي -عليه السلام- وبادروا إلى بيعته من غير تراخ ولا مهلة، وفي جميع هذه الأحوال لم يسمع من دان ولا عال أن قال: لا حاجة بنا إلى هذا ونحن في غنية عنه، أو قال: ليس هذا بلارم لنا ولا واجب علينا، ولا أنكر أحد قول أبي بكر: لا بد لهذا الأمر ممن ينظمه ويقوم به، ولا قول غيره في هذا المعنى، وههنا الدليل هو أقوى ما يعتمد عليه في وجوب الإمامة، واستقواه كثير من العلماء، وبنوا على أنه دليل قطعي برهاني، وقد أورد عليه إشكالات، وأجيب بجوابات تركها الجميع اختصاراً.

ومما استدلل به على الوجوب، قوله تعالى: ﴿فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ونحوه، وقد أجمعت الأمة على أن الحدود لا يقيمها إلا الإمام أو من ناب من قبله؛ لقوله ﷺ: «(أربعة إلى الولاة: الحدود والجمعات والفيء والصدقات)» فيجب نصب الإمام؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به ولم يرد الأمر مشروطاً به فإنه يجب تحصيله، وهذا الدليل هو الذي اعتمده القاسم بن إبراهيم -عليه السلام- وأبو علي وأبو هاشم في بعض كتبهما، ولسنا بصدد تصحيح المقالة في ذلك حتى نورد ما ورد عليه من الإشكالات وحلها، إذ ليس ذلك إلا كالمقدمة لما قال المصنف من أن (الإمام بعد رسول الله ﷺ بلا فصل علي بن أبي طالب)، وهذا كلام أهل البيت -عليهم السلام- وأكثر الزيدية ما عدا الصالحية منهم، فذهبت هي والمعتزلة وسائر الفرق إلى أنه أبو بكر، وتتفق الزيدية جميعاً على أن علياً هو الأفضل والأولى بالإمامة، (والدليل) لنا (على ذلك) النص والوصاية، والتفضيل والعصمة، وإجماع أهل البيت -عليهم

السلام-، وكفى به دليلاً، أما النص فـ(قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾) [المائدة: ٥٥] <sup>(١)</sup> ووجه الاستدلال بهذه الآية أنها نزلت في علي -عليه السلام- فقط، فقد أثبت الله له فيها الولاية كما أثبتها لنفسه ولرسوله، والولاية هنا هي ملك التصرف، وذلك معنى الإمامة.

وهذه الدلالة تنبني على ثلاثة أصول: أحدها: أنها نزلت في علي، والثاني: أن المراد بها الرئيس الذي يلي التصرف، والثالث: أن ذلك هو معنى الإمامة.

أما الأصل الأول: وهو أن الآية نزلت في علي -عليه السلام- وصفة ذلك ما روي أن سائلاً كان يسأل في مسجد الرسول ﷺ والناس بين قائم وراكع فلم يعطه أحد شيئاً، فقال: اللهم إني أشهدك أنني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم أعط شيئاً، وعلي في حال الركوع فأشار إليه بخاتمه فنزعه وأخذ السائل، ونزلت الآية على النبي ﷺ فخرج والناس بين قائم وراكع، فبصر بالسائل فقال: «هل أعطاك أحد شيئاً؟» قال: نعم، وأشار إلى علي -عليه السلام- فتلى ﷺ الآية.

وعن سلمة بن كهيل <sup>(٢)</sup> قال: تصدق علي بخاتمه فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾

(١) سبب نزول الآية الكريمة: أخرجه الهادي -عليه السلام- في الأحكام، وفي تفسير آل محمد في جوابات جمع آل الرسول القاسم بن إبراهيم، وأخرجه المؤيد بالله في أماليه بسنده إلى كامل أهل البيت -عليهم السلام- عبدالله بن الحسن -عليه السلام-، وأخرجه أيضاً من طريق الناصر للحق الحسن بن علي ووالده علي بن الحسن سنداً إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق، وأخرجه صاحب جامع آل محمد عن الإمام الحسن بن يحيى بن الحسين -عليهم السلام-، وأخرجه الإمام المرشد بالله -عليه السلام- في أماليه بسنده إلى ابن عباس، ورواه الإمام المرشد بالله بسنده إلى أبي هريرة، ورواه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل عن أبي جعفر الباقر، وعن ابن عباس من ثلاث طرق، وعن جابر بن عبدالله وعن عبدالله بن أوفى، وعن أبي سعيد وعن أبي هريرة، وروى ذلك الحلبي في كتاب العمدة عن ابن عباس وعن أبي جعفر.

(٢) سلمة بن كهيل: ممن تابع الإمام زيد بن علي -عليه السلام- واشتهر بالرواية عنه وعداده في الزيدية وثقات محدثي الشيعة، أخرج له من أمنا الهادي -عليه السلام- والخمسة، ومن غيرهم البخاري ومسلم والأربعة، ووثقه أحمد والمعطي وعمره بالشيعة، أفاده سيدي عبدالله بن الإمام -رحمه الله-.

الآية...، رواه ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup>، وروى نحوه ابن جرير<sup>(٢)</sup> عن مجاهد<sup>(٣)</sup> وعن الضحاك<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس<sup>(٥)</sup> قال: كان علي -عليه السلام- قائماً يصلي فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية...، رواه ابن مردويه<sup>(٦)</sup>، والضحاك لم يلق ابن عباس، وأخرج نحوه الرواية الأولى وفيها قال: فكبر رسول الله ﷺ عند ذلك وهو يقول: ﴿وَمَنْ يَقُولُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ حِزَبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ [البقرة: ١٧٦] إلى غير ذلك من الروايات، ومما يدل على نزولها إجماع أهل البيت، رواه القرشي.

وفي الأساس: لوقوع التواتر بذلك من المفسرين وأهل التواريخ وإطباق العترة وشيعتهم على ذلك، انتهى.

وما يدل على ذلك، أن الله تعالى وصفه بصفة لم توجد في غيره، وهو إيتاء الزكاة حال الركوع.

قال الإمام المنصور بالله: وبالاتفاق أن أحداً من لدن آدم -عليه السلام- لم يؤت الزكاة حال الركوع إلا علي -عليه السلام-، وقد ثبت بالنقل الظاهر المشهور في

(١) ابن أبي حاتم: هو عبد الرحمن بن إدريس بن أبي حاتم الحنظلي، منسوب إلى دار حنظلة بالري، ولد سنة ٢٤٠هـ، أخذ على أبي حاتم وأبي زرعة، ورحل إلى الشام ومصر وأصبهان، روى عن جماعة كثيرة، وروى عنه أئمة، وله تصانيف: التفسير، وعلل الحديث، والمسند وغيرها، توفي في الحزم سنة ٣٢٧هـ.

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر المؤرخ المفسر، ولد في أمل طبرستان عام ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد وتوفي بها، من مؤلفاته: جامع البيان في تفسير القرآن، والمسند، توفي عام ٣١٠هـ.

(٣) مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي مولى أمة ملكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، ثقة من العاشرة، مات سنة إحدى أو اثنين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث ومائة من الأسماء. هـ. تقريب.

(٤) هو أبو القاسم بن مزاحم البلخي المفسر، كان مودباً للصبيان، توفي سنة ١٠٥هـ.

(٥) ابن عباس: هو عبدالله بن عباس بن عبد مناف وابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكان يسمى البحر والبحر لسعة علمه، لازم أمير المؤمنين -عليه السلام- وانقطع إليه، ومقاماته مشهورة وفضله وعلمه كذلك، توفي سنة ثمان وستين بالطائف -رحمه الله-.

(٦) ابن مردويه:

كتب أكثر المفسرين وأهل التواريخ، ومن طرق أهل البيت -عليهم السلام- ورواياتهم أنها نزلت في علي، وأنه تصدق بخاتمه وهو راكم، انتهى كلام المنصور.

قال الإمام الناطق بالحق أبو طالب<sup>(١)</sup> -عليه السلام- في كتاب زيادات شرح الأصول ما هذا لفظه: ومنها النقل المتواتر القاطع للعذر أن الآية نزلت في علي -عليه السلام-.

وقال في محاسن الأزهار للفقير حميد -رحمه الله تعالى- بإسناده، قال: قال عمر بن الخطاب: أخرجت مالي صدقة فتصدقت بها عني وأنا راكم أربع وعشرون مرة علي أن ينزل في مثل ما نزل في علي -عليه السلام- فما نزل، وإذا ثبت أنها نزلت في علي -عليه السلام- لما ذكر من الإجماع ومن النقل المتواتر لم يكن لما أورد من التشكيك ثمرة فلا حاجة لنا إليه.

وأما الأصل الثاني: وهو أن المراد بالولي في الآية الرئيس الذي يلي التصرف، فالذي يدل على ذلك أن هذه اللفظة وإن كانت مشتركة بين المود والناصر والأولى والرئيس الذي يلي التصرف، فقد صار الغالب عليها يعرف الاستعمال الرئيس؛ لأنها متى أطلقت ف قيل: فلان ولي القوم سبق إلى الفهم أنه رئيسهم الذي يلي التصرف، وعلى هذا ورد قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٢٤].

وعلى الجملة فذكر الولاية بمعنى الرئاسة في اللغة أكثر من أن يحصر، وكلمة ولي

(١) هو الإمام يحيى بن الحسين بن محمد بن هارون البطحاقي الهاشمي الحسيني، الإمام أبو طالب الناطق بالحق أحو المودة بالله كانا شمسي العترة وقمري الأسرة، ولأبي طالب من المصنفات: المحرر في أصول الفقه، (مجلسدان) وكتاب جامع الأدلة في أصول الفقه أيضاً، وفي الكلام: كتاب الدعامة في الإمامة، وقد طبع بعنوان: نصرة مذهب الريدة، ونسبه محققه الدكتور: ناجي حسن إلى الصاحب بن عباد، وهو خطأ وقع فيه المحقق، وكتاب مبادئ الأدلة، وفي الفقه: التحرير وشرحه، وهو اثني عشر مجلداً، والذكر، وكتاب الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، وغيرها كالأمال، مولده -عليه السلام-: سنة ٣٤١هـ، وبويع له بعد موت أخيه سنة ٤١١هـ، وتوفي سنة ٤٢٤هـ عن ثوب وثمانين سنة.

وإن كانت مشركة كما ذكرتم ولم تسلموا، سبق الرئاسة إلى الأفهام، فإنه يجب حملها على كل معانيها الغير الممتعة على قاعدة أئمتنا والجمهور مدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وهي من الله معظم الرحمة، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار.

ومما يوضح أن المراد بالولي الوالى للتصرف في أمورهم: أن الله تعالى أخبر أنه ولينا، وإنما أراد بذلك أنه المالك للتصرف علينا، ثم عطف رسوله فأثبت له من ذلك ما أثبت لنفسه من ملك التصرف على المؤمنين، ثم ثلث بأمر المؤمنين، فوجب أن يثبت له مثل ذلك ليصح معنى العطف في الكلام، كما أن القائل إذا قال: رأيت زيدا وعمراً أفساد رؤية عمرو كما يقضى أول الكلام برؤية زيد.

قال الإمام عز الدين -عليه السلام-: هكذا قرره الفقيه حميد، وهو كلام جيد.

وأما الأصل الثالث: وهو أن ذلك معنى الإمامة: فالذي يدل على ذلك أنا لانعني بالإمامة إلا الرئاسة في أمور مخصوصة، وهذا واضح والذي يمكن الخصم أن يقول هاهنا أن الآية وإن اقتضت ثبوت ولاية له -عليه السلام-، فإنها اقتضت ولاية مطلقة وتصرفاً مطلقاً، وليس تقتضي الولاية في الأمور المخصوصة، وليس يلزم من ثبوت الولاية المطلقة ثبوت الولاية المقيدة كما لا يلزم من ثبوت الولاية في التكاح ثبوت الولاية التي هي الإمامة، ويمكن الجواب: أنها إذا اقتضت ثبوت الولاية المطلقة لشخص معين اقتضى ذلك عموم الولاية في كل شيء، إلا ما خصه الدليل والإجماع، وقد أخرج ما عدا هذه الأمور المخصوصة بالإمامة، حتى لولا الإجماع لثبت له الولاية في أمور المسلمين كلها دنيوها.

(و) أما الدليل الثاني مما يدل على إمامته -عليه السلام-: (ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي<sup>(١)</sup> يوم غدير خم) لما قفل من حجة الوداع ونزل بواد

(١) صواب العبارة: يا علي.

يقال له: حم فيه غدير ماء ينسب إليه، فنزل ﷺ على ذلك الغدير وكُسِحَ له ﷺ تحت دوحات حوله وأمر منادياً فنادى: الصلاة جامعة، ثم أخذ بيدي علي -عليه السلام- وقال: ((أستم تعلمون أنني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه))<sup>(١)</sup> وفي رواية: «وانصر من نصره واخذل من أخذله».

ووجه الاستدلال بهذا الخبر أنه ﷺ أثبت لعلي -عليه السلام- كونه مولى لجميع المؤمنين كما أن الله تعالى مولاهم ورسوله، والمولى هنا هو السيد الرئيس الذي يلي التصرف، وهذه الدلالة تنبئ على ثلاثة أصول: أحدها: في بيان صحة الخبر، وثانيها: في أن المولى هاهنا هو الرئيس الذي يلي التصرف، وثالثها: أن ذلك هو معنى الإمامة.

أما الأصل الأول، وهو الذي يدل على صحته: فالذي يدل على ذلك وجهان: أحدهما: إجماع العترة الطاهرة، وحكم المجمع على صحته، وأن النبي ﷺ قاله، حكم المتواتر في نقله.

والثاني: النقل الظاهر المشتهر المتلقى بالقبول المخرج في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث، عن بعضهم أن طرق هذا الحديث خمس وسبعون طريقاً.

(١) قال مولانا أبو الحسن: محمد الدين بن محمد -حفظه الله- في اللوامع (ح/١ ص ٣٨): وقد رواه الإمام الحميني بن الإمام عليهما السلام - في المداية عن ثمانية وثلاثين صحابياً بأسمائهم غير الجملة كلها من غير طرق أهل البيت -عليهم السلام-.

وقال السيد الخاطب محمد بن إبراهيم الوزير: إن خبر الغدير يروى بمائة وثلاث وخمسين طريقاً. انتهى.  
وأما عن عورهم (أعني أئمة آل) فقد أجمع على تواتره حفاظ جميع الطوائف وقامت به وبأمانته حجة الله على كل موافق ومخالف، وقد قال الذهبي: بهرتني طرقه فقطعت بوقوعه، وعده السيوسي في الأحاديث المتواترة، وقال الغزالي في سر العالمين: لكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الحماة على خطبة يوم الغدير، وذكر الحديث، واعترف ابن حجر في صواعقه أنه رواه ثلاثون صحابياً، وذكره ابن حجر العسقلاني في تحريجه أحاديث الكشاف عن سبعة عشر صحابياً، وقال المقلبي في أمثاله: فإن كان هذا معلوماً وإلا فإني في الدنيا معلوم. انتهى.



وذكر الإمام المنصور بالله<sup>(١)</sup> أنه ماثور عن مائة رجل منهم العشرة، وأن بعض أهل العلم أفرد له كتاباً جعل طرقه مائة طريق وخمس طرق، قال ولا يوجد خير قط نقل بطرقٍ مثل هذه الطرق.

وقد ذكره الترمذي في جامعه من رواه زيد بن أرقم<sup>(٢)</sup> وأحمد بن حنبل<sup>(٣)</sup> عن رواية البراء بدون الزيادة: «وانصر من نصره»، وفيه فلقية عمر وقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومومنة.

قال أصحابنا: هذا الخبر متواتر، وقال المنصور بالله في الشافي: وقد تجاوز هذا حد التواتر.

وأما الأصل الثاني: وهو أن المولى هنا السيد والرئيس، فإنه أقرب إلى معنى ذلك من الولي، وقد تقدم ما قلنا فيه، ولو سلمنا أنه غير غالب فيما ذكر فقد حصل في الحال ولللفظ قرائن تدل على أن المراد ما ذكرنا، أما القرائن الحالية فهو أنه ﷺ نزل يوم الغدير نزولاً مهمٌ بأمر عظيم، وليس إلا للإخبار بأن علياً -عليه السلام- مولى لمن هو ﷺ مولاه، وذلك إنما يكون إذا أراد الرئاسة وولاية التصرف؛ لأن ما عدا هذا من المعاني مما يعنى بطلانه، نحو كونه معتقاً لمن اعتق، وكونه ابن عم للناس، ومنه ما هو داخل تحت ما ذكرنا من كونه ناصراً لهم وموذاً؛ لأن الأخبار بمثل ذلك لا تحتل تعظيم الموقف والنزول في غير وقته وموضعه إن احتمل أن يدخل تحت كونه رئيساً لهم يلي التصرف؛ لأن رئيس القوم أشد الناس عناية في نصرتهم ومودتهم، وجلب النفع إليهم معروف عند أهل كل زمان.

(١) المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان.

(٢) هو زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري الصحابي، غزى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سبع عشر غزوة، وشهد صفين مع علي -عليه السلام-، ومات بالكوفة، له في كتب الحديث ٧٠ حديثاً.

(٣) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، حافظ حجة إمام جليل عند أهل الحديث، ثبت في روايته، لا يتطرق إليه وهم في روايته، روى عن أمم، وروى عنه حلائق، خرج له من أئمتنا المولود بالله وأبو طالب والمرشد بالله -عليهم السلام-، ومن غيرهم البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم.

وأما القرينة اللفظية: فإنه عليه السلام لما قرر ثبوت ولايته بقوله: «ألسنت أولى بكم من أنفسكم» والمراد وجوب طاعته على الأمة مطابقة لما أثبتته الله مسن الولاية بقوله: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» [الأحراب: ٦٠] عقب ذلك بقوله: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه» أي من كنت أولى به فعلي أولى به، ليتطابق الكلام وينحصر في سلك الانتظام، (وإذا ثبت ذلك فهو صريح) على إمامته -عليه السلام- بما ذكرنا.

وأما الأصل الثالث: وهو أن ذلك معنى الإمامة: فالذي يدل على ذلك أنا لا نعي بالإمامة إلا الرئاسة في هذه الأمور المخصوصة، وهذا ظاهر.

(ومما يدل على ذلك) من السنة أيضاً (ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال له: «أنت مفي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>) ووجه الاستدلال بهذا الخبر أنه أثبت لعلي -عليه السلام- جميع منازل هارون من موسى إلا النبوة، (ولا شك أن منازل هارون أنه خليفته على قومه) كما قال الله تعالى: «اخلفني في قومي وأصلح» [الأعراف: ١٤٢] وهذه الدلالة تنبئ على أربعة أصول: أحدها: أن الخبر صحيح، وثانيها: في أنه صلى الله عليه وآله أثبت لعلي جميع المنازل إلا النبوة، وثالثها: أن من جملة المنازل الخلافة، ورابعها: أن ذلك هو معنى الإمامة.

أما الأصل الأول في صحته: فعليها دليلان: أحدهما: إجماع العترة الطاهرة، والثاني: النقل الظاهر المشهور.

(١) قال مولانا وشيخنا أبو الحسين محمد الدين بن محمد -حفظه الله- في اللوامع (ج ١ ص ٩٨ وما بعدها): وأما سائر الفرق فقال المنصور بالله عبد الله بن حمزة -عليهم السلام-: فيه من الكتب المشهورة عند المحققين أربعون إسناداً من غير رواية الشيعة وأهل البيت. انتهى.  
وقال الحاكم: هذا حديث المنزل الذي كان شيخنا أبو حارم الحافظ يقول: مرسته بخمسة آلاف [إسناد]. انتهى.

ورواه ابن أبي شيبه، ورواه في مسند أحمد بعشرة أسانيد، ومسلم فوق سبع طرق، ورواه البخاري ومسلم في صحيحهما وأبو داود والسنائي والترمذي وابن ماجة والحاكم صاحب المستدرک والطبراني والخطيب والمقيلي والشمرازي وابن النجار.

قال المنصور بالله: فيه من الكتب المشهورة الصحيحة عند المخالفين أربعون إسناداً من غير رواية أهل البيت وغيرهم من الشيعة، ثم قال بعد ذلك: والخير مما علم ضرورة، قال في العمدة<sup>(١)</sup>: واختلف علماؤنا -رحمهم الله- في العلم به، فمنهم من ادعى كونه معلوماً بالاضطرار، وأجراه مجرى الخبر الأول في كونه متواتراً، ومنهم من قضى بصحته، ولم يقض بكونه متواتراً، بل سلك في صحته طريقة الإجماع، وهذا بعد الاتفاق على كونه معلوم الصحة، قال في تعليق الشرح: والإجماع على صحته يقع به العلم بأنه عليه السلام، وإن لم يحصل من طريق التواتر.

قال الإمام عز الدين: قلت: ومن صرح بتواتره العلامة المحدث يوسف بن عبد البر<sup>(٢)</sup>، فإنه ذكر الحديث في مختصره لسيرة ابن هشام<sup>(٣)</sup>، قال: والآثار بذلك متواترة صحاح، انتهى.

قلت: ومن صرح بتواتره، والإجماع على صحته. الإمام الأعظم القاسم بن محمد -عليه السلام-.

وأما الأصل الثاني: وهو أن النبي عليه السلام أثبت لعلي -عليه السلام- جميع منازل هارون من موسى إلا النبوة: فذلك ينبي على أن لفظ المنزلة تقتضي الاستغراق؛ إذ الاستثناء معيار العموم بدليل أنه لو قال: لا نبي بعدي ولا أحد يلي من الأمر ما وليت، ولا يخلفني على أمي لصح.

وأما الأصل الثالث: وهو أن من منازل هارون من موسى الخلافة: فإن منازل هارون من موسى كثيرة، وهي موجودة في علي -عليه السلام- منها الأخوة، ومنها

(١) كتاب في أصول الدين للفتية حميد الشهيد لا يزال مخطوطاً.

(٢) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب مجاهد، ورحل رحلات طويلة، وتوفي بشاطبة عام ٤٦٣ هـ من مؤلفاته: الاستيعاب.

(٣) هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، مؤرخ، ولد ومثاً بالبصرة، توفي بمصر عام ٢١٣ هـ من مؤلفاته: السيرة النبوية.

الموازرة وشد الأزر، ومنها أن هارون كان أحب الناس إلى موسى.

أما الأخوة: فدليلها ما هو معلوم مشهور من مواخاة النبي ﷺ بين كل اثنين من الصحابة وجعل علياً أخاه.

وأما الموازرة وشد الأزر: فلأنه كان أحسن الناس بلاءً في الإسلام، وهذا مما لا شك فيه.

وأما المحبة: فلحديث الطير وغيره، ولما بينهما من حصول أسباب المحبة من الموازرة والأخوة والنسب والمصاهرة، ومن جملة منازل هارون من موسى الخلافة كما قال تعالى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢] فيجب ثبوت جميع هذه المنازل إلا النبوة، ومن جعلتها الخلافة.

وأما ما يُعترضُ به هذا الخبر من أنه إنما كان يثبت ذلك لعلي -عليه السلام- لو كان عاش هارون بعد موسى كما عاش علي -عليه السلام- بعد محمد ﷺ فلأننا نقول: لو عاش هارون بعد موسى لكان خليفة بالاتفاق، فكذلك علي -عليه السلام-، ولا يشترط الاتفاق في العمر، كما لا يشترط الاتفاق في الطول والقصر ونحو ذلك.

وأيضاً قوله ﷺ: «إلا أنه لا نبي بعدي» إشارة إلى أن علياً يفارق هارون في هذه الجملة التي هي كونه يعيش بعده ﷺ.

وأما ما يقال: أنه كان يلزم أن يشارك علي النبي ﷺ في مدة حياته في الأمور المذكورة ومن جعلتها الخلافة.

فالجواب: أن تلك المشاركة في الولاية مخصوصة بالإجماع، على أنه ليس لأحد تصرف في حياته.

أما الأصل الرابع: وهو أن ذلك معنى الإمامة: فالذي يدل على ذلك أنه لا فرق في عرف الشرع بين الإمامة والخلافة.

(ثبت ذلك لعلّي - عَلَيْهِ السَّلَامُ -) أي كونه خليفة رسول الله ﷺ (ودل على أنه الإمام بعد رسول الله ﷺ بلا فصل).

تنبيه: اعلم: أن هذه النصوص الثلاثة هي التي يعتمد عليها أهل البيت -عليهم السلام- لظهورها ولتأديتها إلى العلم، فأما ما يوصل إلى الظن من النصوص فهي كثيرة، كحديث الطائر وهو ما رواه أنس بن مالك<sup>(١)</sup> قال: أهدى لرسول الله ﷺ طائر مشوي فقال: «اللهم انني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فجاء علي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فدق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا علي، فقلت: إن النبي علي حاجة، حتى فعل ذلك ثلاثاً، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل، فقال له النبي ﷺ: ما حبسك؟ فقال: قد جئت ثلاث مرات، فقال ﷺ لأنس: ما حملك على ذلك؟ قال: كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي»<sup>(٢)</sup> وفي رواية أن النبي ﷺ لما سمع صوت علي قال: «وَالَيْ» أي وكما أنه أحب خلق الله إليه فهو أحبهم إلي، وأنه لما اعتذر أنس بذلك قال: إن الرجل ليحب قومه. قال الإمام عز الدين: واعلم أن هذا الخبر من أجل الفضائل وأبلغها، وأدلها على فضل علي -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

وقال الفقيه حميد: لأنه -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لا يكون أحبهم عند الله إلا وهو أكثرهم ثواباً وأكرمهم عنده تعالى، وهو عندهم خير صحيح مشهور، ومن أخرجه الترمذي في

(١) هو أنس بن مالك الغضيري الحجازي أبو حمزة صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، مولده بالمدينة، مات بالبصرة عام ٩٢ هـ.

(٢) رواه أئمة العترة، منهم الإمام المصنوع بالله ﷺ أخرجه في الشافي، والأمير الحسين في البيهقي وقال: هذا الخبر مما احتج به أمير المؤمنين -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يوم الشورى بمحضر من الصحابة ولم يُكر عليه منهم مكر، قال في المحيط: وروى عن أنس، وسعد بن أبي وقاص، وأبي ذر، وأبي رافع مولى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وسفيانة، وابن عمر، وابن عباس، وهو متلقى بالقول من جل الصحابة، ١ هـ. ورواه ابن المغازلي عن ابن عباس وعن سفيانة وعن علي من حديث الماشدة، وعن أنس من طرق أكثر من عشر، ورواه الكشي عن أنس من ثلاث طرق، وقال: رواه المحاملي كذلك، أي عن سفيانة، وذكر أن الحاكم أخرجه عن ستة وثلاثين نفساً وذكر عددهم في ماله.

٢٢٠٢١٠٠  
٢٢٠٢١٠٠

جامعه، قال في كتاب (العواصم): ولقد صنف الحافظ العلامة محمد بن جرير الطبري كتاباً في طريق حديث الطبر في فضائل علي -عليه السلام- لما سمع رجلاً يقول: إنه ضعيف.

قال الذهبي<sup>(١)</sup>: وقفت على هذا الكتاب فاندعشت لكثرة ما فيه من الطرق.

ومن ذلك خبر النجم، وهو ما روي عنه عليه السلام أنه لما انقض كوكب ذات ليلة فقال: «انظروا إلى هذا الكوكب فمن انقض في داره فهو الخليفة من بعدي»<sup>(٢)</sup> فنظروا فإذا قد انقض في منزل علي -عليه السلام- رواه في أنوار اليقين وغيرها، وهو مما يُعزى إلى أنس.

وخبر الأثرجة: وهو ما رواه في الحقائق عن عبدالله قال: دخل علي يوم قتل عمرو بن عبدود<sup>(٣)</sup> على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيفه يقطر دماً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم اتحف علياً بتحفة لم تتحف بها أحداً قبله، ولا تتحف بها أحداً بعده» قال: فهبط جبريل -عليه السلام- على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأثرجة فإذا مكتوب فيها: «هدية من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب».

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، أبو عبدالله حافظ مؤرخ عبق، ترك سامي الأصل، مولده ووفاته بدمشق، رحل إلى القاهرة، تصانيفه كبيرة وكثيرة تقارب المائة، منها: دول الإسلام، توفي عام ٧٤٨هـ.

(٢) أخرجه الحاكم المحسبي في شواهد النزول بسند عن أنس قال: انقض كوكب على عهد رسول الله فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «انظروا إلى هذا الكوكب فمن انقض في داره فهو الخليفة من بعدي» فنظرنا فإذا هو انقض في منزل علي بن أبي طالب، فقال جماعة من الناس: قد هوى في حب علي، فأمر الله: «والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» وقد أخرجه الحاكم بطريق عن أنس من طريقين، وعن ابن عباس قال: ورواه عن ابن عباس زين العابدين والضحاك وربيعة السعدي، قال: وفي الباب عن عائشة وربيعة الأسلمي وساق الطرق إليهما، والحمودي في تعليقه وتخرجه حكى أن ابن المازلي أخرجه في المآقب وساق سنده، قال: ورواه مع الحديث التالي في الباب (١٤١) من غاية المرام (ص ٤٠٩)، ورواه أيضاً ابن بطريق في العمدة (ص ٤٤) الخ

(٣) عمرو بن عبدود العامري من بني لؤي من قريش، أدرك الإسلام ولم يسلم. وعاش إلى أن كانت رقعة الخندق محضرها وقد تجاوز الثمانين فقتله الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- عام ٥٥هـ.

وكذلك خير المواجهة والأخبار الدالة على عصمته، والخير المروي في قصة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشراء: ٢١٤] وهو ما رواه الحاكم <sup>(١)</sup> في التهذيب عن الشراء بن عازب <sup>(٢)</sup> لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع بني عبد المطلب <sup>(٣)</sup>، وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل يأكل المسنة ويشرب العس، فأمر النبي ﷺ علياً فأتى برجل شاة ثم قال: «ادنوا بسم الله، فذنى القوم عشرة عشرة فأكلوا وشبعوا، ثم دعى بقعب من لبن فشرب منه ثم قال: اشربوا بسم الله، فشربوا حتى رواء، فبدرهم أبو هب، وقال: هذا ما سحركم به الرجل يومئذ ولم يتكلم، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك الطعام والشراب، ثم أئذهم ودعاهم إلى الإيمان، وقال: من يؤازرني ويواخيئي ويكون وليي ووصيي بعدي وخيفتي في أهلي؟ فسكت القوم، فأعادها ثلاثاً والقوم سكوت، وعلي يقول كل مرة: أنا، فقال في المرة الثالثة: أنت، فقاموا يقولون لأبي

(١) الحاكم الجشمي: قال في الطبقات: الحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الإمام الحاكم، وحشم قرية من قرى حراسان، حفيهاً وكان معتزلياً في الأصول، وانتقل إلى مذهب الريدية، قال القاضي: هو الشيخ استاذ العلامة الرعشري إلى قوله: كان إماماً عالماً مصفاً صادقاً بالحق، له جملة كتب منها: كتاب الإمامة على مذهب الريدية، وكتاب العيون وشرحه، وتزويده الأنبياء والأئمة، وتبسة العاطلين في فضائل العلويين، والتأثير والمؤثر، والانتصار لسادات المهاجرين والأنصار، وتحكيم العقول في الأصول، وله التفسير المسروح بالفارسية، والتفسير الموجز بالفارسية، إلى أن قال: والسفينة المشهورة، وتفسير القرآن المسمى بالتهذيب (تسعة أجزاء) إلى أن قال: إلى غير ذلك، إلى سيف وأربعين مصفاً، وله رسالة تسمى رسالة الشيخ أبي مرة إلى إخوانه المحسرة وكانت السب في قتله، وعمره إحدى وستون سنة، وله كتاب جلاء الأبصار في الأخبار.

(٢) هو الشراء بن عازب بن الحارث الحررجي أبو عمارة، قائد صحابي من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً وغرى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ١٥ غزوة، توفي عام ٧١ هـ.

(٣) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مات وعمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ست سنوات عاشها في كنفه، وكان يحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويحمله، وله في مولده أشعار كثيرة رواها المرشد بالله في أماله الإنسية وغيره، وأوصى بابي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أبي طالب، وشرف عبد المطلب في قومه وعظم خطره فيهم وولي السقاية والرفادة، وله مناقب حمدة، وفي حديث أمالي أبي طالب أن عبد المطلب من لحم من أحرأه الله في الإسلام... إلخ، وفيها: أن عبد المطلب يبعث يوم القيامة أمة وحده، قال: وكان لا يستقسم بالأرلام ولا بعدد الأصنام، وقال: أما على دين إبراهيم.

طالب: أطع ابنك فقد أمره عليك»<sup>(١)</sup>

إلى غير ذلك من الأخبار المتظافرة التي روتها سادة العترة الطاهرة وشيعتهم البحور الزاهرة، ويكفيك أيها المنصف إجماع العترة الطاهرة على تقدمه في الإمامة، فإن من المعلوم الذي لا شك فيه أنه والخسنيين وفاطمة<sup>(٢)</sup> معتقدون أنه صاحب الولاية والتقدم، وإنما غلب على أمره وعشيتي -عليه السلام- من شق عصي الإسلام، وانتشار النظام، وعرف أنه لو قام بالأمر الواجب لحصلت المفسدة العظيمة الذي لا شك في ترك المصلحة عندها، وبذلك على ذلك كلاماته -عليه السلام- وتجرماته، فإذا عرفت أن ذلك معتقد العترة الطاهرة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» بطريق الحصر، حتى قالت أم سلمة<sup>(٣)</sup>: «وأنا معهم، فقال: «إني لك على خير»<sup>(٤)</sup> والحديث من الأحاديث المشهورة التي تنفتحها العترة بالقبول، وقال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله حبل ممدود، فرغب في كتاب الله ثم

---

(١) رواه الإمام الحجة المنصور بالله عبد الله بن حمزة -عليهما السلام- في الشافي بسنده إلى عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- ما عن علي -عليه السلام- أنه قال لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وساق الراوية إلى قوله: ثم دعاهم: فقال: إن الله عز وجل أمرني أن أنذر عشيرتكم الأقربين... إلخ)).

وروى هذا الخبر محمد بن سليمان الكوفي عن علي -عليه السلام- بسنده إليه إلى قوله: وروى هذا بسنده إلى ابن عباس وفيه: ((أيكم يؤازري علي أن يكون أعني ووصي ووارثي وحليفتي ووريثي))، رواه الحاكم في المستدرك عن مسعدة العبدي أنه سئل عن علي -عليه السلام-: بما ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال: (جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) وسرد حديث الإنذار، وفيه: ((ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، وذكره السيد الشيرازي في اللآلئ المضيئة. انتهى. لوائح/ ١١٤.

(٢) فاطمة -عليها السلام-: هي فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، توفيت بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) بستة أشهر، وعمرها ثمان وعشرون سنة، وقيل: دون ذلك.

(٣) هي هذيل المعروفة بأبي أمية بن المغيرة القرشية المحرومية، من زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، واحتفلوا في سنة وفاتها وكانت وفاتها بالمدينة.

(٤) أخرجه مالك وأحمد بن حنبل ومسلم وأبو داود والترمذي والدارقطني والحاكم وأبو الشيخ والطبراني والبيهقي وعبد بن حميد وابن جرير وابن حزم وابن عساکر وابن مردويه وابن المنذر وعامة المحدثين، وأهل البيت بأسانيدهم إلى أمير المؤمنين والحسن السبط وفاطمة الزهراء وابن عباس وعبد الله بن جعفر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وسعد بن أبي وقاص وغيرهم.



قال: وعزتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» وغيره من الأحاديث الدالة على أنهم السفينة، مما تواتر نقله بنص أهل التحقيق، عرفت أن إجماعهم على أنه الإمام حجة قاطعة.

وأيضاً فإنه لو لم يكن هناك نص على إمامته -عليه السلام-، فإن إمامة المفضول مع وجود الأفضل باطلة على ما ذلك مقرر بأدلته، ولا شك في أنه أفضل الصحابة، فإن له -عليه السلام- فضيلة القرابة، وفضيلة النجابة، وفضيلة طيب المنشأ، وفضيلة السبق، فإنه أول من آمن بالنبي ﷺ من الرجال، وقد قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الزمر: ١٠] وفضيلة العلم، وفضيلة الصبر، وغير ذلك من الفضائل التي بها يفتخر المفتخرون ويتفاوت المتفاوتون، ولو عددنا فضائله -عليه السلام- لاستغرقت مجلدات، فلو أتينا على شيء منها في هذا المختصر لكان فيه إيهاً بالمحصار، ثم إنه لا يحتاج النهار، إلى دليل ولكن الشمس لا تبدوا لعين الأرمدة، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ [التوبة: ٣٢].

إذا عرفت ذلك فإنه ينبغي الاقتداء بالسلف الأبرار في ترك السب جهاراً لمن تقدمه، ومراعاة حق النبي المختار في أصحابه الذين لهم سوابق في الإسلام كبار، وقد حكى القول بخطأهم قطعاً عن العزة السيد الجليل إبراهيم بن محمد<sup>(١)</sup> في فصوله، وحكاها في حواشيها عن القاضي عبدالله بن الحسن الدواري وغيره.

فأما سبهم فقد قال: (م بالله) -عليه السلام- كما حكاه عنه في الحواشي: لا أعلم أحداً من العزة سب الصحابة، ومن قال بذلك فقد كذب، انتهى.

قلت: فإن كثيراً من الآل متوقف كما حكى عن الحسين وعبدالله بن الحسن

(١) هو السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير، مولده: في رمضان سنة ٨٣٤هـ، وقرأ بصنعاء وصعدة على يد جماعة من الشيوخ المبرزين في الأصول والعربية والفقه والحديث والتفسير حتى صار المرجع في عصره، وله مؤلفات كثيرة في جميع العلوم، توفي ليلة الأحد ثاني شهر جمادي الآخرة سنة ٩١٤هـ ودفن في حربة الروضة بصعاء.

وأولاده الأربعة، قيل: وهو الأشهر عن زيد بن علي وابنيه يحيى<sup>(١)</sup> وعيسى<sup>(٢)</sup> وأحمد بن عيسى والصادق<sup>(٣)</sup> والباقر<sup>(٤)</sup>، والأشهر أنه رأي أهل البيت وشيعتهم، فهو لاء لم يسمع منهم سب ولا ترضية ولا تبريء مع التحريم، ذكره في الشريدة<sup>(٥)</sup>، وهو الذي ذكره أبو الحسين وأصحابه المتأخرون، لكنه قال في الهداية<sup>(٦)</sup>: ويخطأ من تقدم عليه؛ لمخالفته القطعي بلا تكفير له ولا تفسيق على المختار ويرضى عنه استصحاباً لحاله الأول، ومن توقف فلا تنبأس معصيته، فأما السب حرام، وقد عزر يحيى -عليه السلام- من فعله بصنعاء. انتهى.

قلت: وقد تأول كلام الهادي -عليه السلام- في الأحكام أبو مضر<sup>(٧)</sup> والكفي<sup>(٨)</sup>.

- (١) هو الإمام يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام-، قام -عليه السلام- بعد أبيه، قتل وعمره ٢٨ سنة في أيام فرعون هذه الأمة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي بعد صلاة الجمعة في شهر رمضان سنة ١٢٦ هـ.
- (٢) هو الإمام مؤتم الأشبال أبو عمدة عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام-، توفي بعد دعائه إلى الله في أيام محمد بن أبي الدوائق العباسي.
- (٣) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي الوصي -صلوات الله عليهم وسلامه-، توفي -عليه السلام- سنة ١٤٨ هـ.
- (٤) الباقر: الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام-، توفي سنة ١١٧ هـ وعمره ٦٣ سنة.
- (٥) هو كتاب في أصول الدين مسمى بموهرة الفواصش وشريدة القفاص شرح خلاصة الرصاص للقاضي العلامة عبد الله بن الحسن الدواري.
- (٦) هي كتاب في الفقه تأليف السيد صارم الدين الوزير.
- (٧) قال القاضي: هو أبو مضر مفرح الزيدية وحافظ مذهبهم ومقرر قواعدهم العالم الذي لا يبارى ولا يشك في بلوغه النبوة، ولا يبارى عمدة المذهب في العراق واليمن هـ.
- (٨) الشيخ الإمام الحافظ الرحلة، قطب الدين أبو العباس، ويقال: أبو الحسن أحمد بن أبي الحسن الكفي، قال في الطبقات: كان من أساطين الأدلة، وهو الغاية في حفظ المذهب، أخذ على جهالة الشيوخ، منهم علامة الدنيا جابر الله محمود الزعشمري، والإمام أبو الفوارس توران شاه بن حيدر وشاه، والشيخ الإمام زيد بن الحسن البيهقي، والشيخ عبد المجيد الاسترأبادي، والإمام أبو علي الحسن بن علي بن أبي طالب الفرزادي، والشيخ أحمد بن الحسن الفرزادي، والشيخ الرشيد عبد المجيد الرازي، والشيخ عبد الوهاب بن أبي العلاء بن نصرويه الساماني، والشيخ أحمد بن الحسين بابا الأذوني، والسيد أبو طالب عبد العظيم بن نصر بن مهدي الحسيني، والشيخ الأديب أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد المظفر بن عبد الرحيم الحمدوني، وأبو الملا زيد بن منصور الراوندي، وإسماعيل بن زيد الحبائي، وأخذ عنه القاضي الإمام شمس الدين جعفر بن أحمد بن عبد السلام والشريف أبو عبد الله المهول وغيرهما، ووفاته -رحمه الله- في عشر السنين وخمس مائة.

وأما ما احتجّت به المعتزلة وغيرهم على إمامة أبي بكر<sup>(١)</sup> فالكلام في هذا الباب هو مع من يقول بإمامته من جهة العقد والاختيار، فأما من يقول بإمامته من جهة نص جلي، فالكلام معه لغو لا ثمرة فيه، إذ لا يشتبه على أحد فساد ذلك، وكذلك من يقول بإمامته من جهة نص خفي، فإنه مما لا مزية في إبطاله، فلا نشغل بإيراد الكلام عليه.

وقد أوردت المعتزلة وغيرهم ثلاث طرق: الطريقة الأولى: إن قالوا الأمر الذي يعلم به كون الإمام إماماً لا تعدوا الإمامة النص والعقد والدعوة والغلبة والإرث وغير ذلك مما اختلف في إثبات الإمامة، وكلها ظاهر السقوط، وإنما الذي يُشْتَبَه فيه الحال هو النص الخفي والعقد والاختيار.

قالوا: وقد بطل النص الخفي فبقي العقد والاختيار، وإلا فخرج الحق عن أيدي الأمة. والجواب: أن نقول دون إبطال النصوص خرق القتاد، ونحن قد ذكرنا النصوص ووجه دلالتها فلا نعيده.

الطريقة الثانية: فيما استدلوا به على أن العقد والاختيار هو الطريق إلى الإمامة من الإجماعات. فنقول: إن وقع الإجماع على الاختيار فأما يدل على حسنه، فأما أنه الطريق إلى الإمامة فلا.

الطريقة الثالثة: هي أن قالوا: قد وقع الإجماع على إمامة أبي بكر، فإنه وإن وقع اختلاف يوم البيعة فقد زال من بعد واستقر الإجماع، وسكت الكل سكوت رضى، وتابع عليّ أبا بكر ووالا وقاتل معه، وصلى خلفه وأخذ نصيبه من الفبيء، وقرر أحكامه حين صار الأمر إليه، ونحو ذلك مما يدل على أن سكوته سكوت رضى.

---

(١) أبو بكر عبدالله بن أبي قحافة التيمي، أول الخلفاء، ولد بمكة وأسلم بها، ومدة توليه الخلافة سنان وثلاثة أشهر، عهد إلى عمر بالخلافة، قاتل أهل الردة، فتحت في أيامه الشام وجزء من العراق، وتسوي بالمدينة وأحباره كثيرة.

والجواب: أنا لا نسلم وقوع الإجماع قط، وعلى ناقله الدليل بالإسناد المتواتر، وكيف الإجماع مع ما رواه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان من تقاعد من تقاعد عن بيعته، وكان ممن تقاعد عن بيعته اثني عشر رجلاً، ستة من المهاجرين وستة من الأنصار، فكان من المهاجرين: خالد بن سعيد<sup>(١)</sup> وأبو ذر<sup>(٢)</sup> وعمصار<sup>(٣)</sup> والمقداد<sup>(٤)</sup> وسلمان الفارسي<sup>(٥)</sup> وأبي بن كعب<sup>(٦)</sup>، وكان من الأنصار: قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي<sup>(٧)</sup> وأبو الهيثم بن التيهان<sup>(٨)</sup> وسهل بن حنيف<sup>(٩)</sup> وأبو بردة الأسلمي<sup>(١٠)</sup> وخزيمة بن ثابت<sup>(١١)</sup> ذو الشهادتين وأبو أيوب الأنصاري<sup>(١٢)</sup>، وكان منهم ما كان من

- (١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، صحابي من الولاة الغزاة قديم الإسلام، توفي سنة ١٤هـ.
- (٢) أبو ذر: هو جندب بن حادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار بن كنانة بن حزيمة، أبو ذر صحابي من كبارهم قديم الإسلام، توفي عام ٣٢هـ بالريذة.
- (٣) هو عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي القحطاني، هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا والجمل وصفين، وقتل بصفين مع الإمام علي -عليه السلام- عام ٣٧هـ.
- (٤) المقداد: هو المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد أو أبو عمرو، صحابي من الأبطال شهد بدرًا وغيرها، وسكن المدينة وتوفي على مقربة منها عام ٣٣هـ فحمل إليها ودفن فيها.
- (٥) هو سلمان الفارسي، صحابي من مقدميهم، أصله من محوس أصهات عاش عمرًا طويلًا، وقالوا: نشأ في قرية جيان، توفي عام ٣٦هـ.
- (٦) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار من الخزرج، أبو المنذر صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حبرًا من أعيان اليهود، ولما أسلم كان من كتاب الوحي، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مات بالمدينة عام ٢١هـ.
- (٧) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني صحابي من دهاء العرب، توفي بالمدينة عام ٦٠هـ.
- (٨) هو مالك بن التيهان الأنصاري الأوسي، أبو الهيثم صحابي شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وتوفي في خلافة عمر سنة ٢٠هـ وقبل شهد صفين مع علي -عليه السلام- وقتل بها سنة ٣٧هـ، وكان شاعرًا.
- (٩) هو سهل بن حنيف بن وهب الأنصاري الأوسي أبو سعد، صحابي شهد بدرًا ونبت يوم أحد وشهد المشاهد كلها، شهد مع علي -عليه السلام- صفين فتوفي بالكوفة فعلى عليه علي -عليه السلام-.
- (١٠) هو فضلة بن الحارث الأسلمي أبو بردة، صحابي غلبت عليه كنيته واحتلف في اسمه، كان من سكان المدينة ثم البصرة، وشهد مع علي -عليه السلام- قتال أهل البهروان ومات بخراسان عام ٦٥هـ.
- (١١) هو خزيمة بن ثابت بن النفاكه بن ثعلبة الأنصاري أبو عمار، صحابي من أشرف الأوس في الجاهلية والإسلام، شهد مع علي -عليه السلام- صفين فقتل فيها عام ٣٧هـ.
- (١٢) أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن كلب بن ثعلبة من بني النجار، صحابي شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والحنلق وسائر المشاهد كان يسكن المدينة فرحل إلى الشام، توفي عام ٥٢هـ.

إنكار إمامة أبي بكر وإيراد النصوص الدالة على إمامة علي -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

وقد روى كثير من أئمتنا -عليهم السلام- أن علياً لم يبايع أبا بكر قط، وإنما أظهر الطاعة فقط، قالوا: والظاهر في كلامه ومناشدته يوم الشورى وخطبته الشقشقية ونحو ذلك استمرار الإنكار.

والمشهور في السير أن سعد بن عباد<sup>(١)</sup> مات ولم يبايع، وهو يكفي في حرم الإجماع لو سلم مبايعة غيره، علي أن كثيراً ممن بايع إنما بايع تقية كما اشتهر عن عمر وغيره من سله للسيوف في شوارع المدينة هو ومن معه حتى كف الصاع بالحق، وفيما ذكر من تحرم علي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- واشتهر عنه من ذلك كفاية في الرد عما سبق. إلى هاهنا أنهى حديثي وأنتهي فما شئت من خير وما شئت فافعل.

---

(١) هو سعد بن عباد بن دليم الأنصاري الخزرجي أبو ثابت صحابي من أهل المدينة شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وشهد أحداً والحدق وغيرهما، ومات ببحران عام ١٤ هـ.

## (المسألة الثامنة والعشرون: أن الإمام بعد علي عليه السلام الحسن)

واعلم: أنه لا شبهة في إمامته -عليه السلام- لاجتماع الطرق المعتمدة عند الأمة على اختلافهم فيه من النص والدعوة والعقد والاختيار والخروج، فلا ينبغي أن يعترض لأحد شك في إمامته.

وخالف الخوارج في إمامته -عليه السلام-، وقد روي عنهم تكفيره لدخوله مع أبيه في التحكيم.

قال الفقيه حميد في العمدة: وزعم بعض الطغام أن الحسن إمام إلى أن صالح معاوية<sup>(١)</sup> ثم صارت الإمامة إلى معاوية بعد ذلك وانحلت إمامته، (و) نوضح (الدليل على ذلك) الذي هو إمامته -عليه السلام- من طريق النص (أن النبي ﷺ قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما»)<sup>(٢)</sup> وهذا تصريح بإمامتهما، قيل: وتصريح بإمامة أبيهما، وقيل: بل إشارة إلى إمامته -عليه السلام-.

واعلم: أن هذا الخبر مما ادعى بعضهم تواتره، وبعضهم ادعى الإجماع على صحته، والإجماع على صحته يقوم مقام تواتره في القطع بأن النبي ﷺ قاله.

قال الفقيه حميد: وإجماع العترة على صحته، قال: وقد ظهر بين الأمة ولم يعلم من أحد منهم إنكاره، بل هم بين مستدل به على إمامتهما، وبين متأول له على صلاحيتهما، ولو لم يكن صحيحاً لظهر من بعضهم إنكاره، ووجه الاستدلال به

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان صحر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي مؤسس الدولة الأموية في الشام، هلك عام ٦٠ هـ.

(٢) حديث متفق بالقبول صد آل محمد -عليهم السلام- وشيعتهم، وقد أجمعوا على صحته كما ذكره في لوامع الأنوار (ج ٣ ص ٣٧) وأخرجه الأمير الحسين -عليه السلام- في شفاء الأوام ٤٩٧/٣، والطبرسي في مجمع البيان (ج ٤ ص ٣١١) وعمل الشرائع للصدوق (ج ١ ص ٢٤٨) وساق سندَه إلى الحسن بن علي -عليهما السلام-.

ظاهر، فإنه عليه السلام نص على إمامتهما نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل، ولا يلزم ثبوت إمامتهما في زمن النبي صلى الله عليه وآله أو زمن علي أو إمامة الحسين في وقت إمامة الحسن - عَلَيْهِ السَّلَام -؛ لأن الإجماع قد أخرج هذه الأوقات، ويبقى ما عداها داخلاً في الدلالة، ولذلك قال المصنف: (ولا شك أن إمامة الحسن قبل الحسين بالإجماع).

ومن الأدلة على إمامتهما أنهما أفضل الخلق بعد أبيهما، وقد تبين بالدليل أن الأفضل أولى بالإمامة من غيره، والقول بأن الحسن كان أفضل هو المختار، ودليله إجماع العروة على ذلك.

وأما الرد على من رعم أن الحسن كان إماماً، ثم كفر بالتحكيم، أو بتسليم الأمر إلى معاوية، وعلى الفرقة التي زعمت أن معاوية هو الإمام؛ لأن الحسن سلم الأمر طائعاً، وهؤلاء هم المتسمون بأهل الجماعة لقولهم: بأن العام الذي سلم فيه الأمر لمعاوية على زعمهم عام الجماعة، وفرقة زعمت أنه الإمام وطريق الإمامة الغلبة عندهم.

فأما الكلام على الفرقتين اللتين كفرتا فهو ما نردُّ به على الخوارج في التحكيم وبما ذهب إليه الأكثر من المسلمين إلى أن صلح الحسن - عَلَيْهِ السَّلَام - كان صواباً لا تخطئة فيه ولا تأنيب؛ لأنه لم يصالح إلا بعد أن خذله أعوانه وخشي على نفسه وأهل بيته الاستئصال، ولا شك حينئذ في صواب السكون والمهذنة، وأنه الأصلح والأرجح لدفع المضار والأمن من الاستئصال، ولا نزاع أنه يجوز للإمام المهادنة لمصلحة كما جاز لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يصالح الكفار عام الحديبية مع انطواء الصلح أنه يرد عليهم من جاءه من المسلمين، ولا يردون إليه أحداً، ولم يصالح الحسن عن ترك الإمامة ولا تحلى عنها، بل على أمانه وأصحابه وارتفاع الحرب، وأنه لا يجري عقد لأحد حتى يموت معاوية، ولكن معاوية غدر ولم يقع منه، وفاء، فاحتال في السعة ليزيد<sup>(١)</sup> قبل أن يموت.

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، هلك عام ٦٤ هـ.

يدلك على ما قلناه أيضاً أن الإمامة لا تبطل بعد أن ثبتت واستقرت إلا بساخرتلال شرط، أو حدث من الإمام يوجب الفسق، ولا شك أن إمامة الحسن -عليه السلام- ثابته قبل الصلح قطعاً، ولم يخرج بالصلح عن شيء من الشروط ولا كان ذلك منه معصية لما سبق فضلاً عن أن يكون فسقاً.

وأما الكلام على القائلين بإمامة معاوية لعنه الله لأجل الغلبة، أو لأجل أن الحسن سلم الأمر إليه، فالجج على ذلك متسعة، لكنه يكفينا في ذلك أنه باع بلا إشكال لحره لعلي -عليه السلام- ولحديث عمار المتواتر والمتفق بالقبول، فإذا كان باعياً كان ظالماً، وهذا مملاً نزاع فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ولو قلنا: إن معاوية إمام، لكان الخير الذي أخبر الله به كاذباً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

تنبيه: قد جعل المصنف إمامة احسن والحسين مسألتين، وهما مسألة واحدة، كما يجعله الكثير من السلف إذ الدليل فيهما واحد فقال:



## (المسألة التاسعة والعشرون: أن الإمام بعد الحسن أخوه الحسين عليهما السلام)

لما ذكر من الإجماع على الترتيب بعد ورود الدليل الدال على إمامتهما.

والذي يخالف في إمامة الحسين فرقة من النواصب زعموا أن يزيد لعنه الله الإمام؛ لأن معاوية نص عليه، وأن الحسين -عليه السلام- كان خارجياً، (والدليل) الذي يدل (على ذلك) وعلى بطلان ما قالوه ما قدمناه من النص المقطوع من قوله عليه السلام: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا...» الحديث).

وأيضاً ونقول: متى ثبت لكم أن معاوية إمام حتى يصح نصه على غيره، ولو لم نستدل على بطلان إمامة معاوية إلا بالنص على من ارتكب المحرمات على أنواعهم— وظهر كفره ظهور الشمس، وذلك يزيد اللعين المستبيح لبضعة سيد المرسلين لكفى بذلك دليلاً، على أنه ليس من أئمة الهدى، بل من سلاطين الجور والاعتداء، وأيضاً فكيف تصح إمامة يزيد مع علوه في الفسق وظهور حظه في الكفر؟ ولو لم يكن من كفره إلا قتله لأولاد رسول الله، وانتهاك حرمة وحرمة، وإباحة مدينته، وقتل أصحابه فيها وأبنائهم، وربط خيله في مسجده وشدها إلى سواريه تول وتروث فيه، وقد قال عليه السلام في حق الحسين: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم»<sup>(١)</sup> فما ظنك بمن حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ويكفيك دليلاً على كفره، ما ظهر من التواريخ عند

---

(١) أخرجه ابن عساكر في ترجمة الحسين من تاريخ دمشق بتحقيق المحمدي عن زيد بن أرقم قال المحمدي: والحديث رواه ابن حبان في صحيحه (ج ٢) وساق سعد ابن حبان عن صبيح مولى أم سلمة عن زيد بن أرقم، قال: ورواه ابن ماجة القزويني في الحديث (١٤٥) من سننه (ج ١ ص ٥٢) وفي ط (ص ٦٥) وساق سننه إلى السدي عن زيد بن أرقم، قال المحمدي: ورواه عنه في الباب (٧) في الحديث (١٥) من السط الثاني من فرالد السمعطين، قال المحمدي: ورواه الحاكم في باب مناقب أهل البيت من المستدرک (ج ٢ ص ١٢٩) وساق سننه إلى زيد بن أرقم قال: ورواه الخوارزمي بسنده، قال: ورواه الزمدي إلخ، ما ساقه المحمدي من تخريجه للحديث في ترجمة الحسين -عليه السلام- (ص ١٠٠) وما بعدها.

الظهور الذي لا يخفى من إنشاده عقيب فعلة الحرة، وقتله من قتل من أولاد المهاجرين والأنصار ما لفظه:

ليت أشياخي يبسلر شهلوا جزع الخرج من وقع الأسل  
فأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا شلل  
فجزيناهم يندر مثلها وأقمنا ميل بدر فاعتدل  
لست من عتبة إن لم أتقسم من بني أحمد ما كان فعل

وهذه الأبيات لابن الزبيري<sup>(١)</sup> لكنه زاد فيها الخبيث.  
قال الفقيه حميد: ولا خلاف بين الأمة في أن ذلك كفر.

---

(١) ابن الزبيري: قرشي شاعر، كان هجاء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولأصحابه حتى كان فتح مكة وهرب، ثم رجع وأسلم واعتذر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقصيدة قال في أولها:

يا عمر من حملت على أوصالها عيانة سرح اليدين غشوم  
إني لاعتذر إليك من الذي أنشدت إذ أنا في الضلال أهوم  
أيام تأمرني بأسوأ عطية سهم وتأمرني به مخزوم  
فاليوم آمن بالنبي محمد قلبي ومحيطي هذه محسروم

والله أعلم بحاله وبخاتمته.

## (المسألة الثلاثون): في بيان من يستحق الإمامة

فالذي يذهب إليه كثير من أهل البيت إلا من ذهب مذهب الإمامية منهم والجارودية<sup>(١)</sup> من الزيدية إلى (أن الإمامة بعد الحسن والحسين فيمن قام ودعى من أولادهما) فقط، ومنعته أكثر الناس مثل المعتزلة والصاحلية من الزيدية والخوارج والمجبرة، وسائر الفرق الإسلامية، وسيأتي الدليل عليهم.

وقول الشيخ: فيمن قام ودعى إشارة إلى أن القيام مع الدعوة مع جمع الشرائط الآتية هو الموجب للإمامة، وإلى ذلك ذهب أهل البيت عليهم السلام أن من قام لله داعياً إلى الحق وناهذ الظلمة، واحتمل أعباء الإمامة فقد صار بذلك إماماً بوسع أم لا. وقالت المعتزلة والصاحلية من الزيدية: بل الطريق إلى ذلك هو العقد والاختيار على أصلهم، وهذا قول (م بالله) فيما روي عنه، وقد استدل على ذلك المتقدم بإجماع العزة -عليهم السلام- على اعتبار الدعوة وعلى اعتقاد أنها هي الطريق.

أما إجماعهم على اعتبارها فذلك مما لا خلاف فيه بينهم، بل بين الأمة ما عدا أصحاب النص، ولهذا فإن كل إمام منهم لا بد أن يقوم ويشمر لاحتفال الأمر، ومنابهة الظلمة والجهاد.

وأما إجماعهم على أن ذلك هو الطريق إلى الإمامة، فلأنه هو المعروف من مذهبهم والمذكور في كتبهم والمشهور في سيرهم، ولا يلزمنا في دعوى إجماعهم عليهم السلام أكثر من هذا، كذا قيل في الاستدلال، ولا يخفى أن غاية هذا الدليل الظن بأن ذلك هو

(١) الجارودية: عرفة من الزيدية مسوون إلى أبي الحارود بن المنذر الصدي، أثبت المص عبي علي -عليه السلام- بالوصف الذي لم يوجد إلا فيه، كخصف العجل، وإبقاء الركاة حال ركوعه دون التسمية، أي أن المص م يكن على إمامته صريحاً باسمه بالوصف واضحة لم توجد إلا فيه، ومن ثم كفروا من خالف ذلك الص؛ لأنه كالنصريح باسمه، وأثبتوا الإمامة في الظن بالدعوة مع العلم والعقل وشروط غيرها إلى غير ذلك والله الموفق.

الطريق.

وذهبت الحشوية والكرامية والنواوي<sup>(١)</sup> إلى أن طريقها: الفهر والغلبة، ولا يخفى بطلان مذهبهم، فإن الإجماع قائم في وقت الصحابة إلى أن طريقها ليست الغلبة، وأن الفسقة قد يغلبون، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [نقرة: ١٧٤] وكذلك يبطل قول من قال: إن طريقها الإرث بالإجماع من الصحابة على أنه ليس بطريق، وإلا لطلبها العباس بعد النبي ﷺ، وإنما اختلق هذا المذهب ابن الراوندي تقريباً إلى خلفاء السوء.

وأما من قال: إن طريقها النص، فإنه لا يثبت فيه شيء يعتد به، ومن قال بذلك فعليه الدليل المتواتر.

ولا بد أن يكون هذا الداعي داعياً (وهو جامع لخصال الإمامة)، وهي اثنا عشر شرطاً، أهمل المصنف منها ستة وهي: أن يكون بالغاً، عاقلاً، ذكراً، حراً، وأن يكون من العترة، وألا يكون في عصره إمام سقت دعوته، وذكر ستة (وهي: العلم، والورع، والفضل والشجاعة، والسخاء، والقوة على تدبير الأمر).

أما البلوغ والعقل، فالدليل عليهما ظاهر؛ لأنه لا ولاية للصغير وغير العاقل على أنفسهما فضلاً عن غيرهما.

وأما الشرط الثالث وهي الذكورة: فلأن الأنثى يتعذر عليها التصرف في أمور الإمامة من حيث الجواز؛ لضرب الحجاب عليها وعدم إباحة الشرع لها رفع السر.

قال الفقيه حميد: ولأن المرأة مؤتلى عليها، فكيف يجوز أن تلي عقد الكاح على غيرها، وقد قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤] وقد حكى

---

(١) النووي: هو الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وثمانين، بهوى من أعمال دمشق، صنف شرح مسلم، ورياض الصالحين، والأدكار ومؤلفاته كثيرة، وكان زاهداً ومات سنة ٦٧٦ بهوى محل مولده وبلده.

أصحابنا الإجماع من الأمة على اشتراط الذكورة، وقد حكى أيضاً بعض أصحابنا الاتفاق على اشتراط البلوغ والعقل والحرية والسخاء والشجاعة والتدبير.

وأما الرابع وهو كونه حُرّاً؛ فلأنه لو كان عبداً لكان مملوك التصرف، فلا ولاية له على نفسه فأولى على غيره. والخامس والسادس مبيّتان.

وأما الستة التي ذكرها المصنف فقد بينها بقوله: (وهي العلم)؛ لأن الغرض الذي نُصِبَ له الإمام لا يتم إلا بالعلم، ثم لا يكفي أن يكون عالماً، بل لا بد أن يكون مجتهداً عند أهل العدل وغيرهم.

وذهب الغزالي والإمام يحيى: إلى أنه يصح أن يكون مقلداً.

قيل: وهما مسبوقان بالإجماع، وليس المراد بكونه مجتهداً أن يكون حافظاً لأقوال الفقهاء وكتبهم وترتيب أبوابها، مستحضراً لجميع المسائل، فإن مثل ذلك لا يكاد يتفق، ولكن لا بد من أن يتمكن من إيراد الأدلة وحمل المتشابه على المحكم، وترجيح بعض الأقوال الفقهية على بعض، ولا بد أن يكون مجوداً في علم الكلام حتى يتمكن من إرشاد الضال وحل الشبهة، ولن يتفق له ما تقدم إلا بأن يكون له علم بالأصول، فيكون عالماً بأنواع الخطاب التي هي الأمر والنهي والخبر ونحو ذلك؛ لأنها هي الأدلة، وكيفية دلالتها وكيفية الاستدلال بحقائقها، ومجازاتها وصرحاتها ومفهوماتها ومفرداتها ومشتركانها، ويعلم الخاص لثلا بلغيه، والناسخ لثلا يعمل على المنسوخ، وكذا في سائر أبواب أصول الفقه، ولا بد أن يكون مجوداً في العلم بكتاب الله، فيعلم منه ما يتعلق بالشرعيات، قيل: وهي خمسمائة آية، وقيل: أكثر، وليس من شرطها أن يحفظها، ولكن يعلم مواضعها؛ ليطلبها عند الحاجة، وأن يكون مجوداً في العلم بالسنة، فيعلم أيضاً ما يتعلق بالاجتهاديات، وكذلك يعلم أحوال الرواة، وكيفية الرواية، ووجوه الترجيح، وقيل: لا يشترط.

قال في ديباجة البحر ما لفظه: فأما علم أحوال الرواة تفصيلاً، وانتقاد أشخاصهم

جرحاً وتعديلاً فقبول المراسيل أسقطه، وإنكاره سفسطة، فإنه لما كان غاية محصوره  
التظنين، ولم يستثمر به العلم اليقين حكم فحول علماء الأصول بقبول مراسيل  
العدول، وأن رواية العالم العدل تعديل حيث لا يرى قبول المجاهيل. انتهى.

قال الإمام عز الدين: قلت بالغ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- في تسهيل الأمر وتيسيره كما بالغ  
حي السيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم<sup>(١)</sup> في تنكيده وتعسيره، وخير الأمور  
أوسطها، ولا أقل للمجتهد أن يطلع على نبذة وافية من علم الحديث وأحوال الرجال،  
وما يفتقر إليه الإسناد، ولا بد أن يكون مجوداً في علم العربية، فيعلم ما يحتاج إليه،  
كمختصر في النحو، وطرف من اللغة، والعلم بطرق المعاني والبيان، فقد عرفت بذلك  
بيان ما يحتاج إليه، وهو علم الأصوليين على خلاف في أصول الدين، لكن ينبغي  
التحقيق في أصول الدين فإنه أساس الاجتهاد، وعلم شيء من أحكام القرآن ومن  
السنة، ككتاب الشفاء، أو سنن أبي داود<sup>(٢)</sup>، وعلم العربية فهذه خمسة علوم.

وأما المنطق فممنهم من اعتبره، والأصح أنه غير محتاج إليه.

وأما الفقه فقليل: لا يحتاج أن يعلم منه إلا مسائل الإجماع القطعية لئلا يخالفها  
باجتهاده، وأما المسائل غير المجمع عليها فليس العلم بها من علوم الاجتهاد، وإنما هي  
تستنج بعلم الاجتهاد، فإنه إذا علم مسائل الإجماع وآيات الأحكام، وجملة صالحة من

---

(١) علي بن محمد أبي القاسم: ينتهي نسبه إلى الإمام بهم آل الرسول القاسم بن إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هو العالم  
الكبير، والجهيد الخطير، قرأ على إسماعيل بن إبراهيم النخعي في التفسير وغيره، وعلي ناجي بن مسعود،  
وعلي أحمد بن سليمان الأوزري في الحديث وغيرهم، وكان -رحمه الله- مقدماً سابقاً في جميع العلوم،  
بالفضائل معروف، وبخصال الكمال موصوف، له مؤلفات في التفسير منها التحرير، انتهى عنه الإمام عز الدين  
-عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وله التفسير الكبير وغيره، وله مؤلف في العربية، وهو شيخ محمد بن إبراهيم الرزير، وجرى  
بينهما وحشة سببت لتأليف رسالة من السيد، أحاب عنها محمد بن إبراهيم بالمواصم والقواصم، توفي -رحمه  
الله- سنة ٨٣٧هـ، ١هـ.

(٢) أبو داود: هو الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، ولد سنة اثنين ومائتين، وتوفي لأربع عشرة بقين من  
شوال سنة خمس وسعين ومائتين، له السنن في الحديث مشهورة ١هـ.

الأخبار مع ما تقدم أرشده ذلك إليها.

وأما الفقيه حميد فإن في كلامه ما يقضي بأنه لا بد أن يكون له معرفة في الفقه في مسائل الإجماع وغيرها، وقد ذكره غيره.

قال الإمام يحيى: ولا يلزم الإحاطة بجميع الإجماعات، بل يكفي أن لا يفتي بحكم قد وقع الإجماع على خلافه.

قال الإمام عز الدين عادت بركاته: تنبيه: اعلم أن أقوال العلماء مختلفة في تبسيط الاجتهاد وتقريبه، وتيسيره وتعميره، وكثيراً ما يذكر الأصحاب أنه يكفي في الاجتهاد قراءة كتاب من كل فن، وإن كان مختصراً، كالخلاصة في الكلام، والمجزي أو الفائق في الأصول، ومعرفة آيات الأحكام، ومعرفة كتاب من كتب الحديث كالسنن لأبي داود أو شفاء الآوام ومقدمة طاهر<sup>(١)</sup> أو ابن الحاجب<sup>(٢)</sup>، وكتاب المحمل لابن فارس في اللغة ونحو ذلك.

والتحقيق: أن مثل هذا لا يقف على تحديد، فإن أحوال القراءة وطلب العلم يختلف، فمنهم من يستثمر ويستفيد بأيسر علاج، ومنهم من لا يتم له ذلك إلا بعد التعب والنصب، وكثرة مدارس الكتب، وذلك لأن العلوم منح إلهية ومواهب اختصاصية.

(و) الثاني من الستة (الورع) ومعنى الورع: الكف عن المحرمات، والقيام بالفرائض الواجبات، واشتراطه مذهب الزيدية وجمهير العدلية وغيرهم.

قال الإمام يحيى: ولا يشترط حصول أعلى مراتب الكمال والورع والزهد، ولكن مقدار الغرض يحصل بمحاربة الكبائر، والتزهد عن الأمور المستسخرية، انتهى.

---

(١) طاهر: نحوي له المقدمة في النحو، اعتنى بشرحها كثير من العلماء، مهم الإمام يحيى بن حمزة -عليه السلام- والإمام المهدي -عليه السلام- وابن مطيل وغيرهم.

(٢) ابن الحاجب: هو عثمان بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو، جمال الدين ابن الحاجب فقيه مالكي ولد في أسنا (من صعيد مصر) عام ٥٧٠هـ ونشأ في القاهرة ومات بالأسكندرية عام ٦٤٦هـ.

وقالت الحشوية: لا يشترط ذلك؛ لأنهم لا يشترطون إلا التغلب على الأمر، لنا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] فإن المراد بالعهد الإمامة على ما يقضي به سياق الآية. قال جار الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]: أن من كان ظالماً في ذريته لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة، وإنما ينال من كان عادلاً بريئاً من الظلم... إلخ ما قاله، وقد استدل على ذلك بالإجماع أيضاً من الصحابة.

(و) الثالث (الفضل) ولا خلاف فيه، فإن الصحابة فزعوا يوم السقيفة إلى ذكر المناقب والمفاخر، فعد الأنصار فضائلهم، وحاجهم أبو بكر بتقرير امتياز المهاجرين بالفضل، واختلف ماذا أريد بالفضل، فقال (ص) بالله: ليس بشرط زائد، بل المرجع به إلى جمع الشرائط التي للإمام التي هي العلم والورع، والسخاء والشجاعة، والقوة على تدبير الأمور وسياسة الجمهور، وهو اختيار غيره أيضاً - عَلَيْهِ السَّلَام - فلا ينبغي أن يعد شرطاً مستقلاً، وقيل: المرجع به إلى الصلاح في الدين والعفة، فيكون معناه معنى الورع.

قال بعضهم: الأصح أن المراد به أن يكون له من المحافظات على الطاعات والتجنب للمكروهات ما يعتاد كثير من الصالحين، ويكون بينه وبين القبيح حاجز كما هو شيمة كثير من الصالحين من اعتياد كثير من الطاعات غير الواجبة، وتجنب كثير مما لا يُقطع بقبحه، كما قيل: إن لكل ملك حمى، وحمى الله محارمه.

قال الإمام عز الدين - عَلَيْهِ السَّلَام -: وليس المراد بالأفضل أن يكون أكثر ثواباً قطعاً، واختلف في هل يجب أن يكون أفضل أهل زمانه أولاً؟

فقلت الإمامية: يوجب ذلك وقت الصحابة وبعدهم، وقال أكثر المعتزلة والصالحية من الزيدية رواه عنهم ابن الملاحمي في الفائق: يكفي أن يكون من جملة أفاضلهم وقت الصحابة وبعدهم، واستدلوا على ذلك بأن المرجع بالفضل إلى كثرة الثواب، وذلك



مجهول. وأيضاً فمعرفة الأفضل متعذرة بعد وقت الصحابة؛ لكثرة الفضلاء وخفائهم، وأيضاً فقد جعل عمر الشورى في ستة متفاوتين في الفضل ولم ينكر عليه. ومنهم من قال: يجب أن يكون أفضل أهل زمانه في وقت الصحابة وبعدهم، وقد نسبه كثير من أصحابنا إلى الزيدية.

قيل: ومن نص على ذلك الهادي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- والقاسم والناصر<sup>(١)</sup> والمؤيد، وحجة أهل هذا القول: أن الإجماع منعقد على جواز إمامة الأفضل، ولا دليل يمدل على جواز إمامة المفضول، من كتاب ولا سنة ولا إجماع، فوجسب قصرها على الأفضل، وما سبق من الصحابة من عد الفضائل وتقرير الامتياز فيها، ويمكن أن يقال: ليس عدم الإجماع على جواز إمامة المفضول يقدح في ذلك؛ لأن الأدلة قد دلت على وجوب الإمامة وعلى أن الإمام لا بد له من شرائط، وقد حصلت في حق المفضول وافية، فعلى المانع من صحة إمامته الدليل، وأما فزع الصحابة، فإنما يؤخذ منه أن الأفضل أولى ونحن لا ننكر ذلك.

(و) الرابع (الشجاعة): والمراد أن يكون له من رباط الجأش ما يتمكن معه من تجميع الجيوش، والوقوف في الصفوف، وتعبئة العساكر وحثهم على القتال.

قال الإمام يحيى: ولا يلزم أن يكون حاصلاً في الرتبة العليا من الشجاعة.

قال الفقيه حميد: الواجب أن يعدَّ واحداً من الشجعان سواء حصل ذلك بالقتل

---

(١) الناصر الأطروش: هو الإمام الناصر للحق: الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام-، وهو الملقب بالأطروش، والملقب بالناصر الكبير، أحد أئمة الزيدية وعظماء الإسلام، كان عالماً مجتهداً، زاهداً ورعاً أديباً، عظيم القدر واسع الصدر، مولده سنة ٢٣٠، برز في العلوم وبلغ فيها مبلغاً عظيماً، ودعا إلى الله تعالى بأرض الديلم ودخل طبرستان، وأسلم على يده عالم من السلس قال السيد في مصابته:

وكان إسلام جستان على يده في ألف ألف من العباد للشجر

توفي -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بأمل في شعبان سنة ٣٠٤.

والقتال، أو بما يقوم مقامه من المواقف التي يعلم بها ثبات القلب كما روي في مواقف زيد بن علي مع هشام بن عبد الملك<sup>(١)</sup>، والذي يدل على وجوب اعتبار الشجاعة أن الأمة أجمعت على ذلك، وإجماعها حجة واجبة الاتباع.

(و) الخامس (السخاء) فلا بد أن يكون سخياً سخاءً متوسطاً، فلا يكون معه من الشح ما يمنعه من وضع الحقوق في مواضعها ويؤدي إلى البخل المؤدي إلى التقدير الذي نهى الله عنه، ولا يكون معه من الكرم ما يُضَيِّع به أموال المسلمين فيتضرر أهل الحقوق بفواتها، ويتطلب هو الشيء وقت الحاجة فلا يجده، وإنما اشترط السخاء؛ لأنه لو لم يكن سخياً لانتقض الغرض بإمامته؛ لأن من جملة ما تُراد له الإمامة أخذ الحقوق ووضعها في مستحقها، ومهما لم يكن كذلك بطل الورع، والدليل قد دل على وجوبه، قيل: ولدخوله في الورع لم يعده بعضهم شرطاً مستقلاً.

(و) السادس القوة على (تدبير الأمور) وقد فُسِّرَ ذلك بأمرين: أحدهما: السلامة من الآفات، فلا يكون أعمى ولا أصم ولا أبكم؛ لأنه إذا كان كذلك انتقض الغرض بإمامته، إذ لا يتمكن مع ذلك من ضبط الجنود وتقويم أود العساكر، والاهتداء إلى مصالحهم ونظم أمورهم وغير ذلك من مباشرة الأمور المتعلقة به، والإجماع على اعتبار ذلك فيه.

وقيل: أن يكون ذا رأي شديد وتدبير مفيد، فإن فَقْدَ السرائي الصائب، يجلب المصائب، فلا بد أن يكون معروفاً بحسن السياسة.

قال الإمام يحيى: وحاصله أن يكون ذا رأي ومكانة بتدبير الحرب والسلام ويشتد في موضع الشدة، ويلين في موضع اللين، ولا يلزم أن يكون بالغاً في العلم والأناة كل

---

(١) هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، ولد سنة ٧١، وتوفي له بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥، كان مجتهداً ظالماً، وما وقع بينه وبين الإمام زيد بن علي -عليه السلام- مشهور في التواريخ، هلك سنة ١٢٥.

الغاية، فإن هذا متعذر، ولكن يكون بحيث لا يستفزه الطيش ولا يزعجه الفشل.

ومما أهمله المصنف من الشروط أن لا يكون ذلك الخليفة مسبوقاً، بأن يكون قسداً دعا قبله صالح للإمامة، وهو مبني على ما ذهب إليه الجمهور من الزيدية والمعتزلة وغيرهم من أنه لا يصلح قيام إمامين معاً في عصر واحد، ولا قيام المتأخر منهما، وقد خالف في ذلك عباد بن سليمان<sup>(١)</sup> ومحمد بن سلام الكوفي، وعزاه في الإبانة إلى كثير من السادة والعلماء، والحجة على منع ذلك إجماع الصحابة؛ لأنهم رجعوا إلى ذلك بعد الاختلاف وقرروا ما قاله عمر: سيفان في غمد لا يصلحان، سمعه بعضهم ولم ينكره الآخرون فكان إجماعاً، واحتج على ذلك بإجماع أهل البيت عليهم السلام، فإن الظاهر منهم أنهم كانوا ينقادون لقائمهم عند قيامه ولا يظهر عنهم جواز إمامة غيره.

وأما ما ذهب إليه الناصر -عليه السلام- وهو أحد قولي (م بالله) وهو مذهب الجاحظ وعباد، فكلهم يشترطون تباعد الديار وقطع سلاطين الظلم بينهما، فقد قال الفقيه حميد في رده: لو جاز ثبوت الإمامة لإمامين إذا تباعدت الديار وجب مثله إذا تقاربت، كما في القضاة والأمراء، بل تجوز إمامة كثير في عصر واحد، وذلك فاسد، وكان يجب إذا التقي أن لا تنفسخ إمامة أحدهما؛ لأن في الإمكان رجوعه إلى مُستقرّه، ولا خلاف أن إمامة أحدهما تنفسخ عند ذلك، انتهى قول الفقيه.

قلت: ولا يخفى أن قياس البعد على القرب بعيد جداً، وكيف يقاس ما الغالب معه عدم التناقض الذي هو موجب لبطلان القول بإمامين على ما الغالب معه التناقض في الأحكام، وأيضاً فإنه قد أشار إلى ذلك عمر بقوله: في غمد، إذ مع التباعد لا يكونان في غمد، وأيضاً فلا يبعد إجماع الصدر المتأخر على القول بذلك كما لا يخفى، فإن من ببلاد الجليل والديلم ونحوهما لا يتفوه بخطأه في قيامه على من باليمن وكذلك العكس،

(١) عباد بن سليمان الصيمري من الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، له مؤلفات كثيرة، وهو من أصحاب هشام القوطي، وله كتاب الأنوار بنفسه أبو هاشم أ.هـ. طبقات المعتزلة والمبىة والأمل للمهدي -عليه السلام-.

والمانع الذي منع منه في الجهات المتقاربة منتفٍ مع التباعد.

وأما الشرط الثاني عشر: وهو أن الإمامة في أولاد الحسين.

فقد اختلف الناس في ذلك، فقال به أهل البيت -عليهم السلام- إلا من ذهب مذهب الإمامية منهم والجارودية، ومنعه أكثر الناس المعتزلة والصالحية<sup>(١)</sup> من الزيدية والخوارج والمجبرة وسائر الفرق الإسلامية.

(والدليل على ذلك) وهو القول بأن الإمامة محصورة في أولاد البطين دليلاً شرعياً: أحدهما: إجماع العزة على ذلك، وإجماعهم حجة، وإلما قلنا: إنهم أجمعوا على ذلك؛ لأنه هو الظاهر من مذهبهم المشهور في كتبهم.

لإن قيل: كيف يصح إجماعهم مع أن فيهم إمامية يدعون قصرها في أولاد الحسين؟

قلنا: إن مذهب الإمامية في العزة حادث، وقد سبق انعقاد الإجماع في الصدر الأول على جواز الإمامة في البطين، فلا يُعْتَدُ بخلاف من يخالف منهم، وذلك الإجماع ظاهر من حالهم، فإنهم كانوا يطبقون على إمامة القائم منهم حسنياً أو حسينياً، ولذلك لم يخالف أحد منهم في إمامة النفس الزكية محمد بن عبدالله<sup>(٢)</sup>، ولا في إمامة أخيه إبراهيم<sup>(٣)</sup> ولا في إمامة الفخي<sup>(٤)</sup> وكلهم من أولاد الحسن.

---

(١) الصالحية: هم أصحاب الحسن بن صالح، ذهبوا إلى أن الإمامة تصح بالعقل كقول المعتزلة، وتصح الإمامة عندهم في الفضول، ويقولون بإمامة الشيخين مع أولوية علي -عليه السلام- عندهم أ.هـ.

(٢) النفس الزكية: هو الإمام محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام- أحد رواد الثورة ضد الظلم، كان غزير العلم واسع المعرفة، وفيه شجاعة وحزم وسخاء، ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ، بايعه الكثير من سائر الانحازات الفكرية، واستشهد سنة ١٤٥هـ.

(٣) إبراهيم بن عبدالله: هو الإمام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام- شقيق النفس الزكية محمد بن عبدالله، مولده سنة ٩٥هـ، دعا بعد قتل أخيه محمد سنة ١٤٥هـ، وبايعته المعتزلة مع الزيدية مع فضلاء الأمة، استشهد في أيام أبي جعفر الدرايني في ذي الحجة من سنة دعوته وعمره خمسون سنة، وهو قتل بالحرى، وترجمته وأخباره مستوفاة في كتب التاريخ.

(٤) هو الإمام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المعروف -

قال في العمدة: وذلك معلوم ضرورة من حالهم لمن عرف الآثار وسمع الأخبار فلا معنى لمباهة الإمامية في شيء منه، وأيضاً فإن خلاف الإمامية ليس في محل النزاع، وهو عدم جواز الإمامة في غير أولاد الحسين، بل هم موافقون في ذلك، وإنما بالغوا فيه فقصروها على بعضهم، فإذا لا خلل في دعوى الإجماع على محل النزاع.

الدليل الثاني: (أن الأمة قد أجمعت على جواز الإمامة في ولد البطين بعد قيام الدليل) القاطع (على بطلان قول أصحاب النص من الإمامية) وذلك بما قدمناه من الإجماع من الصدر الأول على خلافه، وذلك لأنهم إنما عولوا على النص بأن الإمامة لا تجوز إلا في عدد مخصوص من أولاد الحسين، وإذا ثبت بطلانه بإجماع العترة السابق سقط ما بنوه عليه؛ لأن العترة وكذلك الأمة إذا افتزلت في المسألة على قولين ثم ثبت بطلان أحدهما تبين الحق في القول الآخر؛ لأنه لو بطل مع بطلان الأول لأدى إلى خروج الحق عن أيدي الأمة بموجب أنهم قد صاروا كلهم قائلين بقولين باطلين في مسألة واحدة وخروج الحق عن أيديهم يبطل كون إجماعهم حجة واجبة الاتباع، وهذا التقرير كافٍ في بطلان قولهم.

وإنما قلنا: إن الأمة أجمعت على ذلك لأن من أجازها في جميع الناس فقد أجازها فيهم؛ لأنهم خير الناس، ومن أجازها في قريش فقد أجازها فيهم؛ لأنهم خير قريش، (ولا شك أنه قد اختلف فيمن عداهم) ولم يدل دليل على جوازها فيه، فإن الخلاف لمن قال بجوازها في سائر الناس ظاهر بل لا يبعد أن يقال: إنه مخالف لإجماع الصحابة، وأما الخلاف لمن قال: بجوازها في قريش دون من عداهم، فإنه للعترة عليهم السلام، فإنهم يقولون بجوازها فيهم، وعدم جوازها في غيرهم، (و) إذا كانت الأمة قد أجمعت على ذلك فإن (إجماعهم حجة واجبة الاتباع).

فإن قيل: إن إجماع من عدا أصحاب النص ليس إجماعاً على محل النزاع، وهو

---

بالفخري ولد عام ١٢٨ هـ ودعا إلى الله تعالى في المدينة سنة ١٦٩ هـ زمن موسى العباسي الملقب بالمهادي، واستشهد بالحرم يوم العزبة سنة ١٦٩ هـ ونجح ودفن بها صلوات الله عليه.

جوازها فيهم، وعدم جوازها في غيرهم، ولم يُجمع الناس على ذلك؛ لأن المخالف يقول: بجوازها في غيرهم وفيهم، وليس لكم أن تأخذوا بعض القول وتدعوا الإجماع إذ التمسك بأقل ما قيل ليس بإجماع، ولهذا لما ادعى بعض أصحاب الشافعي الإجماع في قوله: إن دية النمي ثلث دية المسلم، واحتج لذلك بأن الأمة افترقت فقال بعضها: مثل دية المسلم، وقال البعض: مثل نصف دية، فلا بد أن يكونوا قد اتفقوا على قول الشافعي، وهو وجوب الثلث، فقال العلماء: لا يصح دعوى الإجماع على قول الشافعي؛ لأن القولين الأولين قد اشتملا على وجوب الثلث وزيادة، وقول الشافعي قد انطوى على وجوب الثلث، ونفي الزيادة، فلم يقع إجماع على هذا، كذلك هذه المسألة؛ لأن قول بعض الأمة قد انطوى على جوازها فيهم عليهم السلام، وجوازها في غيرهم، وقول البعض الآخر قد انطوى على جوازها فيهم، ونفي جوازها في غيرهم، فلم يقع إجماع على هذا القول الأخير، وإنما وقع الإجماع على بعضه؟

فالجواب: أن ظاهر احتجاج أصحابنا بقضي عما ذكرته، ولكن نسلك في الاحتجاج بهذا الدليل إلى مسلك آخر لا يبقى فيه مطعن، فنقول: إن جواز الإمامة فيهم عليهم السلام وفي غيرهم حكم شرعي لا يثبت إلا بدليل قاطع، وقد ثبت لنا بالطريقة القاطعة جوازها فيهم - عليهم السلام - لأنه لما افترق الناس على قولين: أحدهما: قول أصحاب النص، والثاني: قول بقية الأمة، وقد ثبت بالدليل القاطع بطلان قول أصحاب النص وتعين الحق في قول الباقيين، وصارت صحته قطعية وإلا خرج الحق عن أيدي الأمة، فثبت لنا جوازها فيهم - عليهم السلام - بدليل قاطع، ولم يحصل دليل قاطع مثل هذا على جوازها في غيرهم، والأصل عدم الجواز فيبقى هذا الجواز في حق غيرهم منتفياً على الأصل، وعدم الدليل في الشرعيات دليل على عدم، وإلا لجوزنا تكاليف شرعية ولا دليل عليها، وفيه عدم الشرائع وبطلان التكاليف وأنه محال.

فإن قيل: لا نُسلم أن الأصل عدم الجواز، بل الأصل بعد ثبوت وجوب الإمامة، ولزوم نصب الإمام جوازها فيمن صلح لذلك وحصل بقيامه وانتصابه الغرض المقصود منها، فإذا كان المقصود من الإمامة حفظ بيضة الإسلام وحماية سرحه أن يضام، وسد الثغور، ونظم أمور الجمهور، وإقامة الجمع والحدود، ونصب الحكّام، وقبض أموال الله وصرفها في مصارفها، وأداء فريضة الجهاد، وإجراء جميع ما ذكر على القوانين الشرعية والقواعد النبوية المرضية، فمن المعلوم أن ذلك لا يتوقف على منصب مخصوص ولا يتعذر فيمن صلح له من غير أهل البيت، فيعلم جواز إمامة من صلح لذلك منهم ومن غيرهم، ويكون ذلك هو الأصل المرجوع إليه إلا للدليل ينقل عنه، وقد ادّعى الإمام المهدي -عليه السلام- أن قيام الدليل الشرعي على وجوب الإمامة كما يدل عليه، فهو يدل على جواز نصب كل من صلح للقيام بالمقصود منها، ويحصل العلم بذلك، قرشياً كان أو غيره، هاشمياً كان أو غير هاشمي.

قال: وهذا دليل مستقل يدل على جوازها في غيرهم وينقض ما ذكره أصحابنا من أنه لا دليل عليه، وذكر أنه لا وجه للأصحاب يدفعونه به؟

والجواب والله الموفق: أن ذلك مستقيم لو لم يعتبر الشارع المنصب ويلحظ إليه، أما وقد اعتبره وانتفت إليه فلا إشكال ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ودليل اعتباره ما وقع من احتجاج الصحابة يوم السقيفة بالساقب من رسول الله ﷺ ويكونهم من قريش مع قوله ﷺ: «الأئمة من قريش...» الخبر، وإجماع العزة عليهم السلام المتقدم على قصرها فيهم عليهم السلام فيضمحل مع ذلك السؤال وينطوي ذكر الفيل والقال، فصح ما قاله المصنف (فثبت بذلك حصرها فيهم عليهم السلام دون غيرهم من الناس)، والله ولي التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قال المصنف: (وهذه ثلاثون مسألة في أصول الدين يجب على المكلف المصير فيها إلى العلم اليقين، لا يجوز لأحد من المكلفين فيها التقليد لقوله ﷺ: «من

أخذ دينه عن التفكير في آلاء الله وعن التدبر والتفهم لسنتي زالت الرواسي ولم يزل، ومن أخذ دينه عن أفواه الرجال مالت به الرجال من يمين إلى شمال وكان من دين الله على أعظم زوال».

ومما يزداد به الإيضاح ويغنيك بالإصباح عن المصباح قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [الحج: ٢٨]، وقوله: ﴿لَعَلَّمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [عمد: ١٩] وأمثالها، وإنما يحصل لك من قول من قلده الظن فقط، وإنما خص بعض العمليات إجماع الصحابة كما ذلك مقرر في مظانه، وعليها الوقوف على ما اقتضته الأدلة.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وسددنا إلى القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تدحس حجتنا، ولا تنزل أقدامنا بلطفك وتوفيقك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال المؤلف -عليه السلام-: وكان الفراغ من جمعه ضحوة يوم السبت شهر رجب الأصب من سنة تسع وأربعين وألف.

وأقول: الحمد لله، وافق الفراغ من نسخته ضحوة يوم الثلاثاء الموافق ثامن شهر محرم الحرام مفتاح سنة/ ١٤٠٨ هـ، ثمان وأربعمائة وألف بالجامع المقدس جامع الإمام عز الدين -عليه السلام- بهجرة فللة حرسها الله بالصالحين، آمين آمين.

نسأل الله الكريم العظيم أن يجعله خالصاً لوجهه، وعملاً متقبلاً مرضياً وسبباً لرضاه، آمين آمين.

بقلم راجي عفو ربه ومغفرته: عبد الرحمن بن حسين بن محمد شايم المؤيدي  
اليحيوي الحسني، ختم الله له ولوالديه بالحسن، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد وآله، آمين.



الحمد لله : وجدت بخط الإمام إبراهيم بن محمد -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ما لفظه: (كرامة: حدثني بعض الفضلاء أنه سمع في قبة الإمام أحمد بن عز الدين بيسم بعد أن أطفأ سراج المسجد، ومضى وهن من الليل دويماً مثل دوي النحل مع نور ظاهر، وكذلك الفقيه الفاضل حسن بن علي جميلة، وهو ممن لا شك في روايته أنه سمع في تلك الليلة التي سمع فيها المذكور مثل ذلك، ورأى النور في قبة الإمام أحمد وبقي وقتاً طائلاً يسمع ويرى، وكتب إبراهيم بن محمد وفقه الله) ا. هـ.

نقله المفتقر إلى عفو الله تعالى ومغفرته عبدالرحمن بن حسين شايم. وفقه الله.

ومن خط الإمام أحمد بن إبراهيم بن محمد -عَلَيْهِ السَّلَامُ- نقلت ما لفظه: (وجدت بخط حي الوالد العلامة الشامة في الآل الكرام، والعلامة صارم الدين داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن أمير المؤمنين عز الدين بن الحسن بن أمير المؤمنين -رحمه الله- ما لفظه: رأى العنبر العلامة شمس الدين أحمد بن المهدي أنني كتبت إليه كتاباً فيه عشرون بيتاً حفظها في المنام وانتبه وقد غابت عنه إلا بيتين وهما:

على أنني والحمد لله قلدوة      لطالب علم أو لمن كان سائلاً  
بيننا لنا في الحمد بيتاً مؤثلاً      وصرنا له أهلاً وركناً ومؤثلاً

فلعمري أن هذين البيتين جديران بأن يكتبوا بالعين، بل بماء العين لدلالتهما على فضيلة السيد المذكور، وفضل هذا المنصب المنيف الحيوي أعاد الله علينا من فضله بحق القرآن العظيم والنبي الكريم، وكتب الفقير إلى كرم مولاه الغني عن سواه أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين عز الدين بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن المؤيد عليهم صلوات الله... شهر رمضان المعظم أحد شهور سنة اثنين وسبعين وألف).

نقله المفتقر إلى عفو الله ومغفرته تعالى عبد الرحمن بن حسين شايم... وفقه الله.

## الفهارس

### فهرس الآيات

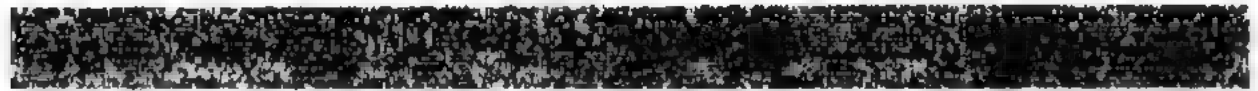


#### البقرة

١١٤	٢٣	وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
١٤١	٢٧	وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ
٧٥	٣٠	أَتَحْمِلُ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ النَّعْمَاءَ
١١٠	٩٨	وَمَلَأْنَاهُ زُرُوعًا وَجَبِيلًا وَمِكَالًا
١٧١	١٢٤	لَا يَمَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ
٩٧	١٨٥	يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ
٩٧	٢٠٥	وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْقَمَادَ
٦٣	٢٤٥	مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
٩٣	٢٦٩	وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

#### آل عمران

٨١		يَوْمَ تَعْدُّ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا
٥٢	٢٨	وَيَحْضَرُكُمْ إِلَهُ نَفْسُهُ



٢٠	٧٧	وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٩	٨١	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
١٤٧	١٠٤	وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
١٤٣	١٠٤	وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
٨٠	١١٥	وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا
٦٣	١٨١	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

### النساء

٨١	٢٣	وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
١٢٨	١١٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
١٣١ ; ١٢٨	١١٦	وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
٨١	١٢٣	مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ
١٣٦	١٤٥	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ
١٤١	١٧٣	وَيَزِيلُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ

### المائدة

١٥٠	٣٨	فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا
١٣٥	٤٤	وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ
١٥١	■ ■ ■	إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
١٥٢	٥٦	وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
١٤٧ ; ١٤٣	٧٩-٧٨	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ

### الأنعام

١٢٧	٤٠	وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ
٦٨	١٠٣	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ
١٥٧	١٤٢	اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ

١٥٧؛ ١٥٩ ١٤٢

١٤٥ ١٦٤

١١٦؛ ١٤٥ ١٨٥

أَخْلَقَنِي فِي قَوْمِي  
قَالُوا مَعْدِي إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ  
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا

## الأنفال

١٣٧ ٣-٢

١٥٣ ٣٤

٩٧ ٦٧

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ  
وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ

## التوبة

١٠٥ ٦

١٤٣؛ ١٤٨ ٧١

١٢٤ ١٠٦

وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَعَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ  
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
وَأَخْرَجُوا مُرَجُوحِينَ لَأَمْرِ اللَّهِ

## يونس

١٤٠ ٢٧

٢٠ ١٠١

مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ  
قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ

## هود

١٣١ ٣

١١٣ ١٣

١٧ ٤١

١٣٥ ١٠٦

وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ  
فَاتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ  
بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا  
فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِيهِ النَّارِ

## يوسف

٩٠	٤١	قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ
١٤٥	١٠٣	وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ

## الرعد

١٣١	٦	وَإِنَّ رَبَّكَ لَلْوَ مَغْفِرٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ
-----	---	--

## الحجر

١٠٧	٩	إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّهُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
-----	---	--

## الإسراء

٨٤	٤	وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ
٨٠	١٩	فَاُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا
٨٩ ; ٨٤	٢٣	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَاءَهُ
٧٢	٤٢	قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ
١٣٩	٧٩	عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا
٨٥	٨١	وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ
١١٤	٨٨	قُلْ لِّئِنْ احْتَمَمْتَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

## الكهف

٨١	٢٩	فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ
----	----	---

## مريم

٢١	٣٠	إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابِ
----	----	---

## طه

١٢٧	٧٤	إِنَّهُ مِنْ بَآئِ رَّبِّهِ مُعَجَّرٌ مَّا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ
٥٦	١١٠	وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا

## الأنبياء

١٠٧	٢	مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ
٧١	٢٢	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
١٤٠	٢٨	لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى

## الحج

١١٠	٥٢	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ
-----	----	--

## المؤمنون

١٣٧	٢-١	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ
٧٢	٩١	إِذَا لَدَخَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ

## الفرقان

٦٩	٤٥	أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ
----	----	--

## النمل

١٧	٣٠	إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
٨١	٩٠	هَلْ تَعْبُرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

## ٢٨ القصص

٨٤	٢٩	فَسَاءَ قَضَىٰ مُوسَى الْأَحْلَ
٥٢	٨٨	كُلُّ شَيْءٍ مَّا لَكَ إِلَّا وَجْهَهُ

## العنكبوت

٨١	١٧	وَتَحْلِقُونَ إِنَّا
٩٥	٤٠	فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ

## لقمان

١٤٧	١٧	يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ
-----	----	---

## الأحزاب

١٥٧	٦	النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ
١٥٤	٣٦	إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
١٢٤	٥١	تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ

## النجم

٩٥	٣٨	وَلَا تَرَوْا بِالرَّحْمَةِ وَزُرْ أُخْرَىٰ
----	----	---

## يس

١٠٨	٨٢	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
-----	----	--

## الزمر

٤٤	٦	يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ
٩٧	٧	وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ
١٠٨	٢٣	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا
١٣١	٥٣	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
١٣٢	٥٤	وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ

## غافر

١٤١	٧	وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
١٤٠	١٨	مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ مُّطَاعٍ
٨٥	٢٠	وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ
٩٧	٣١	وَمَا اللَّهُ بِرَبِّدٍ ظَلَمَ لِلْغَنَادِ

## فصلت

١٤٢	٣٤	مَرَّ جِبْرَائِيلُ بِرَسُولِ اللَّهِ	ادْفَعْ بِالنِّفْيِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
١٨	٥٣		سَنَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ
٨٤	١٢٩		فَقَضَاهُنَّ سَحَابًا مِّنْ سُحُوفٍ

## الشورى

٥٦	١١	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
----	----	--------------------------

## الزخرف

١٠٧	٤٤	وَلَهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
١٢٧	٧٥	إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ



## الأحقاف

١٠٨	١٢	وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً
-----	----	--

## محمد

١٩	١٩	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
----	----	---

## الحجرات

١٣٨	٩	وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
١٤٠ ; ١٣٧	١١	بِئْسَ الْأَسْمُ الْمُسْتَوْفَى بَعْدَ الْإِيمَانِ
١٣٧	١٥-١٤	قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا

## الذاريات

٩٧	٥٦	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
----	----	--

## الطور

١١٣	٣٤	فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
-----	----	---

## الحديد

٦٩	١٣	انظُرُوا نَارَ تَقَاسُمٍ مِنْ نُورِكُمْ
----	----	---

## الصف

١٣٨	٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
-----	---	--



### التلحين

١٤٢	٦١	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
-----	----	--------------------------------------

### التحريم

٢٥	٤	فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ
----	---	--

### ن

١٤١	٣٥	أَتَسْمِعُ الْمُسْلِمِينَ كَأَلْمَحْرَمِينَ
-----	----	---

### الجن

١٢٦	٢٣	وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
١٢٦	٢٤	حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ



### القيامة

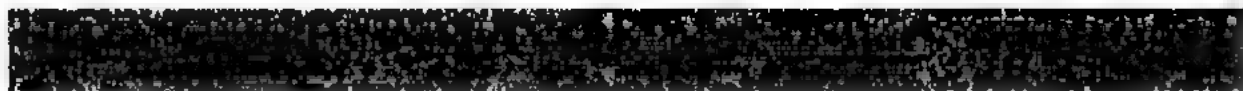
٦٩	٢٢	وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ
----	----	------------------------------

### التكوير

١٠٢	٥	وَإِذَا الْوُجُوهُ حُشِرَتْ
-----	---	-----------------------------

### الإنفطار

١٢٦	١٦-١٣	إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ
١٢٦؛ ١٢١	١٦	وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ



### الأعلى

اسم ربك الأعلى

١ ١٠٨

### الليل

فأنذرتكم نارا تلظى

١٦، ١٥، ١٤ ١٣٤

### الإخلاص

قل هو الله أحد

١ ٧٢، ٦٠



## فهرس الأحاديث

### حرف الألف

- الأمة من قريش ..... ١٨٦
- أربعة إلى الولاية: الحدود والجمعات والفتىء والصنقات ..... ١٥٠
- الأعمال بالنيات ..... ٨٢
- أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ..... ١٤٧
- أما إنه سيكون في هذه الأمة قوم يقولون مثل مقاتلهم أولئك بحوس أمي ..... ٨٨
- أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً فأتى برجل شاة ..... ١٦٢
- أما حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالكم ..... ١٧٢
- أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ..... ١٥٧
- إن الله يقول للعبد العاصي إذا جاء يوم القيامة أردت منك أسير من ذلك ..... ٩٧
- إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا من بعدي أبداً ..... ١٦٣
- اعملوا فكل مهسر لما خلق له ..... ٨١
- انظروا إلى هذا الكوكب فمن انقض في داره فهو الخليفة من بعدي ..... ١٦١

### حرف الباء

- نفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق ..... ٥٥

### حرف الحاء

- الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ..... ١٧٢ ; ١٦٩

### حرف السين

- سورون ربكم يوم القيامة كالقمر ليلة البدر ..... ٦٩

## حرف الشين

شفاعي لأهل الكبار من أمي ..... ١٤١

## حرف الصاد

صفان من أمي لا نالهما شفاعي لعهم الله على لسان سبعين نساء وهم القدرية والمرحمة ..... ٨٧

## حرف القاف

القناعة رأس الغناء ..... ٦٣

## حرف الكاف

كل أمر ذي بال لم يذكر اسم الله عليه فهو أحزم ..... ١٧

## حرف اللام

لا أعجز من الله تعالى ..... ٦١

لا يحل لعين ترى الله يمضي فنطرف حتى نمر أو تنقل ..... ١٤٣

لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ..... ١٣٧

لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليرشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ..... ١٤٣؛ ١٤٨

لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليلطن الله عليكم سلطاناً جائراً ..... ١٤٨

لعنت القدرية والمرحمة على لسان سبعين نبأ ..... ٨٧؛ ١٢٣

لكل أمة يهود فيهود هذه الأمة المرحمة ..... ١٢٣

لكل نبي دعوة مستحابة ..... ١٤١

اللهم اتق بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر ..... ١٦٠

اللهم اغف عني أغف عني لم تحف بها أحداً قبله ..... ١٦١

اللهم هؤلاء أهل بيتي ..... ١٦٣

## حرف الميم

- ١٩ ..... ما جزاء من أنعم الله عليه بالتوحيد إلا الجنة
- ١٨٧ ..... من أخذ دينه عن التفكير في آلاء الله وعن التدبر والتفهم لسنن زالت الرواسي ولم يزل
- ١٥٥ ..... من كنت مولاه فعلي مولاه
- ١٨ ..... من أخذ دينه عن التفكير في آلاء الله والتدبر لكتاب الله والتمهم لسنن زالت الرواسي ولم يزل

## حرف النون

- ٨١ ..... نية المؤمن بحر من عمله، ونية الفاسق شر من عمله

## حرف الواو

- ١٤٣ ..... والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليرشكن الله بهم عقاباً منه

## حرف الياء

- ١٢٢ ..... يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
- ١٢٤ ..... يقولون الإيمان قول بلا عمل
- ٨٨ ..... يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ويقولون قدرها الله تعالى
- ١٢١ ..... يلتقي على أهل النار الجوع فبعدل ما هم فيه من العذاب

## فهرس المحتويات

٥	مقدمة الحق
٦	ترجمة المؤلف
٧	دعوته عليه السلام
٧	مولفاته
٧	أولاده
٨	دعوته عليه السلام
١٥	مدخل
٢٥	(باب إثبات الصانع)
٢٧	باب التوحيد
٢٨	(المسألة الأولى: في أن لهذا العالم صانعاً صنعه ومدبراً دبره)
٣٩	(المسألة الثانية: أن الله تعالى قادر)
٤٣	(المسألة الثالثة: أن الله سبحانه عالم)
٤٧	(المسألة الرابعة: أنه يجب على كل مكلف أن يعلم «أن الله تعالى حي»)
٤٨	(المسألة الخامسة: أن الله تعالى سميع بصير)
٥٠	(المسألة السادسة: أن الله تعالى قديم)
٥٧	(المسألة السابعة)
٦٣	(المسألة الثامنة: أن الله تعالى غني)
٦٦	(المسألة التاسعة: في استحالة الرؤية على الله تعالى)
٧٠	(المسألة العاشرة: أن الله سبحانه واحد لا ثاني له في القدم والإلحقة)
٧٥	(باب العدل)
٧٦	(المسألة الحادية عشرة)
٧٨	(المسألة الثانية عشرة)
٨٤	(المسألة الثالثة عشرة: أنه لا يجوز إطلاق القول بأن المعاصي من قضاء الله وقدره)

٩١	(المسألة الرابعة عشرة: أن الله تعالى لا يكلف عباده ما لا يطيقون)
٩٣	(المسألة الخامسة عشرة: في معنى أن الله تعالى عدل حكيم)
٩٦	(المسألة السادسة عشرة: أن الله تعالى يريد الطاعات ولا يريد الظلم وسائر القبائح)
٩٩	(المسألة السابعة عشرة في الآلام)
١٠٣	(المسألة الثامنة عشرة: في القرآن الكريم)
١٠٧	(المسألة التاسعة عشرة: في أن هذا القرآن الذي هو كلام الله تعالى محدث)
١١٠	(المسألة العشرون: في النبوة)
١١٧	(باب الوعد والوعيد)
	(المسألة الحادية والعشرون: أنه يجب على المكلف أن يعلم أن من وعده الله بالجنة من المؤمنين فإنه إذا مات تاباً
١١٩	غير مصر على شيء من الكيثر فإنه صائر إلى الجنة ومخلد فيها دائماً)
١٢٠	(المسألة الثانية والعشرون)
١٢٣	(المسألة الثالثة والعشرون: أنه يجب على المكلف أن يعلم أن من توعدده الله من الفساق بالنار)
١٣٢	(المسألة الرابعة والعشرون: في المنزلة بين المنزلتين)
١٣٩	(المسألة الخامسة والعشرون) في الشفاعة
١٤٢	(المسألة السادسة والعشرون: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
١٤٩	(المسألة السابعة والعشرون: في إمامة علي عليه السلام)
١٦٩	(المسألة الثامنة والعشرون: أن الإمام بعد علي -عليه السلام- الحسن)
١٧٢	(المسألة التاسعة والعشرون: أن الإمام بعد الحسن أخوه الحسين عليهما السلام)
١٧٤	(المسألة الثلاثون: في بيان من يستحق الإمامة)
١٨٩	الفهارس
١٨٩	فهرس الآيات
١٩٩	فهرس الأحاديث
٢٠٢	فهرس المحتويات





مرکز تحقیقات کتاب ویران علوم اسلامی



مركز تحقيقات كامبيوتري علوم اسلامي



١٢٦٠٠١-٢٧٤-٣

مؤسسة الإمام زيد بن علي النقا

ص.ب. ١٤٣٨٤، عمان ١١٨٤٤، المملكة الأردنية

هاتف/فاكس: ٩٦٦٥٢٤٨٢٧٨

154, McLean, VA 22102, United States of America  
p://www.izbact.org, email: info@izbact.org